السيرة النبوية

لابن هشام

أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري

المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هجرية

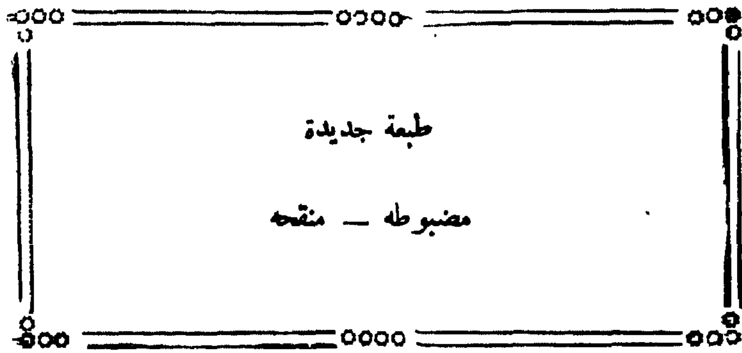
قدم لها وعلق عليها وضبطها

طه عبد الرؤوف سعد

الجزء الثاني

دار الجيل

بيروت



طبعة جديدة

مضبوطه ـــ منقحه

بسم الله الرحمن الرحيم

خبر الصحيفة

ائتمار قريش بالرسول : قال ابن إسحاق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلداً أصابوا به أمنا وقراراً ، وأن النجاشى قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وجعل الإسلام يفشو فى القبائل ، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى المطلب ، على أن لا يُنكحوا إليهم ولا يُنكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ؛ فلما اجتمعوا لذلك كتبوه فى صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى — قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث — فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشلّ بعض أصابعه .

قال ابن إسحاق : فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبى طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه فى شعبه واجتمعوا إليه ، وخرج من بنى هاشم أبو لهب ، عبد العزّى ابن عبد المطلب ، إلى قريش ، نظاهرهم .

تهكم أبى لهب بالرسول وما نزل فيه من القرآن : قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين ابن عبد الله : أن أبا لهب لقى هند بنت عتبة بن ربيعة ، حين فارق قومه ، وظاهر عليهم قريشا فقال : يابنت عتبة ؛ هل نصرت اللات والعزى ، وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما ؟ قالت : نعم : فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة .

قال ابن إسحاق : وحُدثت أنه كان يقول فى بعض ما يقول: يعدنى محمد أشياء لا أراها ، يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فماذا وضع فى يدىّ بعد ذلك ، ثم ينفخ فى يديه ويقول : تبّاً لكما ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد . فأنزل الله تعالى فيه « تبت يدا أبى لهب وتب » .

قال ابن هشام : تبت : خسرت . والتباب : الخسران . قال حبيب بن خُدرة الخارجى ، أحد بنى هلال بن عامر بن صعصعة :

يا طيب إنا فى معشر ذهبت مَسـاتهم فى التبار والتبب

وهذا البيت فى قصيدة له .

شعر أبى طالب فى تظاهر قريش : قال ابن إسحاق : فلما اجتمعت على ذلك قريش ، وصنعوا فيه الذى صنعوا ، قال أبو طالب :

ألا أبلغا عنى على ذات بيننا ... لؤيا وخصا من لؤى بنى كعب
ألم تعلموا أنا وجـــدنا محمداً ... نبيا كموسى خط فى أول الكتب
وأن عليه فى العباد محبـــة ... ولا خير ممن خصه الله بالحب
وأن الذى ألصقتم من كتابكم ... لكم كائن نحسا كراغية السقب[1]
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى ... ويصبح من لم يجن ذنبا كذى الذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا ... أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حربا عوانا وربما ... أمرّ على من ذاقه جلب الحرب
فلسنا ورب البيت نسلم أحمداً ... لعزاء من عض الزمان ولا كرب[2]
ولمّـا تبن منا ومنكم سوالف ... وأيد أترّت بالقساسية الشهب[3]
بمعترك ضيق ترى كسر القنا ... به والنسور الطخم يعكفن كالشرب[4]
كأن مجال الخيل فى حجراته ... ومعمعة الأبطال معركة الحرب[5]
أليس أبونا هاشم شـــد أزره ... وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولســـنا نمل الحرب حتى تملنا ... ولا نشتكى ماقد ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفائظ والنهى ... إذا طار أرواح الكماة من الرعب

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا ، حتى جهدوا لا يصل إليهم شىء ، إلا سراً مستخفيا به ممن أراد صلتهم من قريش .

أبو جهل يحكم الحصار على المسلمين : وقد كان أبو جهل بن هشام — فيما يذكرون

---

(١) الرغاء : صوت الإبل ، والسقب : ولد الناقة ، والمراد به هنا ولد ناقة صالح عليه السلام .
(٢) العزاء : الشدة . (٣) السوالف : صفحات الأعناق ، وأترت : قطعت والقساسية : سيوف تنسب إلى جبل يسمى قساس .
(٤) الطخم : سود الرءوس ، والشراب جماعة الشاربين .
(٥) الحجرات : النواحى .

— لقى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ، معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد ، وهى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه فى الشّعب ، فتعلق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ؟ والله لاتبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة . فجاءه أبو البخترى بن هاشم بن الحارث بن أسد ، فقال : مالك وله؟ فقال : يحمل الطعام إلى بنى هاشم ؛ فقال أبو البخترى : طعــام كان لعمته عنده بعثت إليه فيــه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ! ؟ خل سبيل الرجل ؛ فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه فأخذ أبو البخترى لحى بعير فضربه به فشجه ، ووطئه وطأ شديداً وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيشمتوا بهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومه ليلا ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، مناديا بأمر الله لايتقى فيه أحداً من الناس .

ذكر مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه من الأذى

ما نزل من القرآن فى أبى لهب وامرأته : فجعلت قريش حين منعه الله منها ، وقام عمه وقومه من بنى هاشم ، وبنى المطلب دونه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به ، يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونه ، وجعل القرآن ينزل فى قريش بأحداثهم ، وفيمن نصب لعداوته منهم ، ومنهم من سمى لنا ، ومنهم من نزل فيه القرآن فى عامة من ذكر الله من الكفار ، فكان ممن سمى لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب بن عبد المطلب وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية ، حمالة الحطب ، وإنما سماها الله تعالى حمالة الحطب لأنها كانت — فيما بلغنى — تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يمر ، فأنزل الله تعالى فيهما «تبت يدا أبى لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب ،وامرأته حمالة الحطب ، فى جيدها حبل من مسد » .

قال ابن هشام : الجيد : العنق . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

يوم تبدى لنــا قتيلة عن جيــ ـد أسيل تزينه الأطواق

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمعه : أجياد . والمسد . شجر يدق كما يدق الكتان فتفتل منه حبال . قال النابغة الذبيانى ، واسمه زياد بن عمرو بن معاوية :

مقذوفة بدخيس النحض بازلها له صريف صريف القعو بالمسد (1)

---

(1) الدخيس . اللحم الكثير . والنحض . اللحم . والبازل : الناب : والصريف : الصوت والقعو : ماتدور فيه البكرة .

وهـــذا البيت فى قصيدة له ، وواحـــدته : مسدة .

أم جميل امرأة أبى لهب : قال ابن إسحاق : فذكرلى : أنأم جميل . حمالة الحطب ، حين سمعت ما نزل فيها ، وفى زوجها من القرآن ، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق ، وفى يدها فِهر [1] من حجارة ، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر : أين صاحبك ، فقد بلغنى أنه يهجونى ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ، أما والله إنى لشاعرة ، ثم قالت :

مـــذمما عصينا وأمـــره أبينا

ودينـه قلينا

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يارسول الله أما تراها رأتك ؟ فقال : ما رأتنى ؛ لقد أخذ الله ببصرها عنى .

قال ابن هشام : قولها « ودينه قلينا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق: وكانت قريش إنما تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما، ثم يسبونه، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون لما صرف الله عنى من أذى قريش ، يسبون مذمما ، وأنا محمد .

إيذاء أمية بن خلف للرسول : وأمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، كان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه ، فأنزل الله تعالى فيه : « ويل لكل همزة لمزة ، الذى جمع مالا وعدّده . يحسب أن ماله أخلده . كلا لينبذنّ فى الحُطمة . وما أدراك ما الحُطمة ، نار الله الموقدة التى تطّلع على الأفئدة. إنها عليهم مؤصدة . فى عمد ممددة » .

قال ابن هشام : الهمزة : الذى يشتم الرجل علانية ، ويكسر عينيه عليه ، ويغمز به ، قال حسان بن ثابت :

همزتك فاختضعت لذل نفس بقافيـة تأجج كالشواظ [2]

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمعه : همزات . واللمزة : الذى يعيب الناس سراً ويؤذيهم .

---

(١) الفهر . حجر يملأ الكف . (٢) التأجج : التوقد .

قال رؤبة بن العجاج :

في ظل عصرى باطلى ولمزى

وهذا البيت فى أرجوزة له ، وجمعه : لمزات .

إيذاء العاص للرسول : قال ابن إسحاق : والعاص بن وائل السهمى ، كان خباب ابن الأرت ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قينا بمكة يعمل السيوف ، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفا عملها له حتى كان له مال ، فجاءه يتقاضاه فقال له ياخباب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذى أنت على دينه أن فى الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب ، أو فضة ، أو ثياب أو خدم ! قال خباب : بلى . قال : فأنظرنى إلى يوم القيامة ياخباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هناك حقك ، فوالله لاتكون أنت وأصحابك ياخباب آثر عند الله منى ، ولا أعظم حظاً فى ذلك؛فأنزل الله تعالى فيه : «أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً ، أطلع الغيب » إلى قوله تعالى : « ونرثه ما يقول ، ويأتينا فرداً » .

ايذاء أبى جهل للرسول : ولقى أبو جهل بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - فقال له : والله يامحمد ، لتتركن سب آلهتنا ، أو لنسبن إلهك الذى تعبد . فأنزل الله تعالى فيه : « ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم » . فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عن سب آلهتهم ، وجعل يدعوهم إلى الله .

ايذاء النضر للرسول : والنضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار ابن قصى، كان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا ، فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآن وحذر قريشا ما أصاب الامم الخالية ، خلفه فى مجلسه إذقام، فحدثهم عن رستم السنديد ، وعن اسفنديار ، وملوك فارس، ثم يقول والله مامحمد بأحسن حديثا منى ، وما حديثه إلاأساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبتها . فأنزل الله فيه : « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ، قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض ، إنه كان غفوراً رحيما » . ونزل فيه « إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين » . ونزل فيه : « ويل لكل افاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقراً ، فبشره بعذاب أليم » .

قال ابن هشام : الأفاك : الكذاب . وفى كتاب الله تعالى : « ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون » .

وقال رؤبة :

ما لامرىء أفّك قولا إفكا

وهذا البيت فى أرجوزة له :

قال ابن إسحاق : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما - فيما بلغنى - مع الوليد بن المغيرة فى المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم فى المجلس ، وفى المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحارث ، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم : « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ، لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ، وكل فيها خالدون ، لهم فيها زفير ، وهم فيها لا يسمعون » .

قال ابن هشام : حصب جهنم : كل ما أوقدت به . قال أبو ذؤيب الهذلى ، واسمه خويلد ابن خالد :

فأطفىء ولا توقد ولا تك مُحْصباً   لنار العُداة أن تطير شذاتها

وهذا البيت فى أبيات له . ويروى « ولا تك محضأ » . قال الشاعر :

حضأت له نارى فأبصر ضوءها   وما كان لولا حضأة النار يهتدى

ابن الزبعرى وما قيل فيه : قال ابن إسحاق : ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمى حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ؛ فقال عبد الله بن الزبعرى : أما والله لو وجدته لخصَمْته ، فسلوا محمدا : أكل ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيرا . والنصارى تعبد عيسى بن مريم عليهما السلام ؛ فعجب الوليد ، ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم . فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزبعرى : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ، ومن أمرتهم بعبادته » . فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك . « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ، أولئك عنها مبعدون ، لا يسمعون حسيسها ، وهم فى ما اشتهت أنفسهم خالدون » . أى عيسى بن مريم ، وعزيراً ، ومن عُبدوا من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله .

ونزّل فيما يذكرون ، أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله : « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه ، بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون » . . . إلى قوله : « ومن يقل منهم إنى إله من دونه ، فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزى الظالمين » .

ونزل فيما ذكر من أمر عيسى بن مريم أنه يعبد من دون الله ، وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته : « ولما ضُرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون » : أى يصدون عن أمرك بذلك من قولهم .

ثم ذكر عيسى بن مريم فقال : « إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ، وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلُفون ، وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم » : أى ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام، فكفى به دليلا على علم الساعة ، يقول : « فلا تمترن بها واتبعون ، هذا صراط مستقيم » .

الأخنس وما أنزل فيه : والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى ، حليف بنى زهرة ، وكان من أشراف القوم وممن يُستمع منه ، فكان يصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويرد عليه ؛ فأنزل الله تعالى : «ولا تطع كل حلاف مهين ، همّاز مشاء بنميم » . . . إلى قوله تعالى : « زنيم » ، ولم يقل : « زنيم » لعيب فى نسبه ، لأن الله لا يعيب أحداً بنسب ، ولكنه حقق بذلك نعته ليعرف . والزنيم : العديد [1] للقوم . وقد قال الخطيم التميمى فى الجاهلية :

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد فى عرض الأديم الأكارع

الوليد وما أنزل فيه : والوليد بن المغيرة ، قال : أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ! ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفى سيد ثقيف ، ونحن عظيما القريتين ! فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغنى : « وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » ... إلى قوله تعالى : « مما يجمعون » .

أبى بن خلف وعقبة بن أبى معيط ، وما أنزل فيهما : وأبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، وعقبة بن أبى معيط ، وكانا متصافيين ، حسنا ما بينهما . فكان عقبة قد جلس

---

(١) العديد من يعد فى القوم وهو ليس منهم وهو الدعى ، فعيل بمعنى مفعول .

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ، فبلغ ذلك أبيا ، فأتى عقبه فقال : ألم يبلغنى أنك جالست محمداً وسمعت منه ! قال وجهى من وجهك حرام أن أكلمك — واستغلظ من اليمين — إن أنت جلست إليه أو سمعت منه ، أو لم تأته فتتفل فى وجهه . ففعل ذلك عدو الله عقبه بن أبى معيط لعنه الله . فأنزل الله تعالى فيهما : « ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا » ... إلى قوله تعالى : « للإنسان خذولا » .

ومشى أبىّ بن خلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم بال قد أرفت فقال : يامحمد ، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم [1] ، ثم فته بيده ، ثم نفخه فى الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا ، ثم يدخلك الله النار . فأنزل الله تعالى فيه : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال : من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً ، فإذا أنتم منه توقدون » .

سورة (الكافرون) وسبب نزولها : واعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يطوف بالكعبة — فيما بلغنى — الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل السهمى ، وكانوا ذوى أسنان فى قومهم ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر ، فإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد ، كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد ، كنت قد أخذت بحظك منه . فأنزل الله تعالى فيهما : « قل يأيها الكافرون ، لا أعبد ماتعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين » ، أى إن كنتم لا تعبدون الله ، إلا أن أعبد ما تعبدون ، فلا حاجة لى بذلك منكم لكم دينكم جميعاً ، ولى دينى .

أبو جهل . وما نزل فيه : وأبو جهل بن هشام ، لما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفاً بها لهم قال : يا معشر قريش ، هل تدرون ما شجرة الزقوم التى يخوفكم بها محمد ؟ قالوا : لا ؛ قال : عجوة يثرب بالزبد ، والله لئن استمكنا منها لنتزقمنها [2] تزقما . فأنزل الله تعالى فيه : « إن شجرة الزقوم ، طعام الأثيم ، كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم » : أى ليس كما يقول .

---

(١) أرم : بلى .
(٢) تزقم : ابتلع .

تفسير لفظ المهل : قال ابن هشام المهل : كل شيء أذبته ، من نحاس أو رصاص أو ما أشبه ذلك فيما أخبرني أبو عبيدة .

وبلغنا عن الحسن البصري أنه قال : كان عبد الله بن مسعود واليا لعمر بن الخطاب على بيت مال الكوفة ، وأنه أمر يوماً بفضة فأذيبت ، فجعلت تلون ألواناً ، فقال : هل بالباب من أحد ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فأدخلوهم ، فأُدخلوا فقال : إن أدنى ما أنتم راءون شبها بالمهل لهذا . وقال الشاعر :

يسقيه ربي حميم المهل يجرعه　　　يشوي الوجوه فهو في بطنه صهر

ويقال : إن المهل : صديد الجسد .

وقال عبد الله بن الزبير الأسدي :

فمن عاش منهم عاش عبدا وإن يمت　　　ففي النار يسقى مهلها وصديدهـــا

وهذا البيت في قصيدة له .

بلغنا أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما حُضر أمر بثوبين لبيسين يُغسلان فيكفن فيهما ، فقالت عائشة : قد أغناك الله يا أبت عنهما ، فاشترى كفنا ، فقال : إنما هي ساعة حتى يصير إلى المهل ، قال الشاعر .

شاب بالماء منه مهلا كريها　　　ثم علّ المتون بعد النّهال[1]

قال ابن إسحاق : فأنزل الله تعالى فيه : « والشجرة الملعونة في القرآن ، ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً » .

ابن أم مكتوم والوليد وسورة عبس : ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه ، وقد طمع في إسلامه ، فبينا هو في ذلك ، إذ مر به ابن أم مكتوم الأعمى ، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يستقرئه القرآن ، فشق ذلك منه على رسول الله

---

(١) شاب : خلط . والعلل : الشرب بعد الشرب ، والمتون : الظهور ، والنهال : جمع نهل ، وهو الشرب الأول .

صلى الله عليه وسلم حتى أضجره ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد ، وما طمع فيه من إسلامه . فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه . فأنزل الله تعالى فيه « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » . إلى قوله تعالى : « فى صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة » أى إنما بعثتك بشيراً ونذيراً ، لم أخص بك أحد ، فلا تمنعه ممن ابتغاه ، ولا تتصدين به لمن لا يريده .

قال ابن هشام : ابن أم مكتوم ، أحداً بنى عامر بن لؤى ، واسمه عبد الله ، ويقال : عمرو

العائدون من أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة ، إسلام أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا دنوا من مكة ، بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفيا.

فكان ممن قدم عليه مكة منهم ، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بدراً ومن حبس عنه حتى فاته بدر وغيره ، ومن مات بمكة منهم من بنى عبد شمس بن عبد مناف بن قصى : عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن شمس معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وامرأته سهلة بنت سهيل .

ومن حلفائهم : عبد الله بن جحش بن رئاب .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان ، حليف لهم ، من قيس عيلان .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ؛ وسويبط بن سعد ابن حرملة .

ومن بنى عبد بن قصى : طليب بن عمير بن وهب بن عبد .

ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة. والمقداد بن عمرو . حليف لهم ؛ وعبد الله بن مسعود ، حليف لهم .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، معه امرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة ؛ وشماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمى ابن عامر بن مخزوم . وسلمة بن هشام بن المغيرة ، حبسه عمه بمكة ، فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد والخندق ، وعياش بن أبى ربيعة بن المغيرة ، هاجر معه إلى المدينة ، ولحق به أخواه لأمه : أبو جهل بن هشام ، والحارث بن هشام ، فرجعا به إلى مكة فحبساه بها حتى مضى بدر وأحد والخندق .

ومن حلفائهم . عمار بن ياسر ، يشك فيه أكان خرج إلى الحبشة أم لا ؟ ومعتب بن عوف ابن عامر من خزاعة .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب . عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة ابن جمح . وابنه السائب بن عثمان ؛ وقدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب . خُنَيس بن حذافة بن قيس بن عدى ، وهشام ابن العاص بن وائل ، حبس بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حتى قدم بعد بدر وأحد والخندق .

ومن بنى عدى بن كعب . عامر بن ربيعة ، حليف لهم ، معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة ابن حذافة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤى . عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى بن أبى قيس . وعبد الله بن سهيل ابن عمرو ، وكان حبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة ، حتى كان يوم بدر ، فانحاز من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معه بدرا ؛ وأبو سبرة ابن أبى رُهم بن عبد العزى ، معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ؛ والسكران بن عمرو ابن عبد شمس ، معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس ، مات بمكة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأته سودة بنت زمعة .

ومن حلفائهم . سعد بن خولة .

ومن بنى الحارث بن فِهر : أبو عبيدة بن الجراح ، وهو عامر بن عبد الله بن الجراح ؛ وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبى شداد ؛ وسهيل بن بيضاء ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال ؛ وعمرو بن أبى سرح بن ربيعة بن هلال .

فجميع من قدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا .

فكان من دخل منهم بجوار ، فيمن سمى لنا : عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحى ، دخل بجوار من الوليد بن المغيرة ، وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، دخل بجوار من أبى طالب بن عبد المطلب وكان خاله . وأم أبى سلمة : برة بنت عبد المطلب .

عثمان بن مظعون يرد جوار الوليد

قال ابن إسحاق : فأما عثمان بن مظعون فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدثنى عمن حدثه عن عثمان ، قال : لما رأى عثمان بن مظعون مافيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء ، وهو يغدو ويروح فى أمان من الوليد بن المغيرة ، قال : والله إن غدوى ورواحى آمنا بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابى وأهل دينى يلقون من البلاء والأذى فى الله مالا يصيبنى ، لنقص كبير فى نفسى . فمشى إلى الوليد بن المغيرة ، فقال له : يا أبا عبد شمس ، وفت ذمتك ، قد رددت إليك جوارك ؛ فقال له : يابن أخى لعله آذاك أحد من قومى ؟ قال : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله ، ولا أريد أن أستجير بغيره ؟ قال : فانطلق إلى المسجد ، فاردد علىّ جوارى علانية كما أجرتك علانية . قال : فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يرد علىّ جوارى ، قال : صدق ، قد وجدته وفيا كريم الجوار ، ولكنى قد أحببت أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره ؛ ثم انصرف عثمان ، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب فى مجلس من قريش ينشدهم ، فجلس معهم عثمان ، فقال لبيد :

ألا كل شىء ماخلا الله باطل

قال عثمان : صدقت . قال لبيد :

وكل نعيم لا محالة زائل

قال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول . قال لبيد بن ربيعة : يامعشر قريش ، والله ما كان يؤذَى جليسكم ، فمتى حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سفيه فى سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا ، فلا تجدن فى نفسك من قوله ؛ فرد عليه عثمان حتى شرى[1] أمرهما ، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضّرها والوليد بن المغيرة قريب يرى مابلغ من عثمان ، فقال: أما والله يا بن أخى كانت عينك عما أصابها لغنية ، لقد كنت فى ذمة منيعة . قال : يقول عثمان: بل والله إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها فى الله ، وإنى لفى جوار من هو

---

(١) شرى : كثر وزاد .

أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس؛ فقال له الوليد: هلم يابن أخى، إن شئت فعد إلى جوارك؛ فقال: لا.

أبو سلمة فى جوار أبى طالب . قال ابن إسحاق: وأما أبو سلمة بن عبد الأسد، فحدثنى أبى إسحاق بن يسار عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة أنه حدثه: أن أبا سلمة لما استجار بأبى طالب، مشى إليه رجال من بنى مخزوم، فقالوا: يا أبا طالب، لقد منعت منا ابن أخيك محمداً، فمالك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال: إنه استجار بى، وهو ابن أختى، وإن أنا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى؛ فقام أبو لهب فقال: يامعشر قريش، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ، ما تزالون تتواثبون عليه فى جواره من بين قومه، والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه فى كل ما قام فيه، حتى يبلغ ما أراد. قال: فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة، وكان لهم وليا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبقوا على ذلك. فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول مايقول، ورجا أن يقوم معه فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وإن امرأً أبو عتيبة عمُّه لفى روضة ما إن يسام المظالما
أقول له، وأين منه نصيحتى أبا معتب ثبت سوادك قائما[1]
ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة تسب بها إما هبطت المواسما
وولّ سبيل العجز غيرك منهم فإنك لم تخلق على العجز لازما
وحارب فإن الحرب نصف وما ترى أخا الحرب يعطى الخسف حتى يسالما
وكيف ولم يجنوا عليك عظيمة ولم يخذلوك غانما أو مغارما
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما
بتفريقهم من بعد ود وألفة جماعتنا كيما ينالوا المحارما
كذبتم وبيت الله نبزى محمداً ولما تروا يوما لدى الشعب قائما

قال ابن هشام: نبزى: نسلب. قال ابن هشام: وبقى منها بيت تركناه.

---

(١) سوادك: شخصك.

دخول أبي بكر في جوار ابن الدُّغُنَّة ثم رده عليه

قال ابن إسحاق: وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه، كما حدثنى محمد بن مسلم الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنهما، حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فأذن له، فخرج أبو بكر مهاجراً، حتى إذا سار من مكة يوما أو يومين، لقيه ابن الدغنة، أخو بنى عبد مناة بن كنانة، وهو يومئذ سيد الأحابيش.

قال ابن إسحاق: والأحابيش: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهون بن خزيمة ابن مدركة، وبنو المصطلق من خزاعة.

قال ابن هشام: تحالفوا جميعاً، فسموا الأحابيش للحلف.

ويقال: ابن الدُّغينة.

قال ابن إسحاق: حدثنى الزهرى، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها قالت: فقال ابن الدغنة: أين يا أبابكر؟ قال: أخرجنى قومى وآذونى، وضيقوا علىّ؛ قال: ولم؟ فوالله إنك لتزين العشيرة، وتعين على النوائب، وتفعل المعروف، وتكسب المعدوم (١)، ارجع فأنت فى جوارى. فرجع معه، حتى إذا دخل مكة، قام ابن الدغنة فقال: يامعشر قريش، إنى قد أجرت ابن أبى قحافة، فلا يعرضن له أحد إلا بخير. قالت: فكفوا عنه.

قالت: وكان لأبى بكر مسجد عند باب داره فى بنى جمح، فكان يصلى فيه، وكان رجلا رقيقا، إذا قرأ القرآن استبكى. قالت: فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء، يعجبون لما يرون من هيئته. قالت: فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة، فقالوا: يابن الدغنة، إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا! إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق ويبكى، وكانت له هيئة ونحو، فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم، فأته فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء. قالت: فمشى ابن الدغنة إليه، فقال له: يا أبا بكر، إنى لم أجرك لتؤذى قومك، إنهم قد كرهوا مكانك الذى أنت فيه وتأذوا بذلك منك، فادخل بيتك، فاصنع فيه ما أحببت قال: أوَ أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله؟ قال فاردد علىّ جوارى، قال: قد رددته عليك

(١) أى تكسب غيرك ماهو معدوم عنده.

قالت : فقام ابن الدغنة ، فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أبى قحافة قد رد علىّ جوارى فشأنكم بصاحبكم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد، قال : لقيه سفيه من سفهاء قريش، وهو عامد إلى الكعبة ، فحثا على رأسه ترابا . قال : فمر بأبى بكر الوليد بن المغيرة ، أو العاص بن وائل . قال : فقال أبو بكر : ألا ترى إلى مايصنع هذا السفيه ؟ قال : أنت فعلت ذلك بنفسك . قال : وهو يقول : أى رب ، ما أحلمك ! أى رب ما أحلمك ! أى رب، ما أحلمك ! .

حديث نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق : وبنو هاشم وبنو المطلب فى منزلهم الذى تعاقدت فيه قريش عليهم فى الصحيفة التى كتبوها ، ثم إنه قام فى نقض تلك الصحيفة التى تكاتبت فيها قريش على بنى هاشم وبنى المطلب نفر من قريش، ولم يُبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث ابن حبيب بن نصر بن جذيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، وذلك أنه كان ابن أخى نضلة ابن هاشم بن عبد مناف لأمه ، فكان هشام لبنى هاشم واصلا ، وكان ذا شرف فى قومه ، فكان — فيما بلغنى — يأتى بالبعير ، وبنو هاشم وبنو المطلب فى الشعب ليلا ، قد أوقره طعاما حتى إذا أقبل به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ، ثم ضرب على جنبه ، فيدخل الشعب عليهم ثم يأتى به قد أوقره بزاً أو براً ، فيفعل به مثل ذلك .

قال ابن إسحاق : ثم إنه مشى إلى زهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال : يازهير ، أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب ، وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ، لايباعون ولا يبتاع منهم، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ؟ أما إنى أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام ، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ، ما أجابك إليه أبدا . قال : ويحك يا هشام ! فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها حتى أنقضها ، قال : قد وجدت رجلا قال : فمن هو ؟ قال : أنا ، قال له زهير : أبغنا رجلا ثالثا .

فذهب إلى المطعم بن عدى ، فقال له : يامطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ! أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنّهم إليها

منكم سراعا، قال ويحك ! فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدت ثانيا ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال : أبغنا ثالثا ، قال : قد فعلت ، قال : من هو ؟ قال : زهير ابن أبى أمية ، قال أبغنا رابعا .

فذهب إلى البَختَرى بن هشام ، فقال له نحواً مما قال للمطعم بن عدى ، فقال : وهل من أحد يعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبى أمية ، والمطعم بن عدى ، وأنا معك ، قال أبغنا خامسا .

فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، فكلمه ، وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟ قال : نعم ؛ ثم سمى له القوم .

فاتّعدوا خطم الحجون [1] ليلا بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك. فأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا أبدؤكم ، فأكون أول من يتكلم . فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبى أمية عليه حلة ، فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ، أنأكل الطعام ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكى لا يباع ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .

قال أبو جهل : وكان فى ناحية المسجد : كذبت والله لا تشق ، قال زمعة بن الأسود : أنت والله أكذب ، مارضينا كتابها حيث كتبت ، قال أبو البختَرى . صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ، ولا نقر به ، قال المطعم بن عدى : صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ، ومما كتب فيها ، قال هشام بن عمرو نحوا من ذلك . فقال أبو جهل : هذا أمر قُضى بليل ، تُشوور فيه بغير هذا المكان . وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد ، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها ، فوجد الأرضة قد أكلتها ، إلا « باسمك اللهم » .

وكان كاتب الصحيفة منصور [2] بن عكرمة . فشلت يده فيما يزعمون .

---

(١) الخطم : المقدمة . والحجون : موضع بأعلى مكة .

(٢) وللنساب من قريش فى كاتب الصحيفة هو : بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد الدار ، والقول الثانى : أنه منصور بن عبد شرحبيل بن هاشم من بنى عبد الدار أيضا — انظر الروض الأنف ج ٢ ص ١٢٧ .

قال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب ياعم ، إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان ، فقال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله مايدخل عليك أحد ، ثم خرج إلى قريش ، فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا ، فهلم صحيفتكم ، فإن كان كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا ، وانزلوا عما فيها ، وإن يكن كاذبا دفعت إليكم ابن أخي . فقال القوم : رضينا . فتعاقدوا على ذلك . ثم نظروا . فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فزادهم ذلك شراً . فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ماصنعوا[1] .

قال ابن إسحاق : فلما مزقت الصحيفة وبطل مافيها . قال أبو طالب ، فيما كان من أمر أولئك النفر الذين قاموا في نقضها يمدحهم :

ألا هل أتى بحرينا صنعُ ربنا ... على نأيهم والله بالناس أرود[2]

فيخبرهم أن الصحيفة مزقت ... وأن كل ما لم يرضه الله مفسد

تراوحها إفك وسحر مجمع ... ولم يُلف سحر آخر الدهر يصعد

تداعى لها من ليس فيها بقرقر ... فطائرها في رأسها يتردد[3]

وكانت كفاء رقعة بأثيمة ... ليقطع منها ساعد ومقلد[4]

ويظعن أهل المكتين فيهربوا ... فرائصهم من خشية الشر تُرعد

ويترك حرّاث يقلب أمره ... أيتهم فيهم عند ذاك وينجد[5]

وتصعد بين الأخشبين كتيبة ... لها حدج سهم وقوس ومرهد[6]

فمن ينشَ من حضّار مكة عزه ... فعزتنا في بطن مكة أتلد

---

(١) ويذكر في الصحيح ما أصاب المسلمين من الجهد حتى إنهم كانوا يأكلون ورق السمر والجلود اليابسة وكل ما تصل إليه أيديهم أى شيء كان .

(٢) بحرينا : يعني الذين بأرض الحبشة نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه . والأرود : الأرفق .

(٣) القرقر : الذليل ... (٤) المقلد : العنق

(٥) الحراث المكتسب ... (٦) الحدج الحمل . والمرهد : الناعم أى السيف الناعم بالرى من الدماء .

نشأنا بها والناس فيها قلائل … فلم تنفكك نزداد خيراً ونحمد
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم … إذا جعلت أيدى المفيضين ترعد[١]
جزى الله رهطا بالحجون تتابعوا … على ملأ يهدى لحزم ويرشد
قعوداً لدى خطم الحجون كأنهم … مقاولة بل هم أعز وأمجد[٢]
أعان عليها كل صقر كأنه … إذا ماشى فى رفرف الدرع أحرد[٣]
جرئ على جلى الخطوب كأنه … شهاب بكفى قابس يتوقد[٤]
من الأكرمين من لؤى بن غالب … إذا سيم خسفا وجهه يتربد
طويل النجاد خارج نصف ساقه … على وجهه يسقى الغمام ويسعد
عظيم الرماد سيد وابن سيد … يحض على مقرى الضيوف ويحشد
ويبنى لأبناء العشيرة صالحا … إذا نحن طفنا فى البلاد ويمهد
ألظ بهذا الصلح كل مبرأ … عظيم اللواء أمره ثم يحمد[٥]
قضوا ما قضوا فى ليلهم ثم أصبحوا … على مهل وسائر الناس رقد
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضيا … وسر أبو بكر بها ومحمد
متى شرك الأقوام فى جل أمرنا … وكنا قديما قبلها نتودد
وكنا قديما لا نقر ظلامة … وندرك ما شئنا ولا نتشدد
فيالقصى هل لكم فى نفوسكم … وهل لكم فيما يجىء به غد
فإنى وإياكم كما قال قائل … لديك البيان لو تكلمت أسود[٦]

(١) المفيضون : الضاربون بقداح الميسر .
(٢) المقاولة : الملوك
(٣) رفرف الدرع : مافضل منه . والأحرد بطىء المشى لثقل ماعليه من لباس الحرب .
(٤) الجلى : الأمر العظيم (٥) ألظ : ألح .
(٦) أسود اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل ، فلم يعرف قاتله ؛ فقال أولياء المقتول هذه المقالة فذهبت مثلا . روض ١٢٩/٢ .

وقال حسان بن ثابت : يبكى المطعم بن عدى حين مات ، ويذكر قيامه فى نقض الصحيفة :

أيا عين فابكى سيد القوم واسفحى ... بدمع وإن أنزفته فاسكبى الدما
وبكّى عظيم المشعرين كليهما ... على الناس معروفا له ما تكلما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحداً ... من الناس ، أبقى مجده اليوم مُطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا ... عبيدك ما لبى مُهِــل وأحرما
فلو سئلت عنه معدٌّ بأسرها ... وقحطان أو باقى بقية جُرهما
لقالوا هو الموفى بخفرة جاره ... وذمته يوما إذا ما تذمما[1]
فما تطلع الشمس المنيرة فوقهم ... على مثله فيهم أعز وأعظما
وآبى إذا يأبى وألين شيمة ... وأنوم عن جار إذا الليل أظلما

قال ابن هشام : قوله « كليهما » عن غير ابن إسحاق :

قال ابن هشام : وأما قوله : « أجرت رسول الله منهم » ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن أهل الطائف ، ولم يجيبوه إلى مادعاهم إليه ، من تصديقه ونصرته ، صار إلى حراء ، ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ليجيره ، فقال : أنا حليف ، والحليف لا يجير . فبعث إلى سهيل بن عمرو ، فقال : إن بنى عامر لا تجير على بنى كعب . فبعث إلى المطعم بن عدى فأجابه إلى ذلك ، ثم تسلح المطعم وأهل بيته ، وخرجوا حتى أتوا المسجد ، ثم بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطاف بالبيت وصلى عنده ، ثم انصرف إلى منزله . فذلك الذى يعنى حسان بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا : يمدح هشام بن عمرو لقيامه فى الصحيفة :

هل يوفينّ بنو أميــة ذمة ... عقداً كما أوفى جوار هشام
من معشر لا يغدرون بجارهم ... للحارث بن حُبَيِّب بن سُخام
وإذا بنو حسل أجاروا ذمة ... أوفوا وأدوا جارهم بســلام

وكان هشام أحد سخام .

قال ابن هشام : ويقال : سخام

---

(١) الخفرة : العهد .

إسلام الطفيل بن عمرو الدوسى

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على ما يرى من قومه ، يبذل لهم النصيحة ، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه . وجعلت قريش ، حين منعه الله منهم ، يحذرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب .

وكان الطفيل بن عمرو الدوسى يحدث : أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى إليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلا شريفا شاعراً لبيبا ، فقالوا له : يا طفيل ، إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا[1] ، وقد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئا .

قال : فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه ، حتى حشوت فى أذنى حين غدوت إلى المسجد كرسفا[2] فرقا من أن يبلغنى شىء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه . قال : فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة . قال : فقمت منه قريبا ، فأبى الله إلا أن يسمعنى بعض قوله . قال : فسمعت كلاما حسنا . قال : فقلت فى نفسى : واثكل أمى ، والله إنى لرجل لبيب شاعر ما يخفى علىّ الحسن من القبيح ، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ! فإن كان الذى يأتى به حسنا قبلته ، وإن كان قبيحا تركته .

قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته فاتبعته ، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه ، فقلت : يا محمد ، إن قومك قد قالوا لى كذا وكذا ، للذى قالوا ، فوالله

---

(١) أعضل : اشتد أمره .

(٢) الكرسف : القطن .

ما برحوا يخوفونى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعنى قولك ، فسمعته قولا حسنا ، فاعرض علىّ أمرك . قال : فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، وتلا على القرآن ، فلا والله ماسمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه . قال : فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، وقلت : يا نبى الله ، إنى امرؤ مطاع فى قومى وأنا راجع إليهم ، وداعيهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم إليه فقال : اللهم اجعل له آية .

قال : فخرجت إلى قومى ، حتى إذا كنت بثنية [1] تطلعنى على الحاضر [2] وقع نور بين عينى مثل المصباح ؛ فقلت : اللهم فى غير وجهى ، إنى أخشى أن يظنوا أنها مُثْلة وقعت فى وجهى لفراق دينهم . قال : فتحول فوقع فى رأس سوطى . قال : فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور فى سوطى كالقنديل المعلق ، وأنا أهبط إليهم من الثنية ، قال : حتى جئتهم فأصبحت فيهم .

إسلام والد الطفيل وزوجه : قال : فلما نزلت أتانى أبى ، وكان شيخا كبيرا ، قال : فقلت : إليك عنى يا أبت ، فلست منك ولست منى ؛ قال : ولم يا بنى ؟ قال : قلت : أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قال : أى بنى ، فدينى دينك ؛ قال : فقلت : فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت . قال : فذهب فاغتسل ، وطهر ثيابه . قال : ثم جاء فعرضت عليه الإسلام ، فأسلم .

قال : ثم أتتنى صاحبتى ، فقلت : إليك عنى ، فلست منك ولست منى ؛ قالت : لم ؟ بأبى أنت وأمى ؛ قال : قلت : قد فرق بينى وبينك الإسلام ، وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قالت : فدينى دينك ؛ قال : قلت : فاذهبى إلى حنا ذى الشرى — قال ابن هشام : ويقال : حمى ذى الشرى — فتطهرى منه .

قال : وكان ذو الشرى صنما لدوس ، وكان الحمى حمى حموه له ، وبه وشل [3] من ماء يهبط من جبل .

---

(١) الثنية : ما انفرج بين الجبلين .

(٢) الحاضر : القبيلة النازلة على الماء .

(٣) الوشل : الماء القليل .

قال : فقلت بأبى أنت وأمى ، أتخشى على الصبية من ذى الشرى شيئا ؟ قال : قلت : لا ، أنا ضامن لذلك ، فذهبت فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام ، فأسلمت .

ثم دعوت دوسا إلى الإسلام ، فأبطئوا على ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقلت له : يا نبى الله ، إنه قد غلبنى على دوس الزنا[1] ، فادع الله عليهم ؛ فقال : اللهم اهد دوسا ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم . قال : فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدر وأحد والخندق ، ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معى من قومى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس ، ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، فأسهم لنا مع المسلمين .

ثم لم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا فتح الله عليه مكة ، قال : قلت : يا رسول الله ، ابعثنى إلى ذى الكفين ، صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه .

قال ابن إسحاق : فخرج إليه ، فجعل طفيل يوقد عليه النار ويقول :

يا ذا الكفَين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا[2]

إنى حشوت النار فى فؤادكا

قال : ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان معه بالمدينة حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم . فلما ارتدت العرب ، خرج مع المسلمين ، فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ، ومن أرض نجد كلها . ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ، ومعه ابنه عمرو بن الطفيل ، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة ، فقال لأصحابه : إنى قد رأيت رؤيا فاعبروها لى ، رأيت أن رأسى حلق ، وأنه خرج من فمى طائر ، وأنه لقيتنى امرأة فأدخلتنى فى فرجها ، وأرى ابنى يطلبنى حثيثا ، ثم رأيته حبس عنى ؛ قالوا : خيرا ؛ قال : أما أنا والله فقد أولتها ؛ قالوا : ماذا ؟ قال : أما حلق رأسى فوضعه ؛ وأما الطائر الذى خرج من فمى فروحى ؛ وأما المرأة التى أدخلتنى فرجها فالأرض تحفر لى ، فأغيب فيها ؛ وأما طلب ابنى إياى ثم حبسه عنى ، فإنى أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابنى . فقتل رحمه الله شهيدا باليمامة ، وجرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبل[3] منها ، ثم قتل عام اليرموك فى زمن عمر رضى الله عنه شهيدا .

---

(١) الزنا : لهو مع شغل القلب .

(٢) خفف الكفين لضرورة الشعر . (٣) استبل : شفى

قصة أعشى بنى قيس بن ثعلبة

قال ابن هشام حدثنى خلاد بن قرة بن خالد السدوسى وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم : أن أعشى بنى قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الإسلام ، فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمداً وبتّ كما بات السليم مسهداً(١)

وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيتَ قبل اليوم خلة مهددا(٢)

ولكن أرى الدهر الذى هو خائن إذا أصلحت كفّاى عاد فأفسدا

كهولا وشبانا فقدت وثروة فلله هذا الدهر كيف ترددا

وما زلت أبغى المال مذ أنا يافع وليداً وكهلا حين شبت وأمردا

وأبتذل العيس المراقيل تغتلى مسافة ما بين النُّجَير فصرخدا(٣)

ألا أيهذا السائلى أين يممت فإن لها فى أهل يثرب موعدا

فإن تسألى عنى فيارُبّ سائل حفىّ عن الأعشى به حيث أصعدا

أجدت برجليها النجاء وراجعت يداها خنانا لينا غير أحردا(٤)

وفيها إذا ما هجّرت عجرفية إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا(٥)

فآليت لا أرثى لها من كلالة ولا من حَفىً حتى تلاقى محمداً(٦)

---

(١) الأرمد من يشتكى الرمد والسليم : الملدوغ . والمسهد الذى منع من النوم .

(٢) مهدد : اسم امرأة .

(٣) العيس نوع من الإبل البيض التى تخالطها حمرة . والمراقيل : السريعة وتغتلى تتسابق والنجير والصرخد مكانان بعينهما .

(٤) النجاء : ضرب من السرعة والخناف : لوى يديها فى السير نشاطا والأحرد الذى يبطىء فى السير .

(٥) هجرت : مشت فى الهاجرة وهى الظهيرة والعجرفيه التى لاتهاب شيئاً والحرباء دوية يدور وجهها مع الشمس أنا دارت والأصيد المائل العنق .

(٦) أرثى : أشفق .

متى ما تناخى عند باب ابن هاشم ... تراحى وتلقى من فواضله ندى
نبيا يرى مالا ترون وذكره ... أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا
له صدقات ما تُغب ونائل ... وليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدَّك لم تسمع وصاة محمد ... نبي الإله حيث أوصى وأشهدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله ... فترصد للموت الذى كان أرصدا[1]
فإياك والميتات لا تقربنها ... ولا تأخذن سهما حديداً لتُفصدا
ولا النُّصب المنصوب لاتنسكُنَّه ... ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا[2]
ولا تقربن حرة كان سرها ... عليك حراما فانكحنْ أو تأبدا[3]
وذا الرحم القُربى فلا تقطعنه ... لعاقبة ولا الأسير المقيدا
وسبح على حين العشيات والضحى ... ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
ولا تسخرن من بائس ذى ضرارة ... ولا تحسبن المال للمرء مخلدا[4]

نهاية الأعشى : فلما كان بمكة أو قريبا منها ، اعترضه بعض المشركين من قريش ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم ، فقال له : يا أبا بصير ، إنه يحرم الزنا ؛ فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمر مالى فيه من أرب ؛ فقال له : يا أبا بصير ، فإنه يحرم الخمر ؛ فقال الأعشى : أما هذه فو الله إن فى النفس منها لعلالات ، ولكنى منصرف فأتروى منها عامى هذا ، ثم آتيه فأسلم(٥) . فانصرف فمات فى عامه ذلك ، ولم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أرصد : أعد .

(٢) وقف على النون الخفيفة بالألف ولذلك كتبت فى الخط بالألف لأن الوقف عليها بالألف وقيل إنه لم يرد النون الخفيفة ، وإنما خاطب الواحد بخطاب الاثنين .

(٣) تأبد : بعد عن النساء . (٤) ضرارة ضرورة .

(٥) قال السهيلى وهذه غفلة من ابن هشام ، ومن قال بقوله : فإن الناس مجمعون على أن الخمر لم تحريمها إلا بالمدينة بعد أن مضت بدر وأحد ، وحرمت فى سورة المائدة ، وهى من آخر ما نزل ، وفى الصحيحين من ذلك قصة حمزة حين شربها ، وغنته القينتان : ألا يا حمز ، للشرف النواء ، فبقر خواصر الشارفين ، واجتب أسنمتها .

أبو جهل يذل للرسول : قال ابن إسحاق : وقد كان عدو الله أبو جهل بن هشام مع عداوته لرسول الله صلى الله وسلم وبغضه إياه ، وشدته عليه ، يذله الله له إذا رآه .

أبو جهل والإراشى

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الملك بن عبد الله بن أبى سفيان الثقفى ، وكان واعية ، قال : قدم رجل من إراش — قال ابن هشام : ويقال إراشة — بإبل له مكة ، فابتاعها منه أبو جهل فطله بأثمانها . فأقبل الإراشى حتى وقف على ناد من قريش ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناحية المسجد جالس ، فقال : يامعشر قريش ، من رجل يؤديني[1] على أبى الحكم بن هشام فإنى رجل غريب ، ابن سبيل ، وقد غلبنى على حق ؟ قال : فقال له أهل ذلك المجلس : أترى ذلك الرجل الجالس — لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يهزءون به لما يعلمون مابينه وبين أبى جهل من العداوة — اذهب إليه فإنه يؤديك عليه .

فأقبل الإراشى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ياعبد الله إن أبا الحكم ابن هشام قد غلبنى على حق لى قبله ، وأنا رجل غريب ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدينى عليه ، يأخذ لى حقى منه ، فأشاروا لى إليك ، فخذ لى حقى منه ، يرحمك الله ؛ قال : انطلق إليه ، وقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قام معه . قالوا لرجل ممن معهم : اتبعه ، فانظر ماذا يصنع .

قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه . فقال : من هذا ؟ قال : محمد ، فاخرج إلى ، فخرج إليه ، وما فى وجهه من رائحة[2] ، قد انتقع لونه ، فقال : أعط هذا الرجل حقه ؛ قال : نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذى له ، قال : فدخل ، فخرج إليه قال : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للإراشى الحق بشأنك ، فأقبل الإراشى حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزاه الله خيراً ، فقد والله أخذ لى حقى .

= فإن صح خبر الأعشى ، وما ذكر له فى الخمر ، فلم يكن هذا بمكة ، وإنما كان بالمدينة ، ويكون القائل له : أما علمت أنه يحرم الخمر ، من المنافقين ، أو من اليهود ، فالله أعلم : وفى القصيدة ما يدل على هذا قوله : فإن لها فى أهل يثرب موعدا ، وقد ألفيت للقالى رواية عن أبى عبيدة قال : لقى الأعشى عامر بن الطفيل فى بلاد قيس ، وهو مقبل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكر له أنه يحرم الخمر ، فرجع ، فهذا أولى بالصواب ،

(١) يؤدينى : يساعدنى على استرداد حقى . (٢) ليس فيه قطرة دم .

قال : وجاء الرجل الذى بعثوا معه فقالوا : ويحك ! ماذا رأيت ؟ قال : عجبا من العجب والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه ، فخرج إليه وما معه روحه فقال له : أعط هذا حقه فقال: نعم ، لا تبرح حتى أخرج إليه حقه ، فدخل فخرج إليه بحقه ، فأعطاه إياه . قال : ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا ويلك ! مالك ؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط ! قال : ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب على بابى ، وسمعت صوته ، فملئت رعبا ، ثم خرجت إليـــه ، وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ، ما رأيت مثل هامته ، ولا قصرته ، ولا أنيابه لفحل قط ، والله لو أبيت لأكلنى .

أمر ركانة المطلبى ومصارعته للنبى صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، قال : كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف أشد قريش؛ فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض شعاب مكة ، فقال له رسول الله صلى الله عليـه وسلم : ياركانة ، ألا تتق الله وتقبل ما أدعوك إليـه ؟ قال : إنى لو أعلم أن الذى تقول حق لاتبعتك ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفرأيت إن صرعتك ، أتعلم أن ما أقول حق ؟ قال : نعم ، قال : فقم حتى أصارعك . قال : فقام إليه ركانة يصارعه ؛ فلما بطش به رسول الله صلى الله عليه وسلم أضجعه ، وهو لا يملك من نفسه شيئاً ، ثم قال : عد يا محمد ، فعاد فصرعه ، فقال ـ يا محمد والله إن هذا للعجب أتصرعنى؟! فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه ، إن اتقيت الله واتبعت أمرى ؛ قال : ما هو ؟ قال : أدعو لك هذه الشجرة التى ترى فتأتينى ؛ قال : ادعها ، فدعاها ، فأقبلت حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليـه وسلم . قال : فقال لها ارجعى إلى مكانك . قال : فرجعت إلى مكانها .

قال : فذهب ركانة إلى قومه فقال : يابنى عبد مناف ، ساحروا بصاحبكم أهـل الأرض ، فوالله ما رأيت أسحر منه قط ، ثم أخبرهم بالذى رأى والذى صنع .

قدوم وفد النصارى من الحبشة

قال ابن إسحاق : ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة ، عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه فى المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ، ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة ؛ فلما فرغوا من مسألة رسول الله

صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن . فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله ، وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره ، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام فى نفر من قريش فقالوا لهم : خيبكم الله من ركب ! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده ، حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال، ما نعلم ركبا أحمق منكم . أو كما قالوا . فقالوا لهم : سلام عليكم ، لانجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل أنفسنا خيراً .

ويقال : إن النفر من النصارى من أهل نجران ، فالله أعلم أى ذلك كان . فيقال — والله أعلم — فيهم نزلت هؤلاء الآيات « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يُتلى عليهم قالوا آمنا به ، إنه الحق من ربنا ، إنا كنا من قبله مسلمين » . . . إلى قوله « لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم لانبتغى الجاهلين » .

قال ابن إسحاق : وقد سألت ابن شهاب الزهرى عن هؤلاء الآيات فيمن أنزلن فقال لى : ما أسمع من علمائنا أنهن أنزلن فى النجاشى وأصحابه . والآية من سورة المائدة من قوله : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لايستكبرون » . . . إلى قوله : « فاكتُبنا مع الشاهدين » .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس فى المسجد ، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه : خبّاب ، وعمّار ، وأبو فكيهة يسار مولى صفوان بن أمية بن محرث وصُهيب ، وأشباههم من المسلمين ، هزئت بهم قريش ، وقال بعضهم لبعض : هؤلاء أصحابه كما ترون أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا بالهدى والحق ! لو كان ماجاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه ، وما خصهم الله به دوننا . فأنزل الله تعالى فيهم : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا ، أليس الله بأعلم بالشاكرين . وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا ، فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيم بلغنى — كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصرانى ، يقال له : جبر ، عبد لبنى الحضرمى ، فكانوا يقولون : والله ما يعلم محمداً كثيراً

عما يأتى به إلا جبر النصرانى ، غلام بنى الحضرمى . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر . لسان الذى يلحدون إليه أعجمى ، وهذا لسان عربى مبين » .

قال ابن هشام : يلحدون إليه : يميلون إليه . والإلحاد : الميل عن الحق .

قال رؤبة بن العجاج :

إذا تبع الضحاك كل ملحد

قال ابن هشام : يعنى الضحاك الخارجى ، وهذا البيت فى أرجوزة له .

سبب نزول سورة الكوثر

قال ابن إسحاق : وكان العاص بن وائل السهمى — فيما بلغنى — إذا ذُكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له لو مات لا نقطع ذكره واسترحتم منه ، فأنزل الله فى ذلك : « إنا أعطيناك الكوثر » ما هو خير لك من الدنيا وما فيها . والكوثر : العظيم .

معنى الكوثر : قال ابن إسحاق : قال لبيد بن ربيعة الكلابى :

وصاحب ملحوب فجعنا بيومه ... وعند الرداع بيت آخر كوثر

يقول : عظيم .

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له . وصاحب ملحوب : عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، مات بملحوب . وقوله : « وعند الرداع بيت آخر كوثر » : يعنى شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، مات بالرداع . وكوثرٌ : أراد : الكثير . ولفظه مشتق من لفظ الكثير . قال الكميت بن زيد يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان :

وأنت كثير يابن مروان طيب ... وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال أمية بن أبى عائذ الهذلى يصف حمار وحش :

يحامى الحقيقَ إذا ما احتدمن وحمحمن فى كوثر كالجلال[1]

يعنى بالكوثر : الغبار الكثير ، شبهه لكثرته عليه بالجلال . وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : حدثنى جعفر بن عمرو — قال ابن هشام : هو جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى — عن عبد الله بن مسلم أخى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل له : يارسول الله ، ما الكوثر الذى أعطاك الله ؟ قال : نهر كما بين صنعاء إلى أيلة ، آنيته كعدد نجوم السماء ، ترده طيور لها أعناق كأعناق الإبل . قال . يقول عمر بن الخطاب : إنها يارسول الله لناعمة ؛ قال : آكلها أنعم منها .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت فى هـذا الحديث أو غيره أنه قال صلى الله عليـه وسلم : من شرب منه لايظمأ أبداً .

نزول « وقالوا لولا نزل عليه ملك »

قال ابن إسحاق : ودعا رسول الله صلى الله عليـه وسلم قومه إلى الإسلام ، وكلمهم فأبلغ إليهم ، فقال زمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث ، والأسود بن عبد يغوث ، وأبىّ بن خلف والعاص بن وائل : لو جعل معك يامحمد ملك يحدث عنك الناس ويُرى معك ! فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : « وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لاينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم ما يلبسون » .

نزول « ولقد استهزىء برسل من قبلك »

قال ابن إسحاق : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — بالوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف وبأبى جهل بن هشام ، فهمزوه واستهزءوا به ، فغاظه ذلك . فأنزل الله تعالى

---

(١) الحقيق : ما يجب أن يحميه الإنسان ويريد هنا حماية أتنه ، والاحتدام سرعة الجرى والجلال ما تلبسه الدواب لحمايتها .

عليه فى ذلك من أمرهم : « ولقد استهزىء برسل من قبلك ، فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون » .

ذكر الإسراء والمعراج

قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال : ثم أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس من إيلياء وقد فشا الإسلام بمكة فى قريش ، وفى القبائل كلها .

قال ابن إسحاق : كان من الحديث فيما بلغنى عن مسراه صلى الله عليه وسلم ، عن عبد الله ابن مسعود ، وأبى سعيد الخدرى ، وعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعاوية بن أبى سفيان ، والحسن بن أبى الحسن البصرى ، وابن شهاب الزهرى ، وقتادة وغيرهم من أهل العلم وأم هانىء بنت أبى طالب ، ما اجتمع فى هذا الحديث ، كلٌّ يحدث عنه بعض ماذكر من أمره حين أسرى به صلى الله عليه وسلم ، وكان فى مسراه ، وما ذكر عنه بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله عز وجل فى قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق ، وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين ، فأسرى به سبحانه وتعالى كيف شاء ليريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التى يصنع بها مايريد .

رواية ابن مسعود عن الاسراء : فكان عبد الله بن مسعود — فيما بلغنى عنه — يقول :

أُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق — وهى الدابة التى كانت تحمل عليها الأنبياء قبله ، تضع حافرها فى منتهى طرفها — فحُمل عليها ، ثم خرج به صاحبه ، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم الخليل وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء قد جُمعوا له ، فصلى بهم . ثم أُتى بثلاثة آنية ، إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء . قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فسمعت قائلا يقول حين عرضت على : إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته ، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمته ، وإن أخذ اللبن هدى وهديت أمته . قال : فأخذت إناء اللبن ، فشربت منه ، فقال لى جبريل عليه السلام : هديت وهديت أمتك يامحمد .

رواية الحسن : قال ابن إسحاق : وحدثت عن الحسن أنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : بينا أنا نائم فى الحجر ، إذ جاءنى جبريل ، فهمزنى بقدمه ، فجلست فلم أر شيئاً ، فعدت إلى مضجعى ، فجاءنى الثانية فهمزنى بقدمه ، فجلست ، فلم أر شيئاً ، فعدت إلى مضجعى ، فجاءنى الثالثة فهمزنى بقدمه ، فجلست ، فأخذ بعضدى ، فقمت معه ، فخرج بى إلى باب المسجد فإذا دابة أبيض ، بين البغل والحمار ، فى فخذيه جناحان يحفز[1] بهما رجله ، يضع يده فى منتهى طرفه ، فحملنى عليه ، ثم خرج معى لايفوتنى ولا أفوته .

رواية قتادة :قال ابن إسحاق : وحُدثت عن قتادة أنه قال : حُدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما دنوت منه لأركبه شمس[2] ، فوضع جبريل يده على معرفته ، ثم قال : ألا تستحى يابراق[3] مما تصنع ، فوالله ماركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه . قال : فاستحيا حتى ارفض[4] عرقا ، ثم قر حتى ركبته .

عود إلى رواية الحسن : قال الحسن فى حديثه : فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومضى جبريل عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء ، فأمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ، ثم أتى بإناءين ، فى أحدهما خمر ، وفى الآخر لبن . قال : فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إناء اللبن ، فشرب منه ، وترك إناء الخمر . قال : فقال له جبريل : هديت للفطرة ، وهديت أمتك يامحمد ، وحرمت عليكم الخمر . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، فلما أصبح غدا على قريش فأخبرهم الخبر . فقال أكثر الناس : هذا والله الإمر[5] البين ، والله إن العير لتطرد شهرا من مكة إلى الشام مدبرة ، وشهراً مقبلة ، أفيذهب ذلك محمد فى ليلة واحدة ، ويرجع إلى مكة ؟! قال : فارتد كثير ممن كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبى بكر ، فقالوا له : هل لك يا أبا بكر فى صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة . قال : فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ؛ فقالوا بلى ، هاهو ذاك فى المسجد يحدث به

---

(١) الحفز : الدفع .

(٢) شمس : حرن .

(٣) وإنما نفر لبعد عهد البراق بركوب الأنبياء .

(٤) ارفض : سال .

(٥) الإمر : العجيب .

الناس ؛ فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يانبى الله . أحدثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم ؛ قال : يانبى الله ، فصفه لى ، فإنى قد جئته — قال الحسن : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرفع لى حتى نظرت إليه — فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لأبى بكر ، ويقول أبو بكر : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، كلما وصف له منه شيئاً ، قال : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، حتى إذا انتهى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : وأنت يا أبا بكر الصديق ؛ فيومئذ سماه الصديق .

قال الحسن : وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن إسلامه لذلك : « وماجعلنا الرؤيا التى أريناك إلافتنة للناس ، والشجرة الملعونة فى القرآن ، ونخوفهم ، فما يزيدهم إلا طغيانا كبيراً » .

فهذا حديث الحسن عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما دخل فيه من حديث قتادة .

رواية عائشة : قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض آل أبى بكر : أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم كانت تقول : مافقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله أسرى بروحه .

رواية معاوية : قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن معاوية بن أبى سفيان ، كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كانت رؤيا من الله تعالى صادقة .

الاسراء رؤيا : فلم ينكر ذلك من قولهما ، لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت فى ذلك ، قول الله تبارك وتعالى : « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس » ، ولقول الله تعالى فى الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال لابنه : « يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك » ثم مضى على ذلك . فعرفت أن الوحى من الله يأتى الأنبياء أيقاظا ونياما .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — يقول : تنام عيناى وقلبى يقظان . والله أعلم أى ذلك كان قد جاءه ، وعاين فيه ماعاين ، من أمر الله ، على أى حاليه كان : نائما ، أو يقظان ، كل ذلك حق وصدق .

وصف ابراهيم وموسى وعيسى : قال ابن إسحاق : وزعم الزهرى عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رآهم فى تلك الليلة ، فقال : أما إبراهيم ، فلم أر رجلا أشبه قط بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ؛ وأما موسى فرجل آدم طويل ضرب جعد أقنى[1] كأنه من رجال شنوءة[2] ؛ وأما عيسى بن مريم ، فرجل أحمر ، بين القصير والطويل ، سبط الشعر ، كثير خيلان[3] الوجه ، كأنه خرج من ديماس[4] : تخال رأسه يقطر ماء ، وليس به ماء أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفى .

على يصف الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن هشام وكانت صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عمر مولى غفره عن إبراهيم بن محمد بن على بن أبى طالب قال : كان على ابن أبى طالب عليه السلام : إذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لم يكون بالطويل الممغط[5] : ولا القصير المتردد ، وكان ربعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القطط[6] ولا السبط : كان جعداً رجلا[7] : ولم يكن بالمطهم[8] ولا المكلثم[9] : وكان أبيض مشربا : أدعج[10] العينين : أهدب الأشفار[11] : جليل المشاش والكتد[12] : دقيق المسربة[13] : أجرد[14] شثن[15] الكفين والقدمين : إذا مشى تقلع[16] : كأنما يمشى فى صبب : وإذا التفت التفت معا : بين كتفيه خاتم النبوة : وهو خاتم النبيين : أجود الناس كفا ، وأجرأ الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى الناس ذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه أحبه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ، صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الضرب : خفيف اللحم والجعد المتكسر الشعر والأقنى المرتفع الأنف .
(٢) شنوءة : قبيلة .
(٣) الخيلان : الشامات السوداء :
(٤) الديماس : الحمام .
(٥) الممغط : الممتد .
(٦) القطط : الشديد خشونة الشعر .
(٧) رجلا مسرح الشعر .
(٨) المطهم : كثير اللحم .
(٩) المكلثم : المستدير الوجه .
(١٠) الدعج : سواد العيون .
(١١) أهدب الأشفار : طويلها .
(١٢) المشاس : عظام رءوس المفاصل والكتد ما بين الكتفين .
(١٣) المسربة : الشعر الممتد من الصدر إلى السرة .
(١٤) الجرد : قلة شعر الجسم .
(١٥) شثن : غليظ .
(١٦) تقلع لم يثبت قدميه .

رواية أم هانىء عن الاسراء : قال محمد بن إسحاق : وكان فيما بلغنى عن أم هانىء بنت أبى طالب رضى الله عنها : واسمها هند : فى مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنها كانت تقول : ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو فى بيتى : نائم عندى تلك الليلة فى بيتى ، فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا [١] رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما صلى الصبح وصلينا معه ، قال : يا أم هانىء ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين ، ثم قام ليخرج ، فأخذت بطرف ردائه ، فتكشف عن بطنه كأنه قبطية [٢] مطوية ، فقلت له : يانبى الله : لاتحدث بهذا الناس فيكذبوك ويؤذوك ؛ قال : والله لأحدثنهموه. قالت : فقلت لجارية لى حبشية : ويحك اتبعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تسمعى ما يقول للناس ، وما يقولون له . فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس أخبرهم : فعجبوا وقالوا : ما آية ذلك يا محمد ؟ فإنا لم نسمع بمثل هذا قط ؛ قال آية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا : فأنفرهم حس الدابة ، فندلهم بعير ، فدللتهم عليه ، وأنا متوجه إلى الشام . ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان [٣] مررت بعير بنى فلان : فوجدت القوم نيام : ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشىء : فكشفت غطاءه وشربت ما فيه : ثم غطيت عليه كما كان ؛ وآية ذلك أن غيرهم الآن يصوب [٤] من البيضاء : ثنية التنعيم : يقدمها جمل أورق ، عليه غرارتان : إحداهما سوداء ، والأخرى برقاء . قالت : فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل [٥] كما وصف لهم : وسألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءاً ماء ثم غطوه ، وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه ، ولم يجدوا فيه ماء . وسألوا الآخرين وهم بمكة : فقالوا : صدق والله ، لقد أنفرنا فى الوادى الذى ذكر ، وند لنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه ، حتى أخذناه .

قصة المعراج

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لما فرغت مما كان فى بيت المقدس ، أتى بالمعراج ، ولم أر شيئا قط أحسن منه : وهو الذى يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر ؛ فأصعدنى صاحبى فيه ؛ حتى

---

(١) أيقظنا . (٢) القبطية : ثياب تنسج بمصر من الكتان .
(٣) جبل يبعد عن مكة حوالى ٤٠ كيلو متر .
(٤) يصوب : ينزل . البيضاء : مكان قرب مكة .
(٥) أى كان الجمل المذكور أول ما لقيهم .

انتهى بى إلى باب من أبوب السماء ، يقال له : باب الحفظة ، عليه ملك من الملائكة ، يقال له : إسماعيل ، تحت يديه اثنا عشر ألف ملك ، تحت يدى كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك — قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حدث بهذا الحديث : وما يعلم جنود ربك إلا هو — فلما دُخل بى ، قال : من هذا ياجبريل ؟ قال : محمد . قال : أو قد بعث ؟ قال : نعم . قال : فدعا لى بخير : وقاله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم عمن حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : تلقتنى الملائكة حين دخلت السماء الدنيا ، فلم يلقنى ملك إلا ضاحكا مستبشرا ، يقول خيرا ويدعو به حتى لقينى ملك من الملائكة ، فقال مثل ما قالوا ، ودعا بمثل ما دعوا به ، إلا أنه لم يضحك ، ولم أر منه البشر مثل ما رأيت من غيره ، فقلت لجبريل يا جبريل من هذا الملك الذى قال لى كما قالت الملائكة ولم يضحك ، ولم أر منه من البشر مثل الذى رأيت من غيره ؟ قال : فقال لى جبريل : أما إنه لو ضحك إلى أحد كان قبلك ، أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك ، لضحك إليك ، ولكنه لا يضحك ، هذا مالك صاحب النار . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت لجبريل ، وهو من الله تعالى بالمكان الذى وصف لكم « مطاع ثم أمين » ألا تأمره أن يرينى النار ؟ فقال : بلى ، يامالك ، أر محمداً النار . قال : فكشف عنها غطاءها ، ففارت وارتفعت ، حتى ظننت لتاخذن ما أرى . قال : فقلت لجبريل : يا جبريل ، مره فليردها إلى مكانها . قال : فأمره ، فقال لها : اخبى ، فرجعت إلى مكانها الذى خرجت منه . فما شبهت رجوعها إلا وقوع الظل . حتى إذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاءها .

قال أبو سعيد الخدرى فى حديثه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لما دخلت السماء الدنيا ، رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بنى آدم ، فيقول لبعضها إذا عرضت عليه خيراً ويسر به ، ويقول : روح طيبة خرجت من جسد طيب ؛ ويقول لبعضها إذا عرضت عليه : أف ، ويعبس بوجهه ويقول : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث . قال : قلت من هذا ياجبريل ؟ قال هذا أبوك آدم ، تعرض عليه أرواح ذريته ، فإذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها . وقال : روح طيبة خرجت من جسد طيب . وإذا مرت به روح الكافر منهم أنف منها وكرهها ، وساءه ذلك ، وقال : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث .

قال : ثم رأيت رجالا لهم مشافر كمشافر : الإبل ، فى يديهم قطع من نار كالأفهار ، يقذفونها فى أفواههم ، فتخرج من أدبارهم . فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما .

قال : ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون [١] ، يمرون عليهم كالإبل المهيومة [٢] حين يعرضون على النار ، يطئونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك . قال : قلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا .

قال : ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم ثمين طيب ، إلى جنبه لحم غث منتن ، يأكلون من الغث المنتن ، ويتركون السمين الطيب . قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال :هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ، ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم ينهن .

قال : ثم رأيت نساء معلقات بثديهن ، فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتى أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى جعفر بن عمرو ، عن القاسم بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم ، فأكل حرائبهم [٣] ، وطلع على عوراتهم .

ثم رجع إلى حديث أبى سعيد الخدرى ، قال : ثم أصعدنى إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة : عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا ، قال : ثم أصعدنى إلى السماء الثالثة ، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر ؛ قال : قلت : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أخوك يوسف بن يعقوب . قال : ثم أصعدنى إلى السماء الرابعة ، فإذا فيها رجل فسألته : من هو ؟ قال : هذا إدريس — قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ورفعناه مكانا عليا — قال : ثم أصعدنى إلى السماء الخامسة فاذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية ، عظيم العثنون [٤] ، لم أر كهلا أجمل منه ، قال قلت : من هذا ياجبريل ؟قال : هذا المحبب فى قومه هارون بن عمران.

---

(١) وذلك أن آل فرعون أشد الناس عذابا يوم القيامة . يقول الله سبحانه وتعالى « ادخلوا آل فرعون أشد العذاب » .

(٢) المهيومة : العطاش .

(٣) الحرائب : الأموال .

(٤) عظيم اللحية .

قال ثم أصعدنى إلى السماء السادسة ، فإذا فيها رجل آدم [1] طويل أقنى [2] ، كأنه من رجال شنوءة ؛ فقلت له : من هذا ياجبريل ؟ قال هذا أخوك موسى بن عمران . ثم أصعدنى إلى السماء السابعة ، فاذا فيها كهل جالس على كرسى إلى باب البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة . لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه؛ قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال هذا أبوك إبراهيم . قال : ثم دخل بى الجنة ، فرأيت فيها جارية لعساء [3] فسألتها : لمن أنت ؟ وقد أعجبتنى حين رأيتها ؛ فقالت : لزيد بن حارثة ، فبشر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق : ومن حديث بن مسعود رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن فى دخولها : من هذا يا جبريل ؟ فيقول : محمد ؛ فيقولون : أو قد بعث إليه ؟ فيقول : نعم ؛ فيقولون : حياه الله من أخ وصاحب ، حتى انتهى به إلى السماء السابعة ، ثم انتهى به إلى ربه ، ففرض عليه خمسين صلاة فى كل يوم ،

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأقبلت راجعا ، فلما مررت بموسى بن عمران ، ونعم الصاحب كان لكم ، سألنى كم فرض عليك من الصلاة ؟ فقلت خمسين صلاة كل يوم ؛ فقال : إن الصلاة ثقيلة ، وإن أمتك ضعيفة ، فارجع إلى ربك ، فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك. فرجعت فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى ، فوضع عنى عشرا . ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك ؛ فرجعت فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى : ، فوضع عنى عشراً . ثم انصرفت فمررت على موسى ، فقال لى مثل ذلك ؛ فرجعت فسألت ربى فوضع عنى عشراً . ثم لم يزل يقول لى مثل ذلك ، كلما رجعت إليه ، قال : فارجع : فاسأل ربك ، حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عنى ، إلا خمس صلوات فى كل يوم وليلة . ثم رجعت إلى موسى ، فقال لى مثل ذلك ، فقلت : قد راجعت ربى وسألته ، حتى استحييت منه ، فما أنا بفاعل .

فمن أداهن منكم إيمانا بهن ، واحتسابا لهن ، كان له أجر خمسين صلاة .

---

(١) الآدم : الأسود . (٢) الأقنى المرتفع قصبة الأنف .

(٣) اللعساء من لها حمرة فى شفتيها تضرب إلى السواد .

المستهزئون بالرسول وكفاية الله أمرهم

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله تعالى صابرا محتسبا ، مؤديا إلى قومه النصيحة على ما يلقى منهم من التكذيب والأذى وكان عظماء المستهزئين ، كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ، خمسة نفر من قومهم ، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم .

من بني أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب : الأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغني — قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه ، فقال: اللهم أعم بصره ، وأثكله ولده .

ومن بني زهرة بن كلاب : الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة .

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة : الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : العاص بن وائل بن هشام .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سُعيد بن سهم .

ومن بني خزاعة : الحارث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو بن ملكان .

فلما تمادوا في الشر ، وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء ، أنزل الله تعالى عليه « فاصدع بما تومر وأعرض عن المشركين ، إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون » .

قال ابن إسحاق فحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، أو غيره من العلماء أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يطوفون بالبيت ، فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فمر به الأسود بن المطلب ، فرمى في وجهه بورقة خضراء ، فعمي ومر به الأسود بن عبد يغوث ، فأشار إلى بطنه ، فاستسقى بطنه فمات منه حبنا [1] . ومر به الوليد

---

(١) الحبن : انتفاخ من داء .

ابن المغيرة ، فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله ، كان أصابه قبل ذلك بسنين ، وهو يجر سبله [1] ، وذلك أنه مر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له ، فتعلق سهم من نبله بإزاره ، فخدش فى رجله ذلك الخدش ، وليس بشىء ، فانتقض به فقتله . ومر به العاص بن وائل ، فأشار أخمص رجله وخرج على حمار له يريد الطائف ، فربض به على شبارقة [2] ، فدخلت فى أخمص رجله شوكة فقتلته . ومر به الحارث بن الطلاطلة ، فأشار إلى رأسه فامتخض قيحا ، فقتله .

قصة أبى أزيهر الدوسى

قال ابن إسحاق : فلما حضرت الوليد الوفاة دعا بنيه وكانوا ثلاثة : هشام بن الوليد ، والوليد بن الوليد ، وخالد بن الوليد ، فقال لهم : أى بنى ، أوصيكم بثلاث ، فلا تضيعوا فيهن : دمى فى خزاعة فلا تطلنه [3] ، والله إنى لأعلم أنهم منه برآء ، ولكنى أخشى أن تسبوا به بعد اليوم ؛ وربای فى ثقيف ، فلا تدعوه حتى تأخذوه ؛ وعقرى عند أبى أزيهر ، فلا يفوتنكم به . وكان أبو أزيهر قد زوجه بنتا ، ثم أمسكها عنه ، فلم يدخلها عليه حتى مات .

فلما هلك الوليد بن المغيرة وثبت بنو مخزوم على خزاعة يطلبون منهم عقل الوليد ، وقالوا : إنما قتله سهم صاحبكم — وكان لبنى كعب حلف من بنى عبد المطلب بن هاشم — فأبت عليهم خزاعة ذلك ، حتى تقاولوا أشعاراً ، وغلظ بينهم الأمر — وكان الذى أصاب الوليد سهمه رجلا من بنى كعب بن عمرو من خزاعة — فقال عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم .

إنى زعيم أن تسيروا فتهربوا ... وأن تتركوا الظهران تعوى ثعالبه [4]
وأن تتركوا ماء بجزعة أطرقا ... وأن تسألوا أى الأراك أطايبه ؟ [5]
فإنا أناس لاتطل دماؤنا ... ولا يتعالى صاعداً من نحاربه [6]

---

(١) فضول ثيابه .   (٢) شجرة عالية .   (٣) لاتهدرنه .
(٤) الزعيم الضامن والظهران واد قريب من مكة .
(٥) الجزعة : ما انثنى من الوادى : أطرقا : اسم لموضع .
(٦) تطل : تهدر .

وكانت الظهران والأراك منازل بنى كعب ، من خزاعة .. فأجابه الجون بن أبى الجون ، أخو بنى كعب بن عمرو الخزاعى ، فقال :

والله لا نؤتى الوليد ظلامة ... ولما تروا يوما تزول كواكبه
ويصرع منكم مُسمن بعد مسمن ... وتفتح بعد الموت قسراً مشاربه (١)
إذا ما أكلتم خبزكم وخزيركم ... فكلكم باكى الوليد ونادبه (٢)

ثم إن الناس ترادوا وعرفوا أنما يخشى القوم السبة فأعطتهم خزاعة بعض العقل وانصرفوا عن بعض . فلما اصطلح القوم قال الجون بن أبى الجون :

وقائلة لما اصطلحنا تعجبا ... لما قد حملنا للوليد وقائل
ألم تقسموا تؤتوا الوليد ظلامة ... ولما تروا يوما كثير البلابل (٣)
فنحن خلطنا الحرب بالسلم فاستوت ... فأمّ هواه آمنا كل راحل

ثم لم ينته الجون بن أبى الجون حتى افتخر بقتل الوليد ، وذكر أنهم أصابوه ، وكان ذلك باطلا . فلحق بالوليد وبولده وقومه من ذلك ما حذر فقال الجون بن أبى الجون :

ألا زعم المغيرة أن كعبا ... بمكة منهم قدر كبير
فلا تفخر مغيرة أن تراها ... بها يمشى المعلهج والمهير (٤)
بها آباؤنا وبها وُلدنا ... كما أرسى بمثبته ثبير (٥)

---

(١) المسمن : الشريف الظاهر بين الناس .

(٢) الخزير : نوع من الحساء .

(٣) تؤتو : يريد أن تؤتوا والمعنى أن لا تؤتوا كما قال تعالى « يبين الله لكم أن تضلوا » أى أن لا تضلوا والبلابل : الوساوس الفكرية .

(٤) المعلهج : المتردد فى الإماء فهو منحوت من أصلين من العلج لأن الأمة علجة ، ومن اللهج : كأن واطىء الأمة قد لهج بها ، والمهير ابن المهيرة الحرة .

(٥) ثبير : جبل بمكة .

وما قال المغيرة ذاك إلا ليعلم شأننا أو يستثير
فإن دم الوليد يُطل إنا نطل دماء أنت بها خبير
كساه الفاتك الميمون سهما زعافا وهو ممتلىء بهير[1]
فخر ببطن مكة مسلحبا كأنه عند وجبته بعير
سيكفيني مطال أبي هشام صغار جعدة الأوبار خور

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحدا أقذع فيه .

قال ابن إسحاق : ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر ، وهو بسوق ذي المجاز وكانت عند أبي سفيان بن حرب عاتكة : بنت أبي أزيهر ، وكان أبو أزيهر رجلا شريفا في قومه — فقتله بعقر الوليد الذي كان عنده ، لوصية أبيه إياه ، وذلك بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر ، وأصيب به من أصيب من أشراف قريش من المشركين ؛ فخرج يزيد بن أبي سفيان ، فجمع بني عبد مناف ، وأبو سفيان بذي المجاز ، فقال الناس : أخفر أبو سفيان في صهره ، فهو ثائر به . فلما سمع أبو سفيان بالذي صنع ابنه يزيد — وكان أبو سفيان رجلا حليما منكراً يحب قومه حبا شديداً — انحط سريعاً إلى مكة ، وخشي أن يكون بين قريش حدث في أبي أزيهر ، فأتى ابنه وهو في الحديد ، في قومه من بني عبد مناف والمطيبين ، فأخذ الرمح من يده ، ثم ضرب به على رأسه ضربة هدّه منها ، ثم قال له : قبحك الله ! أتريد أن تضرب قريشا بعضهم ببعض في رجل من دوس . سنؤتيهم العقل إن قبلوه ، وأطفأ ذلك الأمر .

فانبعث حسان بن ثابت يحرض في دم أبي أزيهر ، ويعير أبا سفيان خفرته ويجبّنه ، فقال :

غدا أهل ضوجي ذي المجاز كليهما وجار ابن حرب بالمغمس ما يغدو[2]
ولم يمنع العير الضروط ذماره وما منعت مخزاة والدها هند[3]

---

(١) البهير : منقطع النفس .
(٢) ضوجي : ما انعطف من الوادي والمغمس موضع بطريق الطائف .
(٣) الذمار : ما تجب رعايته . وهند بنت أبي سفيان .

كساك هشام بن الوليد ثيابه فأبل وأخلف مثلها جدداً بعد

قضى وطراً منه فأصبح ماجداً وأصبحت رخوا ماتخب وماتعدو[1]

فلو أن أشياخا ببدر تشاهدوا لبل نعال القوم معتبط ورد[2]

فلما بلغ أبا سفيان قول حسان قال : يريد حسان أن يضرب بعضنا ببعض فى رجل من دوس ! بئس والله ما ظن !

ولما أسلم أهل الطائف كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى ربا الوليد الذى كان فى ثقيف ، لما كان أبوه أوصاه به .

قال ابن إسحاق : فذكر لى بعض أهل العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم مابقى من الربا بأيدى الناس نزلن فى ذلك من طلب خالد الربا « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين » إلى آخر القصة فيها .

دوس تحاول الثأر لأبى أزيهر : ولم يكن فى أبى أزيهر ثأر نعلمه ، حتى حجز الإسلام بين الناس ؛ إلا أن ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهرى خرج فى نفر من قريش إلى أرض دوس ، فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان ، مولاة لدوس ، وكانت تمشط النساء ، وتجهز العرائس ، فأرادت دوس قتلهم بأبى أزيهر ، فقامت دونهم أم غيلان ونسوة معها ، حتى منعتهم ، فقال ضرار بن الخطاب فى ذلك :

جزى الله عنا أم غيلان صالحا ونسوتها إذ هن شعث عواطل

فهن دفعن الموت بعد اقترابه وقد برزت للثائرين المقاتل

دعت دعوة دوسا فسالت شعابها[3] بعز وأدتها الشراج القوابل[4]

---

(١) الخبب ضرب من السير .

(٢) المعتبط الورد : الدم العبيط وهو الطرى .

(٣) الشعاب : جمع شعب وهو مسيل الماء فى الحرة .

(٤) الشراج : جمع شرج : مسيل الماء . والقوابل : المتقابلة .

وعمراً جزاه الله خيراً فاتوني ... وما بردت منــه لدىَّ المفاصل
فجــردت سيفي ثم قمت بنصله ... وعن أى نفس بعد نفسي أقاتل

أم غيلان وأم جميل : قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة : أن التى قامت دون ضرار أم جميل ، ويقال أم غيلان ؛ قال ويجوز أن تكون أم غيلان قامت مع أم جميل فيمن قام دونه .

فلما قام عمر بن الخطاب أتته أم جميل ، وهى ترى أنه أخوه : فلما انتسبت له عرف القصة فقال : إنى لست بأخيه إلا فى الإسلام ، وهو غاز ، وقد عرفت منتك عليه ، فأعطاها على أنها ابنة سبيل .

قال الراوى : قال ابن هشام : وكان ضرار لحق عمر بن الخطاب يوم أحد ، فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول : انج يابن الخطاب لا أقتلك ؛ فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه .

وفاة أبى طالب وخديجة وما عاناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدهما

قال ابن إسحاق : وكان النفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته أبا لهب ، والحكم بن العاص بن أمية ، وعقبة بن أبى معيط ، وعدى بن حمراء الثقفى ، وابن الأصداء الهذلى؛ وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبى العاص ، فكان أحدهم — فيما ذكر لى — يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رحم الشاة وهو يصلى ، وكان أحدهم يطرحها فى برمته[1] إذا نصبت له ، حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجراً[2] يستتر به منهم إذا صلى ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طرحوا عليه ذلك الأذى ؛ كما حدثنى عمر بن عبد الله بن عروة ابن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، يخرج به رسول الله صلى الله عليه وسلم على العود ، فيقفه به على بابه ، ثم يقول : يا بنى عبد مناف ، أى جوار هذا ! ثم يلقيه فى الطريق .

قال ابن إسحاق : ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا فى عام واحد ، فتتابعت على

---

(١) البرمة : القدر من الحجر .
(٢) الحجر : كل ما حجرته من حائط ونحوه .

رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الإسلام ، يشكو إليها ؛ وبهلك عمه أبى طالب ، وكان له عضداً وحرزاً فى أمره ، ومنعة وناصرا على قومه ، وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين . فلما هلك أبو طالب . نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تكن تطمع به فى حياة أبى طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه ترابا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، قال :

لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التراب ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته ، فجعلت تغسل عنه التراب وهى تبكى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : لاتبكى يابنية ، فإن الله مانع أباك . قال : ويقول بين ذلك : ما نالت منى قريش شيئاً أكرهه ، حتى مات أبو طالب .

المشركون يطلبون عهدا بينهم وبين الرسول قبل موت أبى طالب : قال ابن إسحاق ولما اشتكى أبو طالب ، وبلغ قريشا ثقله ، قالت قريش بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمر محمد فى قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا الى أبى طالب ، فيأخذ لنا على ابن أخيه ، وليعطه منا ، والله مانأمن أن يبتزونا[1] أمرنا .

قال ابن اسحاق : فحدثنى العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس عن بعض أهله ، عن ابن عباس ، قال : مشوا إلى أبى طالب فكلموه ؛ وهم أشرف اقومه : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب ، فى رجال من أشرافهم فقالوا : يا أبا طالب ، إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرك ما ترى ، وتخوفنا عليك ، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك ، فادعه ، فخذ له منا ، وخذ لنا منه ، ليكف عنا ، ونكف عنه ، وليدعنا وديننا ، وندعه ودينه ؛ فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه ، فقال : يابن أخى : هؤلاء أشراف قومك ، قد اجتمعوا لك ، ليعطوك ، وليأخذوا منك . قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم . قال فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعشر كلمات ؛ قال : تقولون : لا إله إلا الله ، وتخلعون ماتعبدون

---

(١) ابتزه أمره : غلبه عليه .

من دونه . قال : فصفقوا بأيديهم ، ثم قالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلها واحدا ، إن أمرك لعجب ! قال بعضهم لبعض : انه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم ، حتى يحكم الله بينكم وبينه . قال : ثم تفرقوا .

رجاء الرسول إسلام أبي طالب : فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : والله يا ابن أخي ، ما رأيتك سألتهم شططا ؛ قال : فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في إسلامه ، فجعل يقول له : أي عم ، فأنت فقلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة قال : فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ، قال : يا ابن أخي ، والله لولا مخافة السُّبة عليك وعلى بني أبيك من بعدي ، وأن تظن قريش أني انما قلتها جزعا من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرك بها . قال : فلما تقارب من أبي طالب الموت قال : نظر العباس إليه يحرك شفتيه ، قال : فأصغى إليه بأذنه ، قال : فقال يا ابن أخي ، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أسمع .

ما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب : قال : وأنزل الله تعالى في الرهط الذين كانوا اجتمعوا إليه ، وقال لهم ما قال ، وردوا عليه ما ردوا : « ص والقرآن ذي الذكر ، بل الذين كفروا في عزة وشقاق » . إلى قوله تعالى : « أجعل الآلهة إلها واحداً، إن هذا لشيء عُجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ، إن هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة » يعنون النصارى ، لقولهم : « إن الله ثالث ثلاثة » — « إن هذا إلا اختلاق » ثم هلك أبو طالب .

سعي الرسول إلى الطائف وموقف ثقيف منه

قال ابن إسحاق : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل ، فخرج إليهم وحده .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، عمد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ،

وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو ابن عمير بن عوف بن عُقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح ، فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم إلى الله ، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه ؛ فقال له أحدهم : هو يمرط[1] ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ؛ وقال الآخر : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً . لئن كنت رسولا من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ، ما ينبغي لى أن أكلمك . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم — فيما ذكر لى — : إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عنى ، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه ، فيذئرهم[2] ذلك عليه . قال ابن هشام : قال عبيد بن الأبرص :

ولقد أتانى عن تميم أنهم ذئروا لقتلى عامر وتعصبوا

فلم يفعلوا ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجئوه إلى حائط[3] لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد إلى ظل حبلة[4] من عنب ، فجلس فيه . وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقى من سفهاء أهل الطائف ، وقد لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذكر لى — المرأة التى من بنى جمح ، فقال لها : ماذا لقينا من أحمائك ؟

فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال — فيما ذكر لى — : اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى[5] ؟ أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العُتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

---

(١) يمرطه : ينزعه ويرمى به .
(٢) يذئرهم : يثيرهم .
(٣) الحائط : الحديقة .
(٤) حبلة : شجرة العنب .
(٥) تجهم فلانا : استقبله بوجه كريه .

قال : فلما رآه ابنا ربيعة ، عتبةوشيبة ، ومالقى ، تحركت له رحمهما[1] ، فدعوا غلاما لهما نصرانيا ، يقال له عدّاس ، فقالا له : خذ قطفامن هذا العنب ، فضعه فى هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه . ففعل عداس ، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال له : كل ، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده ، قال : باسم الله ، ثم أكل ، فنظر عداس فى وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أهل أى البلاد أنت يا عداس ، وما دينك ؟ قال : نصرانى ، وأنا رجل من أهل نينوى ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؛ فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخى ، كان نبيا وأنا نبى ، فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه .

قال : يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءهما عداس قالا له : ويلك يا عداس ! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : ياسيدى ، ما فى الأرض شىء خير من هذا ، لقد أخبرنى بأمر مايعلمه إلا نبى ؛ قالا له : ويحك يا عداس ، لايصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه .

وفد جن نصيبين : قال : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا إلى مكة ، حين يئس من خير ثقيف ، حتى إذا كان بنخلة[2] قام من جوف الليل يصلى ، فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهم — فيما ذكر لى — سبعة نفر من جن أهل نصيبين فاستمعوا له ، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا ، فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الله عز وجل « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن » .. إلى قوله تعالى « ويجركم من عذاب أليم » . وقال تبارك وتعالى « قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن » .. إلى آخر القصة من خبرهم فى هذه السورة .

---

(١) الرحم : الصلة والقرابة .

(١) هناك واديان بهذا الاسم على ليلة من مكة أحدهما نخلة الشامية والثانى نخلة اليمانية .

عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل

عرض نفسه فى المواسم : قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة : وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلا مستضعفين ، ممن آمن به . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه فى المواسم ، إذا كانت ، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبى مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم الله ما بعثه به .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من أصحابنا ، من لا أتهم ، عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عباد الدّيلى ، أو من حدثه أبو الزناد عنه — قال ابن هشام : ربيعة بن عباد .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، قال : سمعت ربيعة ابن عباد ، يحدثه أبى ، قال : إنى لغلام شاب مع أبى بمنى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يا بنى فلان ، إنى رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى ، وتصدقوا بى ، وتمنعونى ، حتى أبين عن الله ما بعثنى به . قال : وخلفه رجل أحول وضىء ، له غديرتان(١) عليه حلة عدنية . فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا إليه ، قال ذلك الرجل : يا بنى فلان ، إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ، ولا تسمعوا منه .

قال : فقلت لأبى : يا أبت ، من هذا الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول؟ قال هذا عمه عبد العزى ابن عبد المطلب ، أبو لهب .

قال ابن هشام قال النابغة :

---

(١) الغديرتان : ذؤابتان من شعر .

كأنك من جمال بنى أقيْش يقعقع خلف رجليه بشن[1]

قال ابن إسحاق : حدثنا ابن شهاب الزهرى : أنه أتى كِندة فى منازلهم ، وفيهم سيد لهم يقال : مليح ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم نفسه ، فأبوا عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين : أنه أتى كلباً فى منازلهم ، إلى بطن منهم يقال لهم : بنو عبد الله فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، حتى إنه ليقول لهم : يا بنى عبد الله ، إن الله عز وجل قد أحسن اسم أبيكم ، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى حنيفة فى منازلهم ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه ردا منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى أنه أتى بنى عامر بن صعصعة ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم نفسه ، فقال له رجل منهم — يقال له : بيْحرة بن فراس . قال ابن هشام : فراس بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة — : والله ، لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش ، لأكلتُ به العرب ، ثم قال : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء . قال : فقال له : أفتُهدَف[2] نحورنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك ؛ فأبوا عليه .

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم ، قد كانت أدركته السن ، حتى لا يقدر أن يوافى معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون فى ذلك الموسم ؛ فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان فى موسمهم ، فقالوا : جاءنا فتى من قريش ، ثم أحد بنى عبد المطلب ، يزعم أنه نبى ، يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ، ونخرج به إلى بلادنا . قال : فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال : يا بنى عامر ، هل لها من تلاف ، هل لذُناباها من

---

(١) الشن : القربة الخلق ويريد بالقعقعة حدوث الصوت لتفزع الإبل .
(٢) تهدف : تصير هدفا يرمى عليه ، والهدف الغرض .

مطلب[1] ، والذى نفس فلان بيده ، ما تقوّلها إسماعيلىّ قط ، وإنها لحق ، فأين رأيكم كان عنكم .

قال ابن إسحاق : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره ، كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويعرض عليهم نفسه ، وما جاء به من الله من الهدى والرحمة ، وهو لايسمع بقادم يقدم مكة من العرب ، له اسم وشرف ، إلا تصدى له ، فدعاه إلى الله ، وعرض عليه ما عنده .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ، ثم الظّفرى عن أشياخ من قومه ، قالوا :

قدم سُويد بن صامت ، أخو بنى عمرو بن عوف ، مكة حاجاً أو معتمراً ، وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم : الكامل ، لجلده وشعره وشرفه ونسبه ، وهو الذى يقول :

ألا رب من تدعو صديقا ولو ترى ... مقالته بالغيب ساءك ما يَفرى[2]

مقالته كالشهد ما كان شاهداً ... وبالغيب مأثور على ثغرة النحر[3]

يسرك باديه وتحت أديمه ... نميمة غش تبترى عقب الظهر[4]

تبين لك العينان ما هو كاتم ... من الغل والبغضاء بالنظر الشزر

فرشنى بخير طالما قد بريتنى ... وخير الموالى من يريش ولا يبرى[5]

وهو الذى يقول : ونافر رجلاً من بنى سليم ، ثم أحد بنى زعب بن مالك مئة ناقة ، إلى كاهنة من كهان العرب ، فقضت له . فانصرف عنها هو والسلمى ، ليس معهما غيرها ، فلما فرقت بينهما الطريق ، قال : مالى يا أخا بنى سليم قال : أبعث إليك به ؛ قال : فمن لى بذلك إذا فُتنى به ؟ قال : كلا ، والذى نفس سويد بيده ، لاتفارقنى حتى أوتى بمالى ، فاتخذا فضرب به الأرض ، ثم أوثقه رباطا ، ثم انطلق به إلى دار بنى عمرو بن عوف ، فلم يزل عنده حتى بعث إليه سليم بالذى له ، فقال فى ذلك :

---

(١) مثل يضرب لما فات ، وأصله من ذنابى الطائر إذا أفلت من حباله فطلبت الأخذ بذنابه .

(٢) يفرى : يختلق

(٣) المأثور : السيف الموشى

(٤) تبترى عقبه ؛ تقطع ظهره .

(٥) يريش يقوى : ويبرى يضعف .

لاتحسبنى يابن زعب بن مالك ... كمن كنت تردى بالغيوب وتختل
تحولت قرنا إذ صرعت بعزة ... كذلك إن الحازم المتحول
ضربت به إبط الشمال فلم يزل ... على كل حال خده هو أسفل

فى أشعار كثيرة كان يقولها .

فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام ، فقال له سويد : فلعل الذى معك مثل الذى معى ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال : مجلة لقمان(١) — يعنى حكمة لقمان — فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعرضها علىّ ، فعرضها عليه ؛ فقال له : إن هذا لكلام حسن ، والذى معى أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله تعالى على ، هو هدى ونور . فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد منه ، وقال : إن هذا لقول حسن . ثم انصرف عنه ، فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتلته الخزرج ، فإذا كان رجال من قومه ليقولون : إنا لنراه قد قتل وهو مسلم . وكان قتله قبل يوم بعاث(٢) .

إسلام إياس بن معاذ وقصة أبى الحيسر

قال ابن إسحاق : وحدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود ابن لبيد ، قال : لما قدم أبو الحيسر ، أنس بن رافع ، مكة ومعه فتية من بنى عبد الأشهل ، فيهم إياس بن معاذ ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول

---

(١) مجلة لقمان ، وهى الصحيفة . وكأنها مفعلة من الجلال والجلالة ، أما الجلالة فمن صفة المخلوق ، والجلال من صفة الله تعالى ، وقد أجاز بعضهم أن يقال فى المخلوق جلال وجلالة وأنشد :

فلا ذا جلال هبنه لجلالة ... ولاذا ضياع هن يتركن للفقر

ولقمان كان نوبياً من أهل أيلة وهو لقمان بن عنقاء بن سرور فيما ذكروا وابنه الذى ذكر فى القرآن هو ثاران فيما ذكر الزجاج وغيره ، وقد قيل فى اسمه غير ذلك ، وليس بلقمان ابن عاد الحميرى .

(٢) بعاث : يوم من أيام العرب كان بين الأوس والخزرج .

الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم فى خير مما جئتم له ؟ فقالوا له : وما ذاك ؟ قال : أنا رسول الله بعثنى إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأنزل على الكتاب . قال : ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال : فقال إياس ابن معاذ ، وكان غلاما حدثا : أى قوم ، هذا والله خير مما جئتم له . قال : فيأخذ أبو الحيسر ، أنس بن رافع ، حفنة من تراب البطحاء ، فضرب بها وجه إياس بن معاذ ، وقال : دعنا منك ، فلعمرى لقد جئنا لغير هذا . قال : فصمت إياس ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وانصرفوا إلى المدينة ، وكان وقعة بعاث بين الأوس والخزرج .

قال : ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد : فأخبرنى من حضره من قومه عند موته : أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أن قد مات مسلما ، لقد كان استشعر الإسلام فى ذلك المجلس ، حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع .

إسلام الانصار

قال ابن إسحاق : فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه ، وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإنجاز موعده له ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع فى كل موسم . فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أشياخ من قومه قالوا : لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج ، قال : أمن موالى يهود ؟ قالوا : نعم ؛ قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى ، فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال : وكان مما صنع الله لهم به فى الإسلام ، أن يهود كانوا معهم فى بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد عزوهم(١) ببلادهم . فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم : إن نبياً مبعوث الآن ، قد أظل زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما كلم رسول الله

---

(١) عزوهم : غلبوهم .

صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلموا والله إنه للنبي الذى توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم إليه . فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم ، فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك .

ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم ، وقد آمنوا وصدقوا .

أسماء من التقوا به صلى الله عليه وسلم من الخزرج : قال ابن إسحاق : وهم - فيما ذكر لى - : ستة نفر من الخزرج ، منهم من بنى النجار - وهو تيم الله - ثم من بنى مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن عمرو بن عامر : أسعد بن زُرارة بن عُدَس ابن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وهو أبو أمامة ؛ ، وعوف بن الحارث بن رفاعة ابن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، وهو ابن عفراء .

قال ابن هشام : وعفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار .

قال ابن إسحاق : ومن بنى زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب ابن جشم بن الخزرج : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق .

قال ابن هشام ويقال عامر بن الأزرق .

قال بن إسحاق : ومن بنى سَلِمة بن سعد بن على بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ، ثم من بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : قطبة بن عامر بن حَديدة بن عمرو بن غنم بن سواد .

قال ابن هشام : عمرو بن سواد ، وليس لسواد ابن يقال له : غنم .

قال ابن إسحاق : ومن بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة : عقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام .

ومن بنى عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة : جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عُبيد .

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بيعة العقبة الأولى

حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا ، فلقوه بالعقبة . قال : وهى العقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء[١] ، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب .

منهم من بنى النجار ، ثم من بنى مالك بن النجار: أسعد بن زُرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة ابن غنم بن مالك بن النجار ، وهو أبو أمامة ؛ وعوف ، ومعاذ ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد ابن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، وهما ابنا عفراء .

ومن بنى زُرَيق بن عامر : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ، وذكوان ابن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق .

قال ابن هشام : ذكوان ، مهاجرى أنصارى .

ومن بنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وهم القواقل : عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم ؛ وأبو عبد الرحمن ،

---

(١) ذكرت بيعة النساء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى «يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً» وقيل فى قوله عز وجل خبرا عن بيعة النساء : « ولا يأتين ببهتان » أنه الولد تنسبة إلى بعلها ، وليس منه ، وقيل : هو الاستمتاع بالمرأة فيما دون الوطء كالقبلة والجسة ونحوها ، والأول يشبه أن يبايع عليه الرجال ، وكذلك قيل فى قوله تعالى : « ولا يعصينك فى معروف » أنه النوح ، وهذا أيضاً ليس من شأن الرجال ، فدل على ضعف قول من خصه بالنوح ، وخص البهتان بإلحاق الولد بالرجل ، وليس منه ، وقيل : يفترينه بين أيديهن يعنى : الكذب وعيب الناس بما ليس فيهم ، وأرجلهن يعنى : المشى فى معصية ، ولا يعصينك فى معروف ، أى : فى خير تأمرهن به والمعروف اسم جامع لمكارم الأخلاق ، وما عرف حسنه ولم تنكره القلوب وهذا معنى يعم الرجال والنساء ، وذكر ابن اسحاق فى رواية يونس فيما أخذه عليهن : أن قال ولا تغششن زواجكن ، قالت : أحداهن وما غش أزواجنا فقال : أن تأخذى من ماله فتحابى به غيره .

وهو يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة ، من بنى غصينة ، من بَلِيّ ، حليف لهم .

قال ابن هشام : وإنما قيل لهم القواقل ، لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهما وقالوا له : قوقل به بيثرب حيث شئت .

قال ابن هشام : القوقلة : ضرب من المشى .

قال ابن إسحاق : ومن بنى سالم بن عمرو بن الخزرج ، ثم من بنى العجلان بن زيد بن غنم ابن سالم : العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان .

ومن بنى سلمة بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ، ثم من بنى حرام بن كعب بن غنم بن سلمة : عقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام .

ومن بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد .

وشهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بنى عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : أبو الهيثم بن التيهان ، واسمه مالك .

قال ابن هشام : التيهان : يخفف ويثقل ، كقوله ميْت وميّت .

ومن بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس : عُويم بن ساعدة .

نص البيعة : قال ابن اسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى مرثد بن عبد الله اليزنى ، عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحى ، عن عُبادة بن الصامت ، قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثنى عشر رجلا ، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفترض الحرب ، على أن لانشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف . فإن وفيتم فلكم الجنة . وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب وإن شاء غفر .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى عن عائذ الله بن عبد الله الخولانى أبى إدريس أن عبادة بن الصامت حدثه أنه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى على أن لانشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف ؛ فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك فأخذتم بحده فى الدنيا ، فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب ، وإن شاء غفر .

إرسال مصعب بن عمير مع وفد العقبة : قال ابن إسحاق : فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم فى الدين ، فكان يسمى المقرىء بالمدينة: مصعب . وكان منزَله[1] على أسعد بن زرارة بن عدس ، أبى أمامة .

قال ابن اسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أنه كان يصلى بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض .

أول جمعه أقيمت بالمدينة

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن أبى أمامة بن سهل بن حنيف ، عن أبيه أبى أمامة ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال : كنت قائد أبى ، كعب بن مالك ، حين ذهب بصره ، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة ، فسمع الأذان بها صلى على أبى أمامة ، أسعد بن زرارة . قال فمكث حينا على ذلك : لايسمع الأذان للجمعة إلا صلى عليه واستغفر له . قال : فقلت فى نفسى والله إن هذا بى لعجز ، ألا أسأله ماله إذا سمع الأذان للجمعة صلى على أبى أمامة أسعد بن زرارة ؟ قال فخرجت به فى يوم جمعة كما كنت أخرج فلما سمع الأذان للجمعة صلى عليه واستغفر له . قال فقلت له : يا أبت ، مالك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبى أمامة ؟ : فقال أى بنى ، كان أول من جمع بنا بالمدينة فى هزم النبيت ، من حرة بنى بياضة ، يقال له : نقيع الخضمات ، قال قلت وكم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلا .

إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير : قال بن اسحاق : وحدثنى عبيد الله بن المغيرة بن معيقب ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بنى عبد الأشهل ، ودار بنى ظفر ، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد بن زرارة ، فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر .

قال ابن هشام : واسم ظفر : كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس — قالا : على بئر يقال لها : بئر مرق فجلسا فى الحائط ، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل ، وكلاهما مشرك

---

(١) المنزل هنا وفى كل ما شابهه بفتح الزاى لا غير وذلك لأنه يريد المصدر ولم يرد المكان .

على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير : لا أبا لك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا ، فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ، ولا أجد عليه مقدّما ، قال فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما ؛ فلما رآه أسعد بن زرارة ، قال لمصعب بن عمير : هذا سيد قومه قد جاءك ، فاصدق الله فيه ؛ قال مصعب : إن يجلس أكلمه . قال فوقف عليهما متشتما ، فقال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ؛ فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره ؟ قال أنصفت ، ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ؛ فقالا : فيما يذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله ، ثم قال : ما أحسن هذا الكلام وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تصلي . فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم ؛ فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا ، قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ؛ فلما وقف على النادي قال له سعد : مافعلت ؟ قال : كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتهما ، فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حُدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ، ليخفروك[1] . قال : فقام سعد مغضبا مبادراً ، تخوفا للذي ذكر له من بني حارثة ، فأخذ الحربة من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئاً ، ثم خرج إليهما ؛ فلما رآهما سعد مطمئنين ، عرف سعد أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشتما ، ثم قال لأسعد بن زرارة : يا أبا أمامة ، (أما والله ، لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذا مني ، أتغشانا في دارينا بما نكره — وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير : أي مصعب ، جاءك والله سيد من وراءه من قومه ، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان — : قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته ، وأن كرهته عزلنا عنك ماتكره ؟ قال سعد : أنصفت . ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قالا : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، لإشراقه وتسهله ، ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين

---

(١) لينقضوا عهدك .

قالا : تغتسل فتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ركعتين ، قال : فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته ، فأقبل عامداً إلى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير .

قال : فلما رآه قومه مقبلا ، قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ؛ فلما وقف عليهم قال : يابنى عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمرى فيكم قالوا : سيدنا وأفضلنا رأيا ، وأيمننا نقيبة قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله .

قالا : فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة ، ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد ، وخطمة ووائل وواقف ، وتلك أوس الله ، وهم من الأوس بن حارثة ، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت ، وهو صيفى ، وكان شاعراً لهم وقائداً يستمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الاسلام ، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدر وأحد والخندق ، وقال فيما رأى من الإسلام ، وما اختلف الناس فيه من أمره :

أرب الناس أشياء ألمت ... يُلف الصعب منها بالذلول

أرب الناس أما إذ ضللنا ... فيسّرنا لمعروف السبيل

فلولا ربنا كنا يهوداً ... وما دين اليهود بذى شكول[1]

ولولا ربنا كنا نصارى ... مع الرهبان فى جبل الجليل[2]

---

(١) الشكول جمع شكل وشكل الشيء — بالفتح — هو مثله والشكل بالكسر الدل والحسن فكأنه أراد أن دين اليهود بدع ، فليس له شكول أى : ليس له نظير فى الحقائق ، ولا مثيل يعضده من الأمر المعروف المقبول وقد قال الطائى :

وقلت : أخى قالوا : أخ من قرابة ... فقلت لهم : إن الشكول أقارب

قريبى فى رأيى ودينى ومذهبى ... وإن باعدتنا فى الخطوب المناسب

انظر الروض جـ ٢ ص ٢٠٠

(٢) الجليل : جبل معروف فى الشام .

ولكنا خُلقنا إذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل جيل
نسوق الهَدْى ترسف مذعنات مكشفة المناكب فى الجُلول[1]

قال ابن هشام : أنشدنى قوله : فلولا ربنا ، وقوله : لولا ربنا ، وقوله : مكشفة المناكب فى الجلول ، رجل من الأنصار ، أو من خزاعة .

أمر العقبة الثانية

قال ابن إسحاق : ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قدموا مكة ، فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، من أوسط أيام التشريق ، حين أراد من كرامته ، والنصر لنبيه ، وإعزاز الإسلام وأهله ، وإذلال الشرك وأهله .

البراء بن معرور يصلى إلى الكعبة : قال ابن إسحاق : حدثنى معبد بن كعب بن مالك بن أبى كعب ابن القين ، أخو بنى سلمة ، أن أخاه عبد الله بن كعب ، وكان من أعلم الأنصار ، حدثه أن أباه كعبا حدثه ، وكان كعب ممن شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، قال خرجنا فى حجاج قومنا من المشركين ، وقد صلينا وفقهنا ، ومعنا البراء بن معرور ، سيدنا وكبيرنا ، فلما وجهنا لسفرنا ، وخرجنا من المدينة ، قال البراء لنا : يا هؤلاء ، إنى قد رأيت رأيا ، فوالله ما أدرى ، أتوافقوننى عليه ، أم لا ؟ قال : قلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيت أن لا أدع هذه البنية منى بظهر ، يعنى الكعبة ، وأن أصلى إليها . قال : فقلنا ، والله ما بلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصلى إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه . قال : فقال : إنى لمصل إليها . قال : فقلنا له : لكنا لا نفعل ، قال : فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام ، وصلى إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة . قال : وقد كنا عبنا عليه ما صنع ، وأبى إلا الإقامة على ذلك . فلما قدمنا مكة قال لى : يا بن أخى ، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نسأله عما صنعت فى سفرى هذا ، فإنه والله قد وقع فى نفسى منه شىء ، لما رأيت من خلافكم إياى فيه . قال فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنا لا نعرفه ، ولم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من أهل مكة ، فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا ؛ قال : فهل

---

(١) ترسف : تمشى مشى المقيد ، والجلول : جمع جل وهو ماتلبسه الدابة لتصان به .

تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قال : قلنا : نعم — قال كنا نعرف العباس ، وكان لا يزال يقدم علينا تاجراً — قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس . قال : فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه ، فسلمنا ثم جلسنا إليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ قال : نعم ، هذا البراء بن معرور ، سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك . قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشاعر ؟ قال : نعم ، قال : فقال له البراء بن معرور : يا نبي الله ، إنى خرجت فى سفرى هذا ، وقد هدانى الله للإسلام ، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية منى بظهر ، فصليت إليها ، وقد خالفنى أصحابى فى ذلك حتى وقع فى نفسى من ذلك شىء ، فماذا ترى يا رسول الله ؟ قال : كنت على قبلة لو صبرت [1] عليها . قال : فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معنا إلى الشام . قال : وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

قال ابن هشام : وقال عون بن أيوب الأنصارى :

ومنا المصلِّى أول الناس مقبلا   على كعبة الرحمن بين المشاعر

---

(١) قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فقه قوله: لو صبرت عليها : أنه لم يأمره بإعادة ما قد صلى ؛ لأنه كان متأولا .

وفى الحديث : دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يصلى بمكة إلى بيت المقدس، وهو قول ابن عباس ، وقالت طائفة : ما صلى إلى بيت المقدس إلا مذ قدم المدينة سبعة عشر شهرا أو ستة عشر شهرا ، فعلى هذا يكون فى القبلة نسخان نسخ سنة بقرآن ، وقد بين حديث ابن عباس منشأ الخلاف فى هذه المسألة ، فروى عنه من طرق صحاح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا صلى بمكة استقبل بيت المقدس ، وجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس ، فلما كان عليه السلام يتحرى القبلتين جميعاً لم يبن توجهه إلى بيت المقدس للناس ، حتى خرج من مكة والله أعلم . قال الله تعالى له فى الآية الناسخة : « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام » أى : من أى جهة جئت إلى الصلاة ، وخرجت إليها فاستقبل الكعبة كنت مستدبرا لبيت المقدس ، أو لم تكن لأنه كان بمكة يتحرى فى استقباله بيت المقدس أن تكون الكعبة بين يديه ، وتدبر قوله تعالى : « ومن حيث خرجت فول وجهك » وقال لأمته : « وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

يعنى البراء بن معرور . وهذا البيت فى قصيدة له .

إسلام عبد الله بن عبد عمرو بن حرام : قال ابن إسحاق : حدثنى معبد بن كعب ، أن أخاه عبدالله بن كعب حدثه أن أباه كعب بن مالك حدثه ، قال كعب : ثم خرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة من أوسط أيام التشريق . قال : فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر ، سيد من سادتنا ، وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له : يا أبا جابر ، إنك سيد من سادتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ؛ ثم دعوناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله وسلم إيانا العقبة . قال : فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيبا .

امرأتان فى البيعة : قال : فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نتسلل تسلل القطا مستخفين ، حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا : نسيبة بنت كعب ، أم عمارة ، إحدى نساء بنى مازن بن النجار ؛ وأسماء بنت عمرو بن عدى بن نابى ، إحدى نساء بنى سلمة ، وهى أم منيع .

العباس يستوثق من الأنصار : قال : فاجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبدالمطلب وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له . فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال يامعشر الخزرج — قال : وكانت العرب إنما يسمون هذا الحى من الأنصار : الخزرج . خزرجها وأوسها — : إن محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ؛ وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده . قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت فتكلم يارسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت :

عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار : قال : فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ورغب فى الإسلام ، ثم قال أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم . قال : فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال : نعم والذى بعثك

بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا [١] فبايِعنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحروب ، وأهل الحلقة ، ورثناها كابرا عن كابر . قال : فاعترض القول ، والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه سلم ، أبو الهيثم بن التَّيِّهان ، فقال : يارسول الله : إن بيننا وبين الرجال حبالا ، وإنا قاطعوها — يعني اليهود — فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بل الدم الدم ، والهَدم الهدم [٢] ، أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم .

قال ابن هشام : ويقال : الهَدَم الهَدَم : يعنى الحرمة . أى ذمتى ذمتكم ، وحرمتى حرمتكم .

قال كعب بن مالك : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيبا ، ليكونوا على قومهم بما فيهم . فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس .

---

(١) العرب تكنى عن المرأة بالإزار وتكنى أيضا بالإزار عن النفس ، وتجعل الثوب عبارة عن لابسه كما قال :

رموها بأثواب خفاف فلا ترى لها شبهاً إلا النعام المنفر

أى : بأبدان خفاف ، فقوله مما تمنع أزرنا يحتمل الوجهين جميعا .

(٢) قال ابن قتيبة : كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار : دمى دمك وهدمى هدمك ، أى : ما هدمت من الدماء هدمته أنا ، ويقال أيضا : بل اللدم اللدم والهدم الهدم وأنشد :

ثم الحق بهدمى ولدمى

فاللدم : جمع لادم ، وهم أهله الذين يلتدمون عليه إذا مات ، وهو من لدمت صدره : إذا ضربته . والهدم قال ابن هشام : الحرمة ، وإنما كنى عن حرمة الرجل وأهله بالهدم ، لأنهم كانوا أهل نجعة وارتحلوا . ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم فكلما ظعنوا هدموها ، والهدم بمعنى المهدوم كالقبض بمعنى المقبوض ، ثم جعلوا الهدم وهو البيت المهدوم عبارة عما حوى ، ثم قال : هدمى هدمك أى : رحلتى مع رحلتك أى لا أظعن وأدعك وأنشد يعقوب :

تمضى إذا زجرت عن سوأة قدماً كأنها هدم فى الجفر منقاض

أسماء النقباء الاثنى عشر

نقباء الخزرج : قال ابن هشام : من الخزرج — فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد ابن إسحاق المطلبى - أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ؛ وسعد بن الربيع بن عمر بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب ابن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. وعبد الله ابن رواحة بن ثعلبه بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج . ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق بن عبد حارثه بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج ؛ والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ؛ وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب ابن سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ؛ وعبادة بن الصامت ابن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف ابن الخزرج .

قال ابن هشام : هو غنم بن عوف ، أخو سالم بن عوف بن عمر بن الخزرج .

قال ابن إسحاق : وسعد بن عبادة بن دُليم بن حارثة بن أبى حزيمة بن ثعلبة بن طريف ابن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ؛ والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان ابن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج — قال ابن هشام : ويقال : ابن خنيس .

نقباء الأوس : ومن الأوس : أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل ؛ وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط ابن كعب بن حارثة بن غنم بن السَّلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس، ورفاعة بن عبد المنذر بن زبير بن زيد بن أمية بن زيد مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

شعر كعب بن مالك فى النقباء : قال ابن هشام : وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان ، ولا يعدون رفاعة . وقال كعب بن مالك يذكرهم ، فيما أنشدنى أبو زيد الأنصارى :

أبلــغ أبياً أنه فال رأيه ... وحان غداة الشعب والحين واقع(١)

أبى الله ما منّتك نفسك إنه ... بمرصاد أمر الناس راءٍ وسامع

وأبلغ أبا سفيان أن قد بدا لنا ... بأحمد نور من هدى الله ساطع

فلا ترغبن فى حشــد أمر تريده ... وألّب وجمع كل ما أنت جامع

ودونك فاعلم أن نقض عهودنا ... أباه عليك الرهط حين تبايعوا

أباه البراء وابن عمرو كلاهما ... وأســعد يأباه عليك ورافع

وسعد أباه الساعدى ومنذر ... لأنفك إن حاولت ذلك جادع

وما ابن ربيع إن تناولت عهده ... بمسلمه لايطمعن ثم طامع

وأيضا فلا يعطيكه ابن رواحة ... وإخفاره من دونه السم ناقع

وفاء به والقوقلى بن صــامت ... بمندوحة عما تحاول يافع(٢)

أبو هيثم أيضـــا وفى بمثلها ... وفاء بما أعطى من العهد خانع(٣)

وما ابن حضير إن أردت بمطمع ... فهل أنت عن أحموقة الغى نازع

وسعد أخو عمرو بن عوف فإنه ... ضروح لما حاولت ملأمر مانع(٤)

أولاك نجوم لايغبنــك منهم ... عليك بنحس فى دجى الليل طالع

فذكر كعب فيهم « أبا الهيثم بن التيهان » ولم يذكر « رفاعة » .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومى — يعنى المسلمين — قالوا : نعم .

ما قاله العباس بن عبادة للخزرج : قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبــادة بن نضلة الأنصارى ، أخو بنى سالم بن عوف : يامعشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا : نعم ؛ قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم

---

(١) فال : بطل ... (٢) اليافع : العالى

(٣) الخانع : الذليل ... (٤) ضروح : أى دافع عن نفسه .

إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلا أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال(١) ، وقتل الأشراف ، فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة ؛ قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ؛ فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة . قالوا : أبسط يدك ؛ فبسط يده فبايعوه .

وأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال : والله ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم .

وأما عبد الله بن أبى بكر فقال : ما قال ذلك العباس إلا ليؤخر القوم تلك الليلة ، رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبىّ بن سلول ، فيكون أقوى لأمر القوم . فالله أعلم أى ذلك كان .

قال ابن هشام : سلول : امرأة من خزاعة ، وهى أم أبى بن مالك بن الحارث .

أول من ضرب على يد الرسول فى بيعة العقبة الثانية : قال ابن إسحاق : فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة ، أسعد بن زرارة ، كان أول من ضرب على يده ؛ وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التيهان .

قال ابن إسحاق : فأما معبد بن كعب بن مالك فحدثنى فى حديثه ، عن أخيه عبد الله بن كعب ، عن أبيه كعب بن مالك ، قال : كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ، ثم بايع بعد القوم .

الشيطان يصرخ بعد بيعة العقبة : فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجباجب — والجباجب : المنازل(٢) — هل لكم فى مذمم والصباة معه ، قد اجتمعوا على حربكم . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أزب(٣) العقبة ، هذا ابن أزيب — قال ابن هشام : ويقال ابن أُزَيب — أتسمع أى عدو الله ، أما والله لأفرغن لك .

الأنصار تستعجل الحرب : قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفضّوا إلى

(١) نهكة الأموال : نقصها
(٢) المنازل : منازل منى (٣) أزب العقبة : اسم شيطان

برحالكم . قال : فقال له العباس بن عبادة بن نضلة : والله الذى بعثك بالحق : إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم . قال : فرجعنا إلى مضاجعنا ، فنمنا عليها حتى أصبحنا .

قريش تجادل الأنصار : قال : فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش ، حتى جاءونا فى منازلنا فقالوا : يامعشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا ، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم ، منكم . قال : فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شىء ، وما علمناه . قال : وقد صدقوا ، لم يعلموه . قال : وبعضنا ينظر إلى بعض . قال : ثم قام القوم ، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى ، وعليه نعلان له جديدان . قال فقلت له كلمة — كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا — : يا أبا جابر ، أما تستطيع أن تتخذ . وأنت سيد من ساداتنا ، مثل نعلى هذا الفتى من قريش ؟ قال : فسمعها الحارث ، فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إلىّ ، وقال : والله لتنتعلنهما . قال : يقول : أبو جابر : مه ، أحفظت والله الفتى ، فاردد إليه نعليه . قال : قلت : والله لا أردهما ، فأل والله صالح ، لئن صدق الفأل لأسلبنه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أنهم أتوا عبد الله بن أبى بن سلول ، فقالوا له مثل ما قال كعب من القول ؛ فقال لهم : إن هذا الأمر جسيم ، ما كان قومى ليتفوتوا على بمثل هذا ، وما علمته كان . قال : فانصرفوا عنه .

قريش تأسر سعد بن عبادة : قال : ونفر الناس من منى ، فتنطس القوم الخبر[1] ، فوجدوه قد كان ، وخرجوا فى طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر ، والمنذر بن عمرو ، أخا بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وكلاهما كان نقيبا . فأما المنذر فأعجز القوم ؛ وأما سعد فأخذوه ، فربطوا يديه إلى عنقه بنسع[2] رحله ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ، ويجذبونه بجمته ، وكان ذا شعر كثير .

خلاص سعد : قال سعد : فوالله إنى لفى أيديهم إذ طلع على نفر من قريش ، فيهم رجل وضىء أبيض ، شعشاع ، حلو من الرجال .

---

(١) دققوا فى البحث عنه . (٢) النسع : الشراك الذى يشد به الرحل

قال ابن هشام : الشعشاع الطويل الحسن . قال رؤبة :

يمطوه من شعشاع غير مودن

يعنى : عنق البعير غير قصير ، يقول : مودن اليد ، أى ناقص اليد .

قال : فقلت فى نفسى : إن يك عند أحد من القوم خير ، فعند هذا ؛ قال : فلما دنا منى رفع يده فلكمنى لكمة شديدة . قال : فقلت فى نفسى : لا والله ماعندهم بعد هذا من خير . قال : فوالله إنى لفى أيديهم يسحبوننى إذ أوى[1] لى رجل ممن كان معهم ، فقال ويحك ! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ؟ قال : قلت : بلى ، والله ، لقد كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف تجارة ، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى ، وللحارث ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ؛ قال : ويحك ! فاهتف باسم الرجلين ، واذكر ما بينك وبينهما . قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما ، فوجدهما فى المسجد عند الكعبة، فقال لهما : إن رجلا من الخزرج الآن يضرب بالأبطح ويهتف بكما ، ويذكر أن بينه وبينكما جوارا ؛ قالا : ومن هو ؟ قال سعد بن عبادة ؛ قالا : صدق والله ، إن كان ليجير لنا تجارنا، ويمنعهم أن يظلموا ببلده . قال : فجاءا فخلصا سعداً من أيديهم ، فانطلق . وكان الذى لكم سعداً سهيل بن عمرو ، أخو بنى عامر بن لؤى .

قال ابن هشام : وكان الرجل الذى أوى اليه ، أبا البخترى بن هشام .

قال ابن إسحاق : وكان أول شعر قيل فى الهجرة بيتين ، قالهما ضرار(٢) بن الخطاب بن مرداس ، أخو بنى محارب بن فهر :

تداركت سعداً عنوة فأخذته وكان شفاء لو تداركت منذرا

---

(١) أوى : رحم .

(٢) كان شاعر قريش وفارسها ، ولم يكن فى قريش أشعر منه ثم ابن الزبعرى بن قيس ابن عدى ، وكان جده مرداس رئيس بنى محارب بن فهر فى الجاهلية يسير فيهم بالمرباع ، وهو ربع الغنيمة ، وكان أبوه أيام الفجار رئيس بنى محارب بن فهر أسلم ضرار عام الفتح

ولو نلته طُلّت هنـــاك جراحه ... وكانت حريا أن يهان ويهدرا[1]

قال ابن هشام: ويروى:

وكان حقيقا أن يهان ويهدرا

قال ابن إسحاق: فأجابه حسان بن ثابت فيهما فقال:

لست إلى سعد ولا المرء منذر ... إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا
فلولا أبو وهب لمرت قصائد ... على شرف البرقاء يهوين حسرا
أتفخر بالكتان لما لبسته ... وقد تلبس الأنباط ريطا مقصرا[2]
فلا تك كالوسنان يحلم أنه ... بقرية كسرى أو بقرية قيصرا
ولا تك كالثكلى وكانت بمعزل ... عن الثكل لو كان الفؤاد تفكرا
ولا تك كالشاة التي كان حتفها ... بحفر ذراعيها فلم ترض محفرا[3]
ولا تك كالعاوى فأقبل نحره ... ولم يخشه سهما من النبل مضمرا
فإنا ومن يهدى القصائد نحونا ... كمستبضع تمراً إلى أهل خيبرا

قصة صنم عمرو بن الجموح

فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك، منهم عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، وكان ابنه معاذ بن عمرو شهد العقبة، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، وكان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بني سلمة، وشريفا من أشرافهم، وكان قد اتخذ في داره صنما من خشب،

---

(١) طلت: هدرت.

(٢) الريط: الملاحف البيض.

(٣) تقوله العرب في مثل قديم فيمن أثار على نفسه شراً كالباحث عن المدية، وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:

وكان يجير الناس من سيف مالك ... فأصبح يبغى نفسه من يجيرها
وكان كعنز السوء قامت بظلفها ... إلى مدية تحت التراب تثيرها

يقال له : مُناة (١) ، كما كانت الأشراف يصنعون ، تتخذه إلها تعظمه وتطهره ، فلما أسلم فتيان بنى سلمة : معاذ بن جبل ؛ وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح ، فى فتيان منهم ممن أسلم وشهد العقبة ، كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك ، فيحملونه فيطرحونه فى بعض حفر بنى سلمة ، وفيها عذر (٢) الناس ، منكسا على رأسه ، فإذا أصبح عمرو ، قال : ويلكم ! من عدا على آلهتنا هذه الليلة ؟ قال : ثم يغدو يلتمسه ، حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه ، ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينه . فإذا أمسى ونام عمرو ، عدوا عليه ، ففعلوا به ذلك مثل ، فيغدو فيجده فى مثل ما كان فيه من الأذى ، فيغسله ويطهره ويطيبه، ثم يعدون عليه ، إذا أمسى ، فيفعلون به مثل ذلك . فلما أكثروا عليه ، استخرجه من حيث ألقوه يوما ، فغسله وطهره وطيبه ، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ، ثم قال : إنى والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خير فامتنع ، فهذا السيف معك . فلما أمسى ونام عمرو ، عدوا عليه ، فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ، ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة ، فيها عذر من عذر الناس ، ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يجده فى مكانه الذى كان به .

إسلام عمرو وما قاله من الشعر : فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت ، فلما رآه وأبصر شأنه ، وكلمه من أسلم من قومه ، فأسلم برحمة الله ، وحسن إسلامه . فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف ، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ، ويشكر الله تعالى الذى أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة :

والله لو كنت إلها لم تكن ... أنت وكلب وسط بئر فى قرن (٣)

أف لملقاك إلها مُستدن ... الآن فتشناك عن سوء الغبن (٤)

الحمد لله العلى ذى المنن ... الواهب الرزاق ديان الدِّيَن (٥)

هو الذى أنقذنى من أن ... أكون فى ظلمة قبر مرتهن

بأحمد المهدى النبى المرتهن

---

(١) مناة : ووزنه : فعلة ، من منيت الدم إذا صببته ، لأن الدماء كانت عنده تمنى ، ومن هنا سميت الأصنام : دمى يقول الله سبحانه وتعالى «ومناة الثالثة الأخرى» أى ثالثة للات والعزى .

(٢) فضلات الناس . (٣) القرن : الحبل (٤) مستدن : مستعبد ، والغبن السفه .

(٥) الدين جمع دينة وهى العادة ويقال لها دين أيضا ، وقال ابن الطبرية واسمه يزيد :

أرى سبعة يسعون للوصل كلهم ... له عند ليلى دينة يستدينها

فألقيت سهمى بينهم حين أوخشوا ... فما صارلى فى القسم إلا ثمينها

ويجوز أن يريد بالدين الأديان ، أى : هو ديان أهل الأديان ولكن جمعها على الدين لأنها ملل ونحل كما قالوا فى جمع الحرة حرائر ، لأنهن فى معنى الكرائم والعقائل .

شروط البيعة فى العقبة الأخيرة

قال ابن إسحاق : وكانت بيعة الحرب ، حين أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى القتال شروطا سوى شرطه عليهم فى العقبة الأولى ، كانت الأولى على بيعة النساء وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم فى الحرب ، فلما أذن الله له فيها ، وبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود ، أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه ، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة . .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبادة بن الوليد بن الصامت ، عن أبيه الوليد ، عن جده عبادة ابن الصامت ، وكان أحد النقباء ، قال :

بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب — وكان عبادة من الاثنى عشر الذين بايعوه فى العقبة الأولى على بيعة النساء — على السمع والطاعة ، فى عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا ، وأثرة علينا ، وأن لاننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنا ، لانخاف فى الله لومة لائم .

أسماء من شهد العقبة الاخيرة

قال ابن إسحاق وهذا تسمية من شهد العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها من الأوس والخزرج ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين .

شهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى عبد الأشهل بن جشم ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن الأوس أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، نقيب لم يشهد بدرا . وأبو الهيثم بن التيهان ، واسمه مالك، شهد بدراً . وسلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل، شهد بدراً ، ثلاثة نفر . قال ابن هشام ويقال : ابن زعوراء .

قال ابن إسحاق : ومن بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : ظهير بن رافع بن عدى بن زيد بن جشم بن حارثة : وأبو بردة بن نيار ، واسمه هانى بن نيار ابن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دهمان بن غنم بن ذبيان بن هميم بن كامل بن ذهل بن هنى بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، حليف لهم ، شهد بدراً . ونهير بن الهيثم ، من بنى نابى

ابن مجدعة بن حارثة ، بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ؛ ثم من آل السواف بن قيس بن عامر بن نابى بن مجدعة بن حارثة . ثلاثة نفر .

ومن بنى عمرو بن عوف مالك بن الأوس : سعدبن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب ابن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ، نقيب، شهد بدراً ، فقتل به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً .

قال ابن هشام : ونسبه ابن إسحاق فى بنى عمرو بن عوف ؛ وهو من بنى غنم بن السلم ، لأنه ربما كانت دعوة الرجل فى القوم ، ويكون فيهم فينسب إليهم .

قال ابن اسحاق : ورفاعة بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو ، نقيب ، شهد بدراً . وعبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البُرَك - واسم البرك : امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس - شهد بدراً ، وقتل يوم أحد شهيداً أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة ؛ ويقال : أمية بن البرك ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن اسحاق : ومعن بن عدى بن الجد بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة ، حليف لهم من بلى ، شهد بدرا وأحداً والخند ، ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، قتل يوم اليمامة شهيدا فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وعويم بن ساعدة ، شهد بدرا وأحدا والخندق . خمسة نفر .

فجميع من شهد العقبة من الأوس أحد عشر رجلا .

وشهدها من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ؛ ثم من بنى النجار ، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج : أبو أيوب ، وهو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة ابن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار شهد بدرا وأحدا والخندق ، والمشاهد كلها ؛ مات بأرض الروم غازياً فى زمن معاوية بن أبى سفيان . ومعاذ بن الحارث بن رفاعة بن سواد ابن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، شهد بدراً وأحداً والخندق ، والمشاهد كلها ، وهو ابن عفراء ، وأخوه عوف بن الحارث شهد بدراً وقتل به شهيداً ، وهو لعفراء . وأخوه معوذ ابن الحارث ، شهد بدرا وقتل به شهيدا ، وهو الذى قتل أبا جهل بن هشام بن المغيرة ، وهو لعفراء - ويقال : رفاعة بن الحارث بن سواد ، فيما قال ابن هشام - وعمارة بن حزم بن زيد

ابن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار : شهد بدرا وأحدا والخندق ، والمشاهد كلها ، قتل يوم اليمامة شهيدا فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وأسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، نقيب ، مات قبل بدر ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى ، وهو أبو أمامة . ستة نفر .

ومن بنى عمرو بن مبذول - ومبذول : عامر بن مالك بن النجار - : سهل بن عتيك بن نعمان ابن عمرو بن عتيك بن عمرو ، شهد بدرا . رجل .

ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار ، وهم بنو حُديلة - قال ابن هشام : حديلة : بنت مالك ابن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج - أوس بن ثابت ابن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار ، شهد بدرا ، وأبو طلحة ، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن مالك بن النجار شهد بدرا . رجلان .

ومن بنى مازن بن النجار ، قيس بن أبى صعصعة ، واسم أبى صعصعة : عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن ، شهد بدرا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله على الساقة يومئذ . وعمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن مبذول بن عمرو ابن غنم بن مازن . رجلان . فجميع من شهد العقبة من بنى النجار أحد عشر رجلا .

قال ابن هشام : عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء ، هذا الذى ذكره ابن إسحاق ، إنما هو غزّية بن عمرو بن عطية بن خنساء .

قال ابن إسحاق : ومن بلحارث بن الخزرج : سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، نقيب ، شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا . وخارجة بن زيد ابن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، شهد بدراً وقتل يوم أحد شهيداً . وعبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، نقيب ، شهد بدراً وأحدا والخندق ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، إلا الفتح وما بعده ، وقتل يوم مؤتة شهيداً أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وبشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ،

أبو النعمان بن بشير ، شهد بدراً . وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد الله بن زيد مناة بن الحارث بن الخزرج ، شهد بدراً ، وهو الذى أُرى النداء للصلاة ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به . وخلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن مالك ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ، شهد بدراً وأحدا والخندق ، وقتل يوم بنى قريظة شهيداً ، طرحت عليه رحى من أطم من آطامها فشدخته شدخا شديدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — إن له لأجر شهيدين . وعقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عسيرة بن جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، وهو أبو مسعود وكان أحدث من شهد العقبة سنا ، مات فى أيام معاوية ، لم يشهد بدراً ، سبعة نفر .

ومن بنى بياضة بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج : زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى بن أمية بن بياضة ، شهد بدراً . وفروة بن عمرو بن وذفة بن عبيد بن عامر بن بياضة ، شهد بدراً . قال ابن هشام : ويقال : ودفة .

قال ابن إسحاق وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة شهد بدرا . ثلاثة نفر .

ومن بنى زُريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضب بن جشم بن الخزرج : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ، نقيب . وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق ، وكان خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان معه بمكة وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى ، شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا . وعباد بن قيس بن عامر بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق ، شهد بدرا . والحارث بن قيس بن خالد بن مخلد بن عامر بن زريق ، وهو أبو خالد شهد بدرا . أربعة نفر .

ومن بنى سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ؛ ثم من بنى عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة : البراء بن معرور بن صخر بن خنساء ابن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم ، نقيب ، وهو الذى تزعم بنو سلمة أنه كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط له . واشترط عليه ، ثم توفى قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . وابنه بشر بن البراء بن معرور ، شهد بدرا وأحدا والخندق ومات بخيبر من أكلة أكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الشاة التى سُم فيها — وهو

الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين سأل بنى سلمة : من سيدكم يا بنى سلمة ؟ فقالوا : الجد بن قيس ، على بخله ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأى داء أكبر من البخل ! سيد بنى سلمة الأبيض الجعد بشر بن البراء بن معرور — وسنان بن صيفى بن صخر بن خنساء ابن سنان بن عبيد ، شهد بدرا ، وقتل يوم الخندق شهيدا . والطفيل بن النعمان بن خنساء بن سنان بن عبيد ، شهد بدرا ، وقتل يوم الخندق شهيدا . ومعقل بن المنذر بن سرح بن خناس ابن سنان بن عبيد ، شهد بدرا . ويزيد بن المنذر ، شهد بدرا . ومسعود بن يزيد بن سبيع ابن خنساء بن سنان بن عبيد.والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد ، شهد بدرا ، ويزيد ابن حرام بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد . وجبار بن صخر بن أمية بن خنساء بن سنان ابن عبيد ، شهد بدرا .

قال ابن هشام : ويقال : جبار بن صخر بن أمية بن خناس .

قال ابن إسحاق : والطفيل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عبيد ، شهد بدرا . أحد عشر رجلا .

ومن بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة ، ثم من بنى كعب بن سواد : كعب بن مالك بن أبى كعب بن القين بن كعب . رجل .

ومن بنى غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : سليم بن عمرو بن حديدة بن عمرو بن غنم ، شهد بدرا . وقطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم ، شهد بدرا . و أخوه يزيد ابن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم ، وهو أبو المنذر ، شهد بدرا . وأبو اليَسَر ، واسمه كعب ابن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم ، شهد بدرا . وصيفى بن سواد بن عباد بن عمر بن غنم خمسة نفر .

قال ابن هشام : صيفى بن أسود بن عباد بن عمرو بن غنم بن سواد ، وليس لسواد ابن يقال له : غنم .

قال ابن إسحاق : ومن بنى نابى بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : ثعلبة بن غنمة بن عدى بن نابى ، شهد بدرا ، وقتل بالخندق شهيدا ، وعمرو بن غنمة بن عدى بن نابى ، وعَبس بن عامر بن عدى بن نابى ، شهد بدرا . وعبد الله بن أنيس ، حليف لهم من قضاعة . وخالد بن عمرو بن عدى بن نابى خمسة نفر .

قال ابن إسحاق : ومن بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة : عبد الله بن عمرو ابن حرام بن ثعلبة بن حرام ، نقيب ، شهد بدرا ، وقتل يوم أحد شهيدا ، وابنه جابر بن عبدالله . ومعاذ بن عمرو بن الجموح بن يزيد بن حرام، شهد بدرا وثابت بن الجذع - والجذع: ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام — شهد بدرا ، وقتل بالطائف شهيدا . وعمير بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام ، شهد بدرا . قال ابن هشام : عمير بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وخديج بن سلامة بن أوس بن عمرو بن الفُرافر ، حليف لهم من بلى . ومعاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن كعب بن عمرو بن أدى بن سعدبن على ابن أسد ؛ ويقال : أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ؛ وكان فى بنى سلمة ، شهد بدرا، والمشاهد كلها ومات بعمواس ، عام الطاعون بالشام ، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وإنما ادعته بنوسلمة أنه كان أخا سهل بن محمد بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة . سبعة نفر .

قال ابن هشام : أوس : ابن عباد بن عدى بن كعب بن عمرو بن أذن بن سعد .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عوف بن الخزرج ؛ ثم من بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج : عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف : نقيب ، شهد بدرا والمشاهد كلها .

قال ابن هشام : هو غنم بن عوف ، أخو سالم بن عـوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج .

قال ابن إسحاق : والعباس بن عُبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، فأقام معه بها ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى ، وقتل يوم أحد شهيدا وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزَمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة ، حليف لهم من بنى غصينة من بلى . وعمرو بن الحارث ابن لبْدة بن عمرو بن ثعلبة : أربعة نفر ، وهم القواقل .

ومن بنى سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج ، وهم بنو الحُبْلى - قال ابن هشام : الحبلى : سالم بن غنم بن عوف ، وإنما سمى الحبلى - لعظم بطنه : رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو

ابن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم . شهد بدراً ، وهو أبو الوليد .

قال ابن هشام : ويقال : رفاعة : ابن مالك ، ومالك : ابن الوليد بن عبد الله بن مالك ابن ثعلبة بن جشم بن مالك بن سالم .

قال ابن إسحاق : وعقبة بن وهب بن كلدة بن الجعد بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عدى بن جشم بن عوف بن بهثة بن عبد الله بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ، حليف لهم ، شهد بدراً ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا من المدينة إلى مكة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى .

قال ابن هشام : رجلان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : سعد بن عبادة بن حارثة بن أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب والمنذر بن عمرو ابن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة ابن جشم بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب ، شهد بدرا وأحداً ، وقتل يوم بئر معونة أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى كان يقال له : أعنق ليموت . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال : المنذر : ابن عمرو بن خنش .

قال ابن إسحاق: فجميع من شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان منهم ، يزعمون أنهما قد بايعتا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصافح النساء إنما كان يأخذ عليهن ، فإذا أقررن ، قال : اذهبن فقد بايعتكن .

ومن بنى مازن بن النجار : نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف من مبذول بن عمرو ابن غنم بن مازن ، وهى أم عمارة ، كانت شهدت الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدت معها أختها . وزوجها زيد بن عاصم بن كعب . وابناها : حبيب بن زيد ، وعبد الله ابن زيد ، وابنها حبيب الذى أخذه مسيلمة الكذاب الحنفى ، صاحب اليمامة ، فجعل يقول له : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فيقول : نعم فيقول: أفتشهد أنى رسول الله؟ فيقول: لا أسمع ، فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات فى يده ، لا يزيده على ذلك ، إذا ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن به وصلى عليه ، وإذا ذكر له مسيلمة قال : لا أسمع — فخرجت إلى اليمامة مع المسلمين ،

فباشرت الحرب بنفسها . حتى قتل الله مسيلمة ورجعت وبها اثنا عشر جرحا ، من بين طعنة وضربة .

قال ابن إسحاق : حدثنى هذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حبان ، عن عبدالله بن عبد الرحمن ابن أبى صعصعة .

ومن بنى سلمة : أم منيع ؛ وأسمها : أسماء بنت عمرو بن عدى بن نابى بن عمرو بن غنم ابن كعب بن سلمة [١] .

نزول الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى القتال

بسم الله الرحمن الرحيم . قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد ابن عبدالله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يؤذن له فى الحرب ولم تحلل له الدماء ، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى ، والصفح عن الجاهل ، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم ، فهم من بين مفتون فى دينه ، ومن بين معذب فى أيديهم ، وبين هارب فى البلاد فرارا منهم ، منهم من بأرض الحبشة ، ومنهم من بالمدينة ، وفى كل وجه ؛ فلما عتت قريش على الله عزوجل ، وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة ، وكذبوا نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه ، واعتصم بدينه ، أذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم فى القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم ، فكانت أول آية أنزلت فى إذنه له فى الحرب ، وإحلاله الدماء والقتال ، لمن بغى عليهم ، فيما بلغنى عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، قول الله تبارك وتعالى : « أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربُّنا الله ولولا دفْع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع صلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » : أى أنى إنما أحللت لهم القتال

---

(١) راجع زيادة فى أنساب من ذُكروا وأخباراً كثيرة عنهم فى الروض الأنف بتحقيقنا حـ ٢ ص ٢١٤ وما بعدها .

لأنهم ظلموا ، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس ، إلا أن يعبدوا الله ، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين ، ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه : « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة » : أى حتى لايفتن مؤمن عن دينه « ويكون الدين لله » : أى حتى يعبد الله ، لايعبد معه غيره :

الأذن لمسلمى مكة بالهجرة إلى المدينة : قال ابن إسحاق : فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم فى الحرب ، وبايعه هذا الحى من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه ، وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من المسلمين ، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال : إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها . فخرجوا أرسالا(١) ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه فى الخروج من مكة ، والهجرة إلى المدينة .

ذكر المهاجرين إلى المدينة فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش ، من بنى مخزوم : أبوسلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، واسمه : عبدالله ، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة ، وكان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من أرض الحبشة ، فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجرا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبى : إسحاقُ بن يسار ، عن سلمة بن عبدالله بن عمر بن أبى سلمة عن جـدته أم سلمة ، زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : لمـا أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لى بعيره ثم حملنى عليه ، وحمل معى ابنى سلمة بن أبى سلمة فى حجرى ، ثم خرج بى يقود بى بعيره ، فلما رأته رجال بنى المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه ، فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟ قالت : فنزعوا خطام البعير من يده ، فأخذونى منه . قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد ، رهط أبى سلمة ، فقالوا : لاوالله ، لانترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا بُنى سلمة بينهم حتى خلعوا يده وانطلق به بنوعبد الأسد ، وحبسنى بنو المغيرة

---

(١) جماعة وراء جماعة .

عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة . قالت : ففرق بينى وبين زوجى وبين ابنى . قالت فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكى ، حتى أمسى : سنة أو قريبا منها حتى مر بى رجل من بنى عمى ، أحد بنى المغيرة ، فرأى ما بى فرحمنى فقال لبنى المغيرة : ألا تخرجون هذه المسكينة ، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ! قالت : فقالوا لى : الحقى بزوجك إن شئت . قالت : ورد بنو عبد الأسد إلىّ عند ذلك ابنى . قالت : فارتحلت بعيرى ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة . قالت : وما معى أحد من خلق الله . قالت : أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجى ، حتى إذا كنت بالتنعيم(١) لقيت عثمان بن طلحة ابن أبى طلحة ، أخا بنى عبد الدار فقال لى : إلى أين يا بنت أبى أمية ؟ قالت : فقلت أريد زوجى بالمدينة . قال : أوما معك أحد ؟ قالت : فقلت : لا والله ، إلا الله وبُنى هذا . قال : والله مالك من مترك ، فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معى يهوى بى ، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط ، أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ، ثم استأخر عنى ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى ، فحط عنه ، ثم قيده فى الشجرة ، ثم تنحى عنى إلى شجرة ، فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح ، قام إلى بعيرى فقدمه فرحله ثم استأخر عنى ، وقال : اركبى . فإذا ركبت واستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه ، فقاده ، حتى ينزل بى حتى أقدمنى المدينة ، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء ، قال : زوجك فى هذه القرية — وكان أبو سلمة بها نازلا — فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعا إلى مكة .

قال : فكانت تقول : والله ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة ، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة(٢) .

---

(١) موضع على فرسخين من مكة .

(٢) وقد كان عثمان يومئذ على كفره ، وإنما أسلم عثمان فى هدنة الحديبية ، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد ، وقتل يوم أحد إخوته مسافع ، وكلاب والحارث ، وأبوهم ، وعمه عثمان بن أبى طلحة قتل أيضا يوم أحد كافراً وبيده كانت مفاتيح الكعبة ودفعها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عام الفتح إلى عثمان بن طلحة بن أبى طلحة ، وإلى ابن عمه شيبة بن أبى عثمان بن أبى طلحة وهو جد بنى شيبة حجبة الكعبة ، واسم أبى طلحة جدهم : عبد الله بن عبد الله بن عبد العزى ، وقتل عثمان رحمه الله شهيداً بأجنادين فى أول خلافة عمر .

قال ابن إسحاق : ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبى سلمة : عامر بن ربيعة ، حليف بنى عدى بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبى حشمة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عدى بن كعب . ثم عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير ابن غنم بن دودان بن أسُد بن خزيمة ، حليف بنى أمية بن عبد شمس ، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جحش ، وهو أبو أحمد — وكان أبو أحمد رجلا ضرير البصر ، وكان يطوف مكة ، أعلاها وأسفلها ، بغير قائد ، وكان شاعرا ، وكانت عنده الفرعة بنت أبى سفيان بن حرب ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم — فغلقت دار بنى جحش[1] هجرة ، فمر بها عتبة ابن ربيعة . والعباس بن عبد المطلب ، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة ، وهى دار أبان بن عثمان اليوم التى بالردم ، وهم مصعدون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة بن ربيعة تخفق أبوابها يبابا[2] ليس فيها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصُّعداء ، ثم قال :

---

(١) وبنى جحش هم : عبد الله وأبو أحمد واسمه : عبد ، وقد كان أخوهم عبيد الله أسلم ثم تنصر بأرض الحبشة ، وزينب بنت جحش أم المؤمنين التى كانت عند زيد بن حارثة ونزلت فيها « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها » ، وأم حبيب بنت جحش التى كانت تستحاض ، وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف وحمنة بنت جحش التى كانت تحت مصعب بن عمير ، وكانت تستحاض أيضا ، وقد روى أن زينب استحيضت ، أيضا ، ووقع فى الموطأ أن زينت بنت جحش التى كانت تحت عبد الرحمن بن عوف، وكانت تستحاض ولم تك قط زينب عند عبد الرحمن ابن عوف ، ولا قاله أحد ، والغلط لا يسلم بشر منه ، وإنما كانت تحت عبد الرحمن أختها أم حبيب ، ويقال فيها أم حبيبة ، غير أن شيخنا أبا عبد الله محمد بن نجاح ، أخبرنى أن أم حبيب كان اسمها : زينب فهما زينبان غلبت على إحداهما الكنية ، فعلى هذا لا يكون فى حديث الموطأ وهم ولا غلط والله أعلم . وكان اسم زينب بنت جحش : برة فسماها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — زينب ، وكذلك زينب بنت أم سلمة ربيبته عليه السلام ، كان اسمها برة ، فسماها زينب كأنه كره أن تزكى المرأة نفسها بهذا الاسم ، وكان اسم جحش بن رئاب : برة بضم الباء فقالت زينب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله لو غيرت اسم أبى ، فان البرة صغيرة فقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : لو أبوك مسلما لسميته باسم من أسمائنا أهل البيت ، ولكنى سميته جحش والجحش أكبر من البرة . وذكر هذا الحديث مسنداً فى كتابه المؤتلف والمختلف أبو الحسن الدارقطنى . عن الروض الأنف .

(٢) اليباب : القفر .

وكل دار وإن طالت سلامتها يوما ستدركها النكباء والحوب

قال ابن هشام: وهذا البيت لأبى دُواد الإيادى فى قصيدة له . والحوب : التوجع .

قال ابن إسحاق : ثم قال عتبة بن ربيعة : أصبحت دار بنى جحش خلاء من أهلها ! فقال له أبو جهل : وما تبكى عليه من قُلِّ ابن قل .

قال ابن هشام : القل : الواحد . قال لبيد بن ربيعة :

كل بنى حـــرة مصيرهم قُـــل وإن أكثرت من العدد

قال بن إسحاق : ثم قال : هذا عمل ابن أخى هذا ، فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا وقطع بيننا . وكان منزل أبى سلمة بن عبد الأسد ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن جحش ، وأخيه أبى أحمد ابن جحش ، على مبشر بن عبد المنذر بن زنبر بقباء ، فى بنى عمرو بن عوف ، ثم قدم المهاجرون أرسالا ، وكان بنو غنم بن دوادن أهل إسلام ، قد أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرة رجالهم ونساءهم : عبد الله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد بن جحش ، وعكاشة ابن محصن ، وشجاع ، وعقبة ، ابنا وهب ، وأربد بن حُميِّرة .

قال بن هشام : ويقال ابن حُميْرة .

قال بن إسحاق : ومنقذ بن نباتة ، وسعيد بن رقيش ، ومحْرز بن نضلة ، ويزيد بن رقيش ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن محصن ، ومالك بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، وثقف بن عمرو ، وربيعة بن أكثم ، والزبير بن عبيد ، وتمام بن عبيدة ، وسخبرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله ابن جحش .

ومن نسائهم : زينب بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجذامة بنت جندل ، وأم قيس بنت محصن ، وأم حبيب بنت ثمامة ، وآمنة بنت رُقيش ، وسخبرة بنت تميم ، وحمنة بنت جحش .

وقال أبو أحمد بن جحش بن رئاب ، وهو يذكر هجرة بنى أسد بن خزيمة من قومه إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإيعابهم فى ذلك حين دُعوا إلى الهجرة :

ولو حلفتْ بين الصفا أم أحمد ومروتها بالله برت يمينها

لنحن الألى كنا بها ثم لم نزل بمـــكة حتى عاد غثا سمينها

بها خيَّمت غنم بن دوادن وابتنت وما إن غدت غنم وخف قطينها(١)

---

(١) القطين : القوم المقيمون .

إلى الله تغدو بين مثنى وواحد ... ودين رسول الله بالحق دينها

وقال أبو أحمد بن جحش أيضاً :

لما رأتني أم أحمد غاديا ... بذمة من أخشى بغيب وأرهب

تقول : فإما كنت لابد فاعلا ... فيمم بنا البلدان ولتنأ يثرب

فقلت لها : بل يثرب اليوم وجهنا ... وما يشاء الرحمن فالعبد يركب

إلى الله وجهي والرسول ومن يقم ... إلى الله يوما وجهه لا يُخيَّب

فكم قد تركنا من حميم مناصح ... وناصحة تبكى بدمع وتندب

ترى أن وتراً نأينا عن بلادنا ... ونحن نرى أن الرغائب نطلب

دعوت بني غنم لحقن دمائهم ... وللحق لما لاح للناس ملحب[1]

أجابوا بحمد الله لما دعاهم ... إلى الحق داع والنجاح فأوعبوا

وكنا وأصحابا لنا فارقوا الهدى ... أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا

كفوجين : أما منهما فوفق ... على الحق مهدى ، وفوج معذب

طغوا وتمنّوا كذبة وأزلهم ... عن الحق إبليس فخابوا وخيبوا

ورعنا إلى قول النبي محمد ... فطاب ولاة الحق منا وطيبوا[2]

نمتّ بأرحام إليهم قريبة ... ولا قرب بالأرحام إذ لاتقرب

فأى ابن أخت بعدنا يأمنتكم ... وأية صهر بعد صهرى ترقب

ستعلم يوما أينا إذ تزايلوا ... وزيّل أمر الناس للحق أصوب

قال ابن هشام : قوله « ولتنأ يثرب » ، وقوله « إذ لاتقرب » ، عن غير ابن إسحاق . قال ابن هشام يريد بقوله : « إذ » إذا ، كقول الله عز وجل : « إذ الظالمون موقوفون عند ربهم » . قال أبو النجم العجلى :

ثم جزاه الله عنا إذ جزى ... جنات عدن فى العلالىّ والعلا

---

(١) الملحب : الطريق الواضح .

(٢) رعنا : رجعنا .

هجرة عمر وقصة عياش وهشام معه

قال ابن إسحاق : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبى ربيعة المخزومى ، حتى قدما المدينة . فحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن أبيه عمر بن الخطاب ، قال : اتعدتُ ، لما أردنا الهجرة إلى المدينة ، أنا وعياش بن أبى ربيعة ، وهشام بن العاصى بن وائل السهمى التناضب من أضاة بنى غفار ، فوق سرف وقلنا : أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه . قال : فأصبحت أنا وعياش بن أبى ربيعة عند التناضب ، وحبس عنا هشام ، وفتن فافتتن .

فلما قدمنا المدينة نزلنا فى بنى عمرو بن عوف بقباء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبى ربيعة ، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما ، حتى قدما علينا المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فكلماه وقالا : إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك ، فرقَّ لها ، فقلت له : يا عياش ، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت . قال : فقال : أبر قسم أمى ، ولى هنالك مال فآخذه . قال : فقلت : والله إنك لتعلم أنى لمن أكثر قريش مالا ، فلك نصف مالى ولا تذهب معهما . قال : فأبى على إلا أن يخرج معهما ؛ فلما أبى إلا ذلك ؛ قال : قلت له : أما إذ قد فعلت ما فعلت ، فخذ ناقتى هذه ، فإنها ناقة نجيبة ذلول ، فالزم ظهرها ، فإن رابك من القوم ريب ، فانج عليها .

فخرج عليها معهما ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، قال له أبو جهل : يابن أخى ، والله لقد استغلظت بعيرى هذا ، أفلا تعقبنى على ناقتك هذه ؟ قال : بلى . قال : فأناخ ، وأناخا ليتحول عليها ، فلما استووا بالأرض عدوا عليه ، فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة ، وفتناه فافتتن .

قال ابن إسحاق : فحدثنى به بعض آل عياش بن أبى ربيعة : أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهاراً موثقا ، ثم قالا : يأهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهائكم ، كما فعلنا بسفيهنا هذا .

كتاب عمر إلى هشام بن العاصى : قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن عمر فى حديثه ، قال : فكنا نقول : ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة ، قوم عرفوا الله ، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم ! قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم . فلما

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أنزل الله تعالى فيهم ، وفى قولنا وقولهم لأنفسهم : « قل ياعبادىَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون » .

قال عمر بن الخطاب فكتبتها بيدى فى صحيفة ، وبعثت بها إلى هشام بن العاصى قال : فقال هشام بن العاصى : فلما أتتنى جعلت أقرؤها بذى طوى[1] ، أصعِّد بها فيه وأصوب ولا أفهمها حتى قلت : اللهم فهمنيها . قال : فألقى الله تعالى فى قلبى أنها إنما أنزلت فينا ، وفيما كنا نقول فى أنفسنا ويقال فينا . قال : فرجعت إلى بعيرى ، فجلست عليه ، فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة .

أمر الوليد بن الوليد مع عياش وهشام : قال ابن هشام : فحدثنى من أثق به : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، وهو بالمدينة : من لى بعياش بن أبى ربيعة ، وهشام بن العاصى فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أنا لك يارسول الله بهما ، فخرج إلى مكة ، فقدمها مستخفيا ، فلقى امرأة تحمل طعاما فقال لها : أين تريدين يا أمة الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين — تعنيهما — فتبعها حتى عرف موضعهما ، وكانا محبوسين فى بيت لا سقف له ؛ فلما أمسى تسور عليهما ، ثم أخذ مروة[2] فوضعها تحت قيديهما ، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما ، فكان يقال لسيفه : « ذو المروة » لذلك ، ثم حملهما على بعيره ، وساق بهما ، فعثر فدميت أصبعه ، فقال :

هل أنت إلا أصبع دميت   وفى سبيل الله ما لقيت

ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

منازل المهاجرين بالمدينة

قال ابن إسحاق : ونزل عمر بن الخطاب حين قدم المدينة ومن لحق به من أهله وقومه ، وأخوه زيد بن الخطاب ؛ وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر ، وخنيس بن حذافة السهمى — وكان صهره على ابنته حفصة بنت عمر ، فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده —

---

(١) موضع بأسفل مكة .

(٢) المروة : الحجر .

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وواقد بن عبد الله التميمى ، حليف لهم ؛ وخوْلى بن أبى خولى ؛ ومالك بن أبى خولى ، حليفان لهم .

قال ابن هشام : أبو خولى : من بنى عجل بن لُجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل .

قال ابن إسحاق : وبنو البكير أربعتهم : إياس بن البكير ، وعاقل بن البكير ، وعامر بن البكير ، وخالد بن البكير ، وحلفاؤهم من بنى سعد بن ليث ، على رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر ، فى بنى عمرو بن عوف بقباء ، وقد كان منزل عياش بن أبى ربيعة معه عليه حين قدما المدينة .

ثم تتابع المهاجرون ، فنزل طلحة بن عبيد الله بن عثمان ، وصهيب بن سنان على خبيب بن أخى بلحارث بن الخزرج بالسنح[١] . ويقال : بل نزل طلحة بن عبيد الله على أسعد بن زرارة ، أخى بنى النجار .

قال ابن هشام : وذكر لى عن أبى عثمان النهدى أنه قال : بلغنى أن صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكا حقيراً ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك ؛ فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ؟ قالوا : نعم . قال : فإنى جعلت لكم مالى . قال : فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ربح صهيب ، ربح صهيب .

قال ابن إسحاق : ونزل حمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو مرثد كناز ابن حصن .

— قال ابن هشام : ويقال ، ابن حصين — وابنه مرثد الغنويان ، حليفا حمزة بن عبد المطلب وأنسة ، وأبو كبشة[٢] ، موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على كلثوم بن هدم ، أخى بنى

---

(١) السنح : بعوالى المدينة .

(٢) أنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من مولدى السراة ويكنى : أبا مسروح شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومات فى خلافة أبى بكر ، وأبو كبشة اسمه : سليم يقال إنه من فارس ، ويقال : من مولدى أرض دوس ، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومات فى خلافة عمر فى اليوم الذى ولد فيه عروة بن الزبير وأما الذى كانت كفار قريش تذكره وتنسب النبى عليه السلام إليه ، وتقول قال ابن أبى كبشة وفعل ابن أبى كبشة فقيل فيه أقوال : قيل : إنها كنية أبيه لأمه وهب بن =

عمرو بن عوف بقباء ويقال بل نزلوا على سعد بن خيثمة ويقال : بل نزل حمزة بن عبد المطلب على أسعد بن زرارة ، أخى بنى النجار . كل ذلك يقال .

ونزل عُبيدة بن الحارث بن المطلب ، وأخوه الطُفيل بن الحارث ، والحصين بن الحارث ، ومسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب ، وسويبط بن سعد بن حريملة ، أخو بنى عبد الدار وطليب ابن عمير ، أخو بنى عبد بن قصى ، وخباب ، مولى عتبة بن غزوان ، على عبد الله بن سلمة ، أخى بلعجلان بقباء .

ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أخى بلحارث بن الخزرج ، فى دار بلحارث بن الخزرج .

ونزل الزبير بن العوام ، وأبو سبرة بن أبى رُهم بن عبد العزى ، على منذر بن محمد بن عقبة ابن أحيحة بن الجلاح بالعُصبة ، دار بنى جحجبى .

ونزل مصعب بن عمير بن هاشم ، أخو بنى عبد الدار على سعد بن معاذ بن النعمان ، أخى بنى عبد الأشهل ، فى دار بنى عبد الأشهل .

ونزل أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم مولى أبى حذيفة .

ـــ قال ابن هشام: سالم مولى أبى حذيفة سائبة[1] لثُبيتة بنت يعار بن زيد بن عبيد بن زيد ابن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، سيبته فانقطع إلى أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة فتبناه ، فقيل : سالم مولى أبى حذيفة، ويقال : كانت ثبيتة بنت يعار تحت أبى حذيفة بن عتبة فأعتقت سالما سائبة . فقيل : سالم مولى أبى حذيفة ـــ

قال ابن إسحاق : ونزل عتبة بن غزوان بن جابر على عباد بن بشر بن وقش أخى بنى عبد الأشهل ، فى دار عبد الأشهل .

= عبد مناف ، وقيل : كنية أبيه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى ، وقيل : إن سلمى أخت عبد المطلب كان يكنى أبوها أبا كبشة وهو عمرو بن لبيد ، وأشهر من هذه الأقوال كلها عند الناس أنهم شبهوه برجل كان يعبد الشعرى وحده دون العرب ، فنسبوه إليه لخروجه عن دين قومه .

وذكر الدارقطنى اسم أبى كبشة هذا فى المؤتلف والمختلف ، فقال : اسمه وجز بن غالب وهو خزاعى من بنى غبشان .

(١) السائبة : أى لا ولاء لأحد عليه .

ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر ، أخى حسان بن ثابت فى دار بنى النجار ، فلذلك كان حسان يحب عثمان ويبكيه حين قتل .

وكان يقال : نزل الأعزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزبا ، فالله أعلم أى ذلك كان .

هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤذن له فى الهجرة ، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن ، إلا على بن أبى طالب ، وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق رضى الله عنهما ، وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا ، فيطمع أبو بكر أن يكونه .

قريش تتشاور فى أمره عليه السلام : قال ابن إسحاق : ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا دارا ، وأصابوا منهم منعة ، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنهم قد أجمع لحربهم . فاجتمعوا له فى دار الندوة — وهى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لا تقضى أمرا إلا فيها — يتشاورون فيها ما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين خافوه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ابن جبير أبى الحجاج ، وغيره ممن لا أتهم ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : لما أجمعوا لذلك ، واتّعدوا أن يدخلوا فى دار الندوة ليتشاوروا فيها فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غدوا فى اليوم الذى اتعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة ، فاعترضهم إبليس فى هيئة شيخ جليل ، عليه بتلة [١] ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفا على بابها ، قالوا : من الشيخ قال : شيخ من أهل نجد [٢] سمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم ليسمع

---

(١) البتلة : الكساء الغليظ .

(٢) وإنما قال لهم إنى من أهل نجد فيما ذكر بعض أهل السيرة ، لأنهم قالوا لا يدخل =

ماتقولون ، وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا ، قالوا : أجل ، فادخل ، فدخل معهم ، وقد أجتمع فيها أشراف قريش ؛ من بنى عبدشمس : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبوسفيان ابن حرب . ومن بنى نوفل بن عبد مناف : طعيمة بن عدى ، وجبير بن مطعم ، والحارث بن عامر بن نوفل . ومن بنى عبد الدار بن قصى : النضر بن الحارث بن كلدة . ومن بنى أسد بن عبد العزى : أبو البخترى بن هشام ، وزمعة بن الأسود بن المطلب ، وحكيم بن حزام . ومن بنى مخزوم : أبو جهل بن هشام . ومن بنى سهم : نبيه ومنبه ابنا الحجاج . ومن بنى جمح : أمية ابن خلف . ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا . قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم : احبسوه فى الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ماأصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ، زهيراً والنابغة ، ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم ، فقال الشيخ النجدى : لا والله ، ما هذا لكم برأى . والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم ، فينزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم به ، حتى يغلبوكم على أمركم ، ماهذا لكم برأى ، فانظروا فى غيره ، فتشاوروا . ثم قال

= معكم فى المشاورة أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد . فلذلك تمثل لهم فى صورة شيخ نجدى ، وقد ذكر السهيلى فى خبر بنيان الكعبة أنه تمثل فى صورة شيخ نجدى أيضاً ، وحين حكموا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أمر الركن : من يرفعه ، فصاح الشيخ النجدى : يامعشر قريش : أقد رضيتم أن يليه هذا الغلام دون أشرافكم وذوى أسنانكم ، فإن صح هذا الخبر فلمعنى آخر تمثل نجديا ، وذلك أن نجد ومنها يطلع قرن الشيطان، كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قيل له : وفى نجد يارسول الله ؟ قال : هنالك الزلازل والفتن ، ومنها يطلع قرن الشيطان ، فلم يبارك عليها ، كما بارك على اليمن والشام وغيرها ، وحديثه الآخر أنه نظر إلى المشرق ، فقال : إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان ، وفى حديث ابن عمر ، حين قال هذا الكلام ، ووقف عند باب عائشة ، ونظر إلى المشرق فقاله ، وفى وقوفه عند باب عائشة ناظراً إلى المشرق يحذر من الفتن ، وفكر فى خرجها إلى المشرق عند وقوع الفتنة تفهم من الإشارة ، واضمم إلى قوله عليه السلام حين ذكر نزول الفتن : أيقظوا صواحب الحجر . والله أعلم — عن الروض الأنف .

قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه ، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت . فقال الشيخ النجدى : لا والله ، ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم فى بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، دبروا فيه رأيا غير هذا . قال : فقال أبو جهل ابن هشام : والله إن لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ؛ قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا إليه ، فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه ، فنستريح منه . فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل ، فعقلناه لهم . قال : فقال الشيخ النجدى : القول ما قال الرجل ، هذا الرأى الذى لا رأى غيره ، فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له .

استخلافه لعلى : فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه . قال : فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام ، فيثبون عليه ؛ فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلى بن أبى طالب : نم على فراشى وتسج ببردى هذا الحضرمى الأخضر ، فنم فيه ، فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى برده ذلك إذا نام .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى قال : لما اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره ، كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها .

قال : وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حفنة من تراب فى يده ، ثم قال أنا أقول ذلك ، أنت أحدهم . وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه ، فلا يرونه ، فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس : « يس والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم . تنزيل العزيز الرحيم » ... إلى قوله : « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل إلا قد وضع على رأسه ترابا ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم ، فقال :

ما تنتظرون هاهنا ؟ قالوا : محمدا : قال : خيبكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون مابكم ؟ قال : فوضع كل رجل منهم يده على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائما ، عليه برده . فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا[1] فقام على رضى الله عنه عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذى حدثنا .

ما نزل فى تربص المشركين بالنبى : قال ابن إسحاق : وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن فى ذلك اليوم ، وما كانوا أجمعوا له : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين » ، وقول الله عز وجل : « أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ، قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين » .

قال ابن هشام :المنون : الموت .وريب المنون : ما يريب ويعرض منها . قال أبو ذؤيب الهذلى:

أمن المنـــون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وأذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك فى الهجرة .

أبو بكر يطمع فى الصاحبة : قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلا ذا مال ، فكان حين استأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل ، لعل الله يجد لك صاحبا ، قد طمع بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما يعنى بنفسه ، حين قال له ذلك ، فابتاع راحلتين ، فاحتبسهما فى داره ، يعلفهما إعدادا لذلك .

حديث الهجرة إلى المدينة : قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم ، عن عروة بن الزبير،

---

(١) قال السهيلى : « وذكر بعض أهل التفسير السبب المانع لهم من التقحم عليه فى الدار مع قصر الدار وأنهم إنما جاءوا لقتله ، فذكر فى الخبر أنهم هموا بالولوج عليه ، فصاحت امرأة من الدار ، فقال بعضهم لبعض . والله إنها للسبة فى العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم ، وهتكنا ستر حرمتنا ، فهذا هو الذى أقامهم بالباب . أصبحوا ينتظرون خروجه ، ثم طمست أبصارهم على من خرج » . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ٢ .

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار ، إما بكرة ، وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذى أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، والخروج من مكة من بين ظهرى قومه ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة ، فى ساعة كان لا يأتى فيها : قالت : فلما رآه أبو بكر ، قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث . قالت : فلما دخل ، تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخرج عنى من عندك : فقال : يا رسول الله ، إنما هما ابنتاى ، وما ذاك ؟ فداك أبى وأمى ! فقال : إن الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة . قالت : فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله : قال : الصحبة . قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ، ثم قال : يانبى الله ، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا . فاستأجرا عبد الله بن أرقط ـ رجلا من بنى الدئل بن بكر ، وكانت أمه امرأة من بنى سهم بن عمرو ، وكان مشركا ـ يدلهما على الطريق ، فدفعا إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

قال ابن إسحاق : ولم يعلم فيما بلغنى ، بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد ، حين خرج ، إلا على بن أبى طالب ، وأبو بكر الصديق ، وآل أبى بكر . أما على فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى ـ أخبره بخروجه ، وأمره أن يتخلف بعده بمكة ، حتى يؤدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع ، التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شىء يخشى عليه إلا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم .

فى الغار : قال ابن إسحاق : فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج ، أتى أبا بكر ابن أبى قحافة ، فخرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عمدا إلى غار بثور ـ جبل بأسفل مكة ـ فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبى بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر ؛ وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما ، يأتيهما إذا أمسى فى الغار . وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن الحسن بن أبى الحسن البصرى قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا ، فدخل أبو بكر رضى الله عنه

قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمس الغار ، لينظر أفيه سبع أو حية ، يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

من قام بشأن الرسول فى الغار : قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثا ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة ، لمن يرده عليهم . وكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش نهاره معهم ، يسمع ما يأتمرون به ، وما يقولون فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر . وكان عامر ابن فهيرة ، مولى أبى بكر رضى الله عنه ، يرعى فى رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا عبد الله بن أبى بكر غدا من عندهما إلى مكة ، اتبع عامر ابن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفى عليه ، حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذى استأجراه ببعيريهما وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما بسفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عصاما[1] فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة ، فإذا ليس لها عصام ، فتحل نطاقها فتجعله عصاما ، ثم علقتها به .

سبب تسمية أسماء بذات النطاق : فكان يقال لأسماء بنت أبى بكر : ذات النطاق ، لذلك .

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين ، وتفسيره : أنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين ، فعلقت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر .

راحلة الرسول : قال ابن إسحاق : فلما قرّب أبو بكر ، رضى الله عنه ، الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قدم له أفضلهما ، ثم قال : اركب ، فداك أبى وأمى ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لا أركب بعيرا ليس لى ؛ قال : فهى لك يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ؛ قال : لا ، ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ؛ قال : قد أخذتها به : قال : هى لك يا رسول الله[2] . فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر الصديق رضى الله عنه عامر بن فهيرة مولاه خلفه ، ليخدمهما فى الطريق .

---

(١) العصام : الحبل يشد على فم المزادة .

(٢) سئل بعض أهل العلم : لم لم يقبلها إلا بالثمن ، وقد أنفق أبو بكر عليه من ماله ما هو أكثر من هذا فقبل ، وقد قال عليه السلام : ليس من أحد أمنّ على فى أهل ومال من أبى بكر ، وقد دفع إليه حين بنى بعائشة ثنتى عشرة أوقية ونشا ، فلم يأب من ذلك؟ فقال المسئول إنما ذلك لتكون هجرته إلى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام فى استكمال فضل الهجرة والجهاد

أبو جهل يضرب أسماء : قال ابن إسحاق : فحدثت عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه ، أتانا نفر من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجت إليهم ؛ فقالوا : أين أبوك يا بنت أبى بكر ؟ قالت : قلت : لا أدرى والله أين أبى ؟ قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشاً خبيثا ، فلطم خدى لطمة طرح منها قرطى .

الجنى الذى تغنى بمقدمه صلى الله عليه وسلم: قالت : ثم انصرفوا. فمكثنا ثلاث ليال، وما ندرى أين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة، يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ؛ وإن الناس ليتبعونه ، يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر ثم تروحا ... فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد

نسب أم معبد : قال ابن هشام : أم معبد[1] بنت كعب ، امرأة من بنى كعب ، من خزاعة . وقوله « حلا خيمتى » ، و « هما نزلا بالبر ثم تروحا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : قالت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما : فلما سمعنا قوله ، عرفنا

= على أتم أحوالها ، وهو قول حسن .

وذكر ابن إسحاق فى غير رواية ابن هشام : أن الناقة التى ابتاعها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أبى بكر يومئذ هى : ناقته التى تسمى بالجدعاء ، وهى العضباء التى جاء فيها الحديث .

(٢) اسمها : عاتكة بنت خالد إحدى بنى كعب من خزاعة، وهى أخت حبيش بن خالد وله صحبة ورواية ، ويقال له الأشعر ، وأخوها : حبيش بن خالد ، وخالد الأشعر أبوهما ، هو : ابن خنيف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن كعب بن عمرو وهو أبو خزاعة .

حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن وجهه إلى المدينة وكانوا أربعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، وعبد الله بن أرقط دليلهما .

قال ابن هشام : ويقال : عبد الله بن أريقط .

موقف آل أبى بكر بعد الهجرة : قال ابن إسحاق : فحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير أن أباه عبادا حدثه عن جدته أسماء بنت أبى بكر ، قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله ، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه . قالت : فدخل علينا جدى أبو قحافة ، وقد ذهب بصره ، فقال : والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه . قالت : قلت : كلا يا أبت ! إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا . قالت : فأخذت أحجارا فوضعتها فى كوة فى البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ، ضع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه ، فقال : لا بأس ، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم . ولا والله ما ترك لنا شيئا ولكنى أردت أن أسكن الشيخ بذلك .

سراقة بن مالك : قال ابن إسحاق وحدثنى الزهرى أن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم حدثه . عن أبيه ، عن عمه سراقة بن مالك بن جعشم ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا إلى المدينة ، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم . قال : فبينا أنا جالس فى نادى قومى إذ أقبل رجل منا ، حتى وقف علينا ، فقال : والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا علىّ آنفا ، إنى لأراهم محمدا وأصحابه ، قال : فأومأت إليه بعينى : أن اسكت ، ثم قلت : إنما هم بنو فلان ، يبتغون ضالة لهم ؛ قال : لعله ، ثم سكت . قال : ثم مكثت قليلا ، ثم قمت فدخلت بيتى ، ثم أمرت بفرسى ، فقيد لى إلى بطن الوادى ، وأمرت بسلاحى ، فأخرج لى من دبر حجرتى ، ثم أخذت قداحى التى أستقسم بها ، ثم انطلقت ، فلبست لأمتى ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها ؛ فخرج السهم الذى أكره « لا يضره » . قال : وكنت أرجو أن أرده على قريش ، فآخذ المائة الناقة . قال : فركبت على أثره ، فبينما فرسى يشتد بى عثر بى ، فسقطت عنه قال : فقلت : ما هذا ؟ قال ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذى أكره « لا يضره » . قال : فأبيت إلا أن أتبعه . قال : فركبت فى أثره فبينا فرسى يشتد بى ، عثر بى ، فسقطت عنه . قال : فقلت : ما هذا ؟ قال : ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذى أكره « لا يضره » . قال : فأبيت إلا أن أتبعه فركبت فى أثره . فلما بدا لى القوم ورأيتهم

عثر بى فرسى ، فذهبت يداه فى الأرض ، وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبعهما دخان كالإعصار . قال : فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنع منى ، وأنه ظاهر . قال : فناديت القوم : فقلت : أنا سراقة بن جعشم : انظرونى أكلمكم ، فوالله لا أريبكم ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : قل له : وما تبتغى منا ؟ قال فقال ذلك أبو بكر ، قال : قلت : تكتب لى كتابا يكون آية بينى وبينك . قال : اكتب له يا أبا بكر .

قال : فكتب لى كتابا فى عظم ، أو فى رقعة ، أو فى خزفة ، ثم ألقاه إلىّ ، فأخذته ، فجعلته فى كنانتى ، ثم رجعت ، فسكت فلم أذكر شيئاً مما كان حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرغ من حنين والطائف ، خرجت ومعى الكتاب لألقاه ، فلقيته بالجعرانة . قال : فدخلت فى كتيبة من خيل الأنصار . قال : فجعلوا يقرعوننى بالرماح ويقولون : إليك ماذا تريد ؟ قال : فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته ، والله لكأنى أنظر إلى ساقه فى غرزه كأنها جمّارة . قال : فرفعت يدى بالكتاب ، ثم قلت : يارسول الله ، هذا كتابك ، أنا سراقة بن جعشم قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم وفاء وبر ، ادنه قال : فدنوت منه ، فأسلمت . ثم تذكرت شيئاً أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره ، إلا أنى قلت : يارسول الله ، الضالة من الإبل تغشى حياضى ، وقد ملأتها لإبلى ، هل لى من أجر فى أن أسقيها ؟ قال : نعم ، فى كل ذات كبد حرّى أجر . قال : ثم رجعت إلى قومى فسقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتى .

قال ابن هشام : عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جعشم .

طريق الهجرة : قال ابن إسحاق : فلما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط ، سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل ، حتى عارض الطريق أسفل من عُسفان ، ثم سلك بهما على أسفل أمج ، ثم استجاز بهما ، حتى عارض بهما الطريق ، بعد أن أجاز قديداً ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك ، فسلك بهما الخرّار ، ثم سلك بهما ثنية المرّة ، ثم سلك بهما لقفا .

قال ابن هشام : ويقال : لفتا . قال معقل بن خويلد الهذلى :

نزيعا محلبا من أهل لفت ... لحى بين أثلة والنحام

قال ابن إسحاق : ثم أجاز بهما مدلجة لقف ثم استبطن بهما مدلجة محاج — ويقال : مجاج

فيما قال ابن هشام — ثم سلك بهما مرجِح محاج ، ثم تبطن بهما مرجح من ذى الغضوين — قال ابن هشام : ويقال : العضوين — ثم بطن ذى كشر ، ثم أخذ بهما على الجداجد ، ثم على الأجرد ، ثم سلك بهما ذا سلمٍ من بطن أعداء مدلجة تِعْهِن[1] ، ثم على العبابيد . قال ابن هشام ويقال : العبابيب ؛ ويقال : العثيانة . يريد : العبابيب .

قال ابن إسحاق : ثم أجاز بهما الفاجة ؛ ويقال : القاحّة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن هشام : ثم هبط بهما العرْج ، وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهم ، فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أسلم ، يقال له : أوس بن حجر ، على جمل له — يقال له : ابن الرداء — إلى المدينة ، وبعث معه غلاما له ، يقال له : مسعود بن هنيدة ، ثم خرج بهما دليلهما من العرج ، فسلك بهما ثنية العائر ، عن يمين ركوبة — ويقال : ثنية الغائر ، فيما قال ابن هشام — حتى هبط بهما بطن رئم ، ثم قدم بهما قُباء ، على بنى عمرو بن عوف ، لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ، حين اشتد الضحاء ، وكادت الشمس تعتدل .

قدومه صلى الله عليه وسلم قباء : قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عويمر بن ساعـــدة ، قال : حدثنى رجال من قومى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وتوكفنا[2] قدومه ، كنا نخرج إذا صلينا الصبح ، إلى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فإذا لم نجد ظلا دخلنا وذلك فى أيام حارة . حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جلسنا كما كنا نجلس حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود ، قد رأى ما كنا نصنع ، وأنا ننتظر قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ، فصرخ بأعلى صوته : يا بنى قيلة[3] ، هذا جدكم قد جاء . قال : فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى ظل نخلة ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه فى مثل سنه وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، وركبه الناس[4] وما يعرفونه

---

(١) اسم عين .

(٢) توكفنا ، انتظرنا .

(٣) قيلة جدة للأنصار ينتسبون إليها .

(٤) ازدحموا عليه .

من أبى بكر ، حتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر فأظله بردائه ، فعرفناه عند ذلك[1] .

قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — على كلثوم بن هدم ، أخى بنى عمرو بن عوف ثم أحد بنى عبيد ؛ ويقال : بل نزل على سعد بن خيثمة ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن هدم : إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من منزل كلثوم بن هدم جلس للناس فى بيت سعد بن خيثمة . وذلك أنه كان عزبا لا أهل له ، وكان منزل الأعزاب[2] من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين ، فمن هنالك يقال نزل على سعد بن خيثمة ، وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة : بيت الأعزاب . فالله أعلم أى ذلك كان ، كلا قد سمعنا .

ونزل أبو بكر الصديق رضى الله عنه على خبيب بن إساف ، أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسنح . ويقول قائل : كان منزله على خارجة بن زيد بن أبى زهير ، أخى بنى الحارث ابن الخزرج .

وأقام على بن أبى طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس حتى إذا فرغ منها ، لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل معه على كلثوم بن هدم .

---

(١) كان قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة من ربيع الأول وفى شهر أيلول من شهور العجم ، وقال غير ابن إسحاق قدمها لثمان خلون من ربيع الأول ، وقال ابن الكلبى ، خرج من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول . ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتى عشرة منه ، وكانت بيعة العقبة أوسط أيام التشريق .

(٢) وكلثوم هذا هو ابن الهدم بن امرىء القيس بن الحارث بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو ابن عوف بن مالك بن الأوس ، وكان شيخا كبيراً مات بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم — المدينة بيسير ، هو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبى صلى الله عليه وسلم . ثم مات بعده أسعد بن زرارة بأيام وسعد بن خيثمة وأنه كان يقال لبيته ، بيت العزاب هكذا روى — وصوابه ، الأعزاب ، لأنه جمع عزب ، يقال رجل عزب ، وامرأة عزب ، وقد قيل ، امرأة عزبة بالتاء .

فكان على بن أبى طالب ، وإنما كانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين يقول : كانت بقباء امرأة لازوج لها ، مسلمة . قال : فرأيت إنسانا يأتيها من جوف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيها شيئاً معه فتأخذه . قال : فاستربت بشأنه ، فقلت لها : يا أمة الله ، من هذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كل ليلة ، فتخرجين إليه فيعطيك شيئاً لا أدرى ما هو ، وأنت امرأة مسلمة لازوج لك ؟ قالت : هذا سهل بن حنيف بن واهب ، قد عرف أنى امرأة لا أحد لى ، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ، ثم جاءنى بها ، فقال : احتطبى بهذا ، فكان على رضى الله عنه يأثر ذلك من أمر سهل بن حنيف ، حتى هلك عنده بالعراق .

قال ابن إسحاق : وحدثنى هذا ، من حديث على رضى الله عنه ، هند بن سعد بن سهل بن حنيف ، رضى الله عنه .

مسجد قباء[1] : قال ابن إسحاق. فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ، فى بنى عمرو بن عوف ، يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس ، وأسس مسجده .

خروج الرسول من قباء وذهابه إلى المدينة : ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك فالله أعلم أى ذلك كان . فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة فى بنى سالم بن عوف ، فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى ، وادى رانوناء ، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة .

اعتراض القبائل له لينزل عندها : فأتاه عتبان بن مالك ، وعباس بن عبادة بن نضلة فى رجال من بنى سالم بن عوف ، فقالوا : يارسول الله . أقم عندنا فى العدد والعدة والمنعة ؛ قال خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، لناقته : فخلوا سبيلها ؛ فانطلقت ، حتى إذا وازنت دار بنى بياضة ، تلقاه زياد بن لبيد ، وفروة بن عمرو ، فى رجال من بنى بياضة فقالوا : يارسول الله : هلم إلينا ، إلى العدد والعدة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها . فانطلقت ، حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة ، اعترضه سعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو ، فى رجال من بنى ساعدة ؛ فقالوا : يارسول الله ؛ هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها ؛ فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها ، فانطلقت ؛ حتى إذا وازنت دار بنى الحارث بن الخزرج ، اعترضه سعد بن الربيع ، وخارجة بن زيد ؛ وعبد الله بن رواحة ؛ فى رجال من بنى الحارث بن الخزرج فقالوا يارسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة قال : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ؛ فخلوا سبيلها . فانطلقت

---

(١) وهو أول مسجد بنى فى الإسلام .

حتى إذا مرت بدار بني عدى بن النجار ؛ وهم أخواله دِنْيا ـ أم عبد المطلب ؛ سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم — اعترضه سليط بن قيس ؛ وأبو سليط ؛ أسيرة بن أبي خارجة ؛ في رجال من بني عدى بن النجار ؛ فقالوا . يارسول الله ؛ هلم إلى أخوالك ؛ إلى العدد والعدة والمنعة ؛ قال ؛ خلوا سبيلها فإنها مأمورة ؛ فخلوا سبيلها ؛ فانطلقت .

مبرك الناقة : حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار ؛ بركت على باب مسجده صلى الله عليه وسلم ؛ وهو يومئذ مربد(١) لغلامين يتيمين من بني النجار ؛ ثم من بني مالك بن النجار ؛ وهما في حجر معاذ بن عفراء ؛ سهل وسهيل ابني عمرو . فلما بركت ؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليها لم ينزل ؛ وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لايثنيها به ثم التفتت إلى خلفها ؛ فرجعت إلى مبركها أول مرة ؛ فبركت فيه ؛ ثم تحلحلت ورزمت وألقت بجرانها(٢) فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فاحتمل أبو أيوب خالد ابن زيد رحله ، فوضعه في بيته ، ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأل عن المربد لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يارسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو(٣) وهما يتيمان لى ؛ وسأرضيهما منه ، فاتخذه مسجداً .

---

(١) المربد : المكان الذي يجفف فيه التمر .

(٢) تحلحلت ورزمت وألقت بجرانها أى : بعنقها ، وفسره ابن قتيبة على تلحلح أى : لزم مكانه : ولم يبرح ، وأنشد :

أناس إذا قيل انفروا قد أتيتم　　　أقاموا على أثقالهم وتلحلحوا

قال : وأما تحلحل بتقديم الحاء على اللام فمعناه : زال عن موضعه ، وهذا الذى قال قوى من الاشتقاق فإن التلحلح يشبه أن يكون من لححت عينه إذا التصقت ، وهو ابن عمى لحا .

وأما التحلحل : فاشتقاقه من الحل والانحلال بين ، لأنه انفكاك شيء ، ولكن الرواية في سيرة ابن إسحاق : تحلحلت بتقديم الحاء على اللام ، وهو خلاف المعنى إلا أن يكون مقلوبا من تلحلحت ، فيكون معناه : لصقت بموضعها ، وأقامت على المعنى الذى فسره ابن قتيبة فى تلحلحت

وأما قوله : ورزمت الناقة رزوما إذا أقامت من الكلال زوم ونوق رزمى ، أما أرزمت بالألف ، فمعناه : رغت ورجعت فى رغائها ، ويقال منه :أرزم الرعد ، وأرزمت الريح قاله صاحب العين .

(٣) سهل وسهيل هما ابنا رافع بن عمرو بن أبي عمرو بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك =

مسجد المدينة قال: فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى مسجداً ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ؛ فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين فى العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار : ودأبوا فيه : فقال قائل من المسلمين :

لئن قعدنا والنبي يعمل   لذاك منا العمل المضلل

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون :

لا عيش إلا عيش الآخره   اللهم ارحم الأنصار والمهاجره

قال ابن هشام : هذا كلام وليس برجز .

قال ابن إسحاق : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاعيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار .

عمار والفئة الباغية : قال : فدخل عمار بن ياسر : وقد أثقلوه باللبن ، فقال يارسول الله قتلونى : يحملون علىّ مالا يحملون . قالت أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم : فرأيت رسول الله صلى الله وسلم ينفض وفرته بيده : وكان رجلا جعدا : وهو يقول : ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك : إنما تقتلك الفئة الباغية .

وارتجز على بن أبى طالب رضى الله عنه يومئذ :

لا يستوى من يعمر المساجدا   يدأب فيه قائما وقاعدا

قال ابن هشام : سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر ، عن هذا الرجز ، فقالوا : بلغنا أن على بن أبى طالب ارتجز به ، فلا يدرى : أهو قائله أم غيره .

قال ابن إسحاق : فأخذها عمار بن ياسر ، فجعل يرتجز بها .

قال ابن هشام : فلما أكثر ، ظن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إنما يعرّض به ، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائى ، عن ابن إسحاق ، وقد سمى ابن إسحاق الرجل (٢) .

= ابن النجار وقد شهد سهيل بدرا والمشاهد كلها ، ومات فى خلافة عمر ؛ أما سهل فلم يشهد إلا ما بعد بدر ، ومات قبل أخيه سهيل .

(١) حائدا : مائلا .

(٢) وإنما لم يسمه ابن هشام لئلا يذكر بسوء أحد الصحابة ولا نسميه نحن أيضا فقد اختلفوا فى اسمه على أقوال كثيرة ، وليس فى تسميته فائدة .

قال ابن إسحاق : فقال : قد سمعت ماتقول منذ اليوم يابن سُمية ، والله إنى لأرانى سأعرض هذه العصا لأنفك . قال : وفى يده عصا . قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : ما لهم ولعمار ، يدعوهم إلى الجنة ، ويدعونه إلى النار ، إن عمارا جلدة ما بين عينى وأنفى ، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يُستبق فاجتنبوه .

قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عيينة عن زكريا ، عن الشعبى ، قال : إن أول من بنى مسجدا عمار بن ياسر (١) .

الرسول ينزل فى بيت أبى أيوب : قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب ، حتى بنى له مسجده ومساكنه (٢) ، ثم انتقل إلى مسكنه من بيت أبى أيوب رحمة الله عليه ورضوانه .

---

(١) كيف أضاف إلى عمار بنيان المسجد ، وقد بناه معه الناس ؟ تقول إنما عنى بهذا الحديث مسجد قباء ، لأن عماراً هو الذى أشار على النبى — صلى الله عليه وسلم — ببنيانه ، وهو جمع الحجارة له فلما أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم استتم بنيانه عمار .

(٢) وبنى مسجد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وسقف بالجريد وجعلت قبلته من اللبن ، ويقال : بل من حجارة منضودة بعضها على بعض ، وجعلت عمده من جذوع النخل ، فنخرت فى خلافة عمر فجددها ، فلما كان عثمان بناه بالحجارة المنقوشة بالفضة وسقفه بالساج ، وجعل قبلته من الحجارة ، فلما كانت أيام بنى العباس بناه محمد بن أبى جعفر المتسمى بالمهدى ، ووسعه وزاد فيه ، وذلك فى سنة ثنتين ومائتين : وأتقن بنيانه ، ونقش فيه ثم زيد فيه البنيان والنقوش على مر العصور زاده الله تشريفا وأما بيوته عليه السلام فكانت تسعة ، بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها جريد ، وبعضها من حجارة مرضومة ، بعضها فوق بعض ، مسقفة بالجريد أيضاً . وقال الحسن بن أبى الحسن : كنت أدخل بيوت النبى عليه السلام ، وأنا غلام مراهق ، فأنال السقف بيدى ، وكانت حجره — عليه السلام — أكسية من شعر مربوطة فى خشب عرعر . وفى تاريخ البخارى أن بابه — عليه السلام — كان يقرع بالأظافر ، أى لاحلق له ، ولما توفى أزواجه عليه السلام خلطت البيوت والحجر بالمسجد ، وذلك فى زمن عبد الملك ، فلما ورد كتابه بذلك ضج أهل المدينة بالبكاء ، كيوم وفاته عليه السلام ، وكان سريره خشبات مشدودة بالليف ، بيعت زمن بنى أمية ، فاشتراها رجل بأربعة آلاف درهم . قاله ابن قتيبة .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن مرثد بن عبد الله اليزني ، عن أبي رُهم السماعي ، قال : حدثني أبو أيوب ، قال : لما نزل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي ، نزل في السفل ، وأنا وأم أيوب في العلو ، فقلت له : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك . وتكون تحتي ، فاظهر أنت فكن في العلو ، وننزل نحن فنكون في السفل ، فقال : يا أبا أيوب ، إنّ أرفق بنا وبمن يغشانا ، أن نكون في سفل البيت .

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفله ، وكنا فوقه في المسكن ، فقد انكسر حب [1] لنا فيه ماء فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ، مالنا لحاف غيرها ، ننشف بها الماء ، تخوفا أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء فيؤذيه .

قال : وكنا نصنع له العشاء ، ثم نبعث إليه ، فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده ، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له بصلا أو ثوما ، فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أر ليده فيه أثرا . قال : فجئته فزعا ، فقلت: يارسول الله ، بأبي أنت وأمي ، رددت عشاءك ، ولم أر فيه موضع يدك ، وكنت إذا رددته علينا ، تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك ، نبتغي بذلك البركة ؛ قال : إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجي ، فأما أنتم فكلوه . فأكلناه ، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد .

قال ابن إسحاق : وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق بمكة منهم أحد ، إلا مفتون أو محبوس ، ولم يوعب أهل هجرة من مكة بأهليهم وأموالهم إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أهل دور مسمّون : بنو مظعون من بني جمح ؛ وبنو جحش بن رئاب ، حلفاء بني أمية ؛ وبنو البكير ، من بني سعد بن ليث ، حلفاء بني عدي بن كعب ، فإن دورهم غلقت بمكة هجرة ، ليس فيها ساكن .

أبو سفيان وبنو جحش : ولما خرج بنو جحش بن رئاب من دارهم . عدا عليها أبو سفيان ابن حرب ، فباعها من عمرو بن علقمة ، أخي بني عامر بن لؤي ؛ فلما بلغ بني جحش ما صنع أبو سفيان بدارهم ، ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارا خيرا منها في الجنة ؟

---

(١) الحب : الجرة الضخمة جمعه حببة مثل حجر وحجرة .

قال : بلى ؛ قال : فذلك لك . فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، كلمه أبو أحمد فى دارهم ، فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال الناس لأبى أحمد : يا أبا أحمد ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن ترجعوا فى شىء من أموالكم أصيب منكم فى الله عز وجل ، فأمسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لأبى سفيان :

أبلغ أبا سفيان عن أمر عواقبه ندامه
دار ابن عمك بعتها تقضى بها عنك الغرامه
وحليفكم بالله رب الناس مجتهد القسامه
اذهب بها ، اذهب بها طوقتها طوق الحمامة

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إذ قدمها شهر ربيع الأول ، إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بنى له فيها مسجده ومساكنه ، واستجمع له إسلام هذا الحى من الأنصار ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها ، إلا ما كان من خطمة ، وواقف ، ووائل ، وأمية ، وتلك أوس الله ، وهم حى من الأوس ، فإنهم أقاموا على شركهم .

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم : وكانت أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيما بلغنى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن — نعوذ بالله أن نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم يقل — أنه قام فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فقدموا لأنفسكم . تعلمن والله ليصعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلغك ، وآتيتك مالا وأفضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم . فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها ، إلى سبع مئة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قال ابن إسحاق : ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس مرة أخرى ، فقال : إن الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى ، قد أفلح من زينه الله فى قلبه ، وأدخله فى الإسلام بعد الكفر ، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس ، إنه أحسن الحديث وأبلغه ، أحبوا ما أحب

الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم ، ولا تملوا كلام الله وذكره ، ولا تقس عنه قلوبكم ، فانه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى ، وقد سماه الله خيرته من الأعمال ومصطفاه من العباد ، والصالح من الحديث ؛ ومن كل ما أوتى الناس الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، واتقوه حق تقاته ، واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم ، وتحابوا بروح الله بينكم إن الله يغضب أن ينكس عهده ، والسلام عليكم .

الرسول يوادع اليهود : قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم (١) بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم (٢) الأولى ، كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين : وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل .

قال ابن هشام ، المفرح : المثقل بالدين والكثير العيال . قال الشاعر :

---

(١) عانيهم : أسيرهم . (٢) المعاقل : الديات .

إذا أنت لم تبرح تؤدى أمانة　　　وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ؛ وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم ، أو ابتغى دسيعة[1] ظلم ، أو إثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ؛ وإن أيديهم عليه جميعا ، ولو كان ولد أحدهم ؛ ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن ؛ وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ؛ وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ؛ وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ؛ وإن سِلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مومن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم ؛ وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ؛ وإن المؤمنين يبىء بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله ؛ وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ؛ وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن ؛ وإنه من اعتبط[2] مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولى المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه ؛ وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر محدثا ولا يؤويه ؛ وأنه من نصره أو آواه ، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ؛ وإنكم مهما اختلفتم فيه من شىء ، فإن مرده إلى الله عزوجل ، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ؛ وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ[3] إلا نفسه ، وأهل بيته ، وإن ليهود بنى النجار مثل ماليهود بنى عوف ؛ وإن ليهود بنى الحارث مثل ماليهود بنى عوف ؛ وإن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف ؛ وإن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف ؛ وإن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ؛ وإن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف ؛ إلا من ظلم وأثم ، فانه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته ؛ وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ؛ وإن لبنى الشُّطَيبة مثل ماليهود بنى عوف ، وإن البر دون الإثم ؛ وإن موالى ثعلبة كأنفسهم ؛ وإن بطانة يهود كأنفسهم ؛ وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وإنه لا ينحجز على ثار جُرح ؛ وإنه من فتك فبنفسه فتك ، وأهل بيته ، إلا من ظلم ؛ وإن الله على أبر هذا[4] وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ؛ وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ؛ وإن بينهم

---

(١) الدسيعة : العظيمة .　　(٢) اعتبط : قتل بلا جناية.

(٣) يوتغ : يهلك .　　(٤) أى على الرضا به .

النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ؛ وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ؛ وإن النصر للمظلوم ؛ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ؛ وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ؛ وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ؛ وإنه لاتجار حرمة إلا بإذن أهلها ؛ وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فإن مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وإن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره ؛ وإنه لاتجار قريش ولا من نصرها ؛ وإن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه وتلبسونه ، فإنهم يصالحونه ويلبسونه ؛ وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب فى الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم ؛ وإن يهود الأوس ، مواليهم وأنفسهم ، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة

قال ابن هشام : ويقال : مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة .

قال ابن إسحاق : وإن البر دون الإثم ، لايكسب كاسب إلا على نفسه ؛ وإن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره ؛ وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وإنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم أو أثم ؛ وإن الله جار لمن بر واتقى ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن إسحاق : وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار[2]

---

(١) قال أبو عبيد فى كتاب الأموال : إنما كتب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية ، وإذ كان الإسلام ضعيفاً . قال : وكان لليهود إذ ذاك نصيب فى المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين ، كما شرط عليهم فى هذا الكتاب النفقة معهم فى الحروب .

(١) آخى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أصحابه حين نزلوا المدينة ، ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض ، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل ، وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » أعنى فى الميراث ، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال : « إنما المؤمنون إخوة » يعنى فى التواد وشمول الدعوة .

فقال — فيما بلغنا ، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل — : تآخوا فى الله أخوين أخوين ؛ ثم أخذ بيد على بن أبى طالب ، فقال : هذا أخى . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذى ليس له خطير[1] ولا نظير من العباد ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، أخوين ؛ وكان حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوين ، وإليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت ؛ وجعفر بن أبى طالب ذو الجناحين ، الطيار فى الجنة ، ومعاذ بن جبل ، أخو بنى سلمة ، أخوين .

قال ابن هشام : وكان جعفر بن أبى طالب يومئذ غائبا بأرض الحبشة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ابن أبى قحافة ، وخارجة بن زهير ، أخو بلحارث بن الخزرج ، أخوين ؛ وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعتبان بن مالك ، أخو بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج أخوين وأبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله ، وسعد بن معاذ بن النعمان ، أخو بنى عبد الأشهل ، أخوين . وعبد الرحمن ابن عوف ، وسعد بن الربيع ، أخو بلحارث بن الخزرج ، أخوين . والزبير بن العوام ، وسلامة ابن سلامة بن وقش ، أخو بنى عبد الأشهل ، أخوين . ويقال : بل الزبير وعبد الله بن مسعود حليف بنى زهرة ، أخوين ؛ وعثمان بن عفان ، وأوس بن ثابت بن المنذر ، أخو بنى النجار ، أخوين . وطلحة بن عبيد الله ، وكعب بن مالك ، أخو بنى سلمة ، أخوين . وسعد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وأبى بن كعب ، أخو بنى النجار : أخوين . ومصعب بن عمير بن هاشم ، وأبو أيوب خالد بن زيد ، أخو بنى النجار : أخوين ؛ وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وعباد بن بشر ابن وقش ، أخو بنى عبد الأشهل ؛ أخوين . وعمار بن ياسر ، حليف بنى مخزوم ، وحذيفة بن اليمان ، أخو بنى عبد عبس ، حليف بنى عبد الأشهل : أخوين . ويقال : ثابت بن قيس بن الشماس ، أخو بلحارث بن الخزرج خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمار بن ياسر ؛ أخوين . وأبو ذر ، وهو برير بن جنادة الغفارى ، والمنذر بن عمرو ، المعنق ليموت[2] ، أخو بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : أخوين .

---

(١) الخطير : المثل .
(٢) أى أن الموت أسرع إليه وساق إليه أجله .

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من العلماء يقول : أبو ذر : جندب بن جنادة .

قال ابن إسحاق : وكان حاطب بن أبى بلتعة ، حليف بنى أسد بن عبد العزى وعويم بن ساعدة ، أخو بنى عمرو بن عوف ، أخوين ؛ وسلمان الفارسى ، وأبو الدرداء ، عويمر بن ثعلبة ، أخو بلحارث بن الخزرج ، أخوين .

قال ابن هشام : عويمر بن عامر ؛ ويقال : عويمر بن زيد .

قال ابن إسحاق : وبلال ، مولى أبى بكر رضى الله عنهما ، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو رويحة ، عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى ، ثم أحد الفزع[1] ، أخوين . فهؤلاء من سمى لنا ، ممن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم من أصحابه .

فلما دون عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج إلى الشام ، فأقام بها مجاهدا ، فقال عمر لبلال : إلى من تجعل ديوانك يا بلال ؟ قال : مع أبى رويحة ، لا أفارقه أبدا ، للأخوة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه وبينى ، فضم إليه ، وضم ديوانه الحبشة إلى خثعم ، لمكان بلال منهم ، فهو فى خثعم إلى هذا اليوم بالشام .

أبو امامة

قال ابن إسحاق : وهلك فى تلك الأشهر أبو أمامة ، أسعد بن زرارة ، والمسجد يبنى ، أخذته الذبحة أو الشهقة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن يحيى بن

---

(١) هو ابن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل ، وأفتل هو خثعم بن أنمار ، وقد اختلف النسابون فيما بعد أنمار .

والفزع هذا بفتح الزاى ، وأما الفزع بسكونها ؛ فهو الفزع بن عبدالله بن ربيعة ؛ وكذلك الفزع فى خزاعة ، وفى كلب هما ساكنان أيضاً قاله ابن حبيب ؛ وقال الدارقطنى : الفزع بفتح الزاى ؛ رجل يروى عن ابن عمر .

عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بئس الميت أبو أمامة ، ليهود ومنافقي العرب يقولون : لو كان نبيا لم يمت صاحبه ، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئا .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري : أنه لما مات أبو أمامة ، أسعد بن زرارة، اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو أمامة نقيبهم ، فقالوا له : يا رسول الله : إن هذا قد كان منا حيث قد علمت ، فاجعل منا رجلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : أنتم أخوالي ، وأنا بما فيكم ، وأنا نقيبكم ؛ وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخص بها بعضهم دون بعض . فكان من فضل بني النجار الذي يعدون على قومهم ، أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبهم .

خبر الأذان

قال ابن إسحاق : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين ، واجتمع أمر الأنصار ، استحكم أمر الإسلام ، فقامت الصلاة ، وفرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود ، وفرض الحلال والحرام ، وتبوأ الإسلام بين أظهرهم ، وكان هذا الحي من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها ، بغير دعوة ، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها أن يجعل بوقا كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم ، ثم كرهه ؛ ثم أمر بالناقوس ، فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة .

رؤيا عبد الله بن زيد : فبينما هم على ذلك ، إذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، أخو بلحارث بن الخزرج ، النداء ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا رسول الله ، إنه طاف بي هذه الليلة طائف : مر بي رجل عليه ثوبان أخضران ، يحمل ناقوسا في يده ، فقلت له : يا عبد الله ، أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قال : قلت : ندعو به إلى الصلاة ، قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قال : قلت : وما هو ؟ قال : تقول : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن

محمدا رسول الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، حى على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال إنها لرؤيا حق ، إن شاء الله ، فقم مع بلال فألقها عليه ، فليؤذن بها ، فإنه أندى[1] صوتا منك . فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو فى بيته ، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يجر رداءه ، وهو يقول : يا نبى الله والذى بعثك بالحق ، لقد رأيت مثل الذى رأى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلله الحمد على ذلك.

رؤيا عمر : قال ابن إسحق : حدثنى بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن محمد ابن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، عن أبيه .

قال ابن هشام : وذكر ابن جريج ، قال لى عطاء : سمعت عُبيد بن عمير الليثى يقول : ائتمر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة ، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشترى خشبتين للناقوس ، إذا رأى عمر بن الخطاب فى المنام : لا تجعلوا الناقوس ، بل أذنوا للصلاة . فذهب عمر إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليخبره بالذى رأى ، وقد جاء النبى صلى الله عليه وسلم الوحى بذلك ، فما راع عمر إلا بلال يؤذن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك : قد سبقك بذلك الوحى .

ما كان يدعو به بلال قبل الفجر : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن امرأة من بنى النجار ، قالت : كان بيتى من أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة ، فيأتى بسحر ، فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه تمطى ، ثم قال : اللهم إنى أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا على دينك . قالت : والله ما علمته كان يتركها ليلة واحدة .

أبو قيس ابن أبى أنس

قال ابن إسحاق : فلما اطمأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم داره ، وأظهر الله بها دينه ،

---

(١) أندى : أحسن وأبدع .

ومسيرة بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته ؛ قال أبو قيس صرمة بن أبى أنس أخو بنى عدى بن النجار .

— قال ابن هشام : أبو قيس ، صرمة بن أبى أنس بن صرمة بن مالك بن عدى بن عامر ابن غنم بن عدى بن النجار .

قال ابن إسحاق : وكان رجلا قد ترهب فى الجاهلية ، ولبس المسوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة وتطهر من الحائض من النساء ، وهمّ بالنصرانية ، ثم أمسك عنها ، ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا لا تدخله عليه فيه طامث ولا جنب ، وقال : أعبد رب إبراهيم ، حين فارق الأوثان وكرهها ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأسلم وحسن إسلامه ، وهو شيخ كبير ، وكان قوالا بالحق ، معظماً لله عز وجل فى جاهليته ، يقول أشعاراً فى ذلك حسانا — وهو الذى يقول :

يقول أبو قيس وأصبح غاديا : ألا ما استطعتم من وصاتىَ فافعلوا
فأوصيكم بالله والبر والتقى وأعراضكم ، والبر بالله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم وإن كنتم أهل الرياسة فاعدلوا
وإن نزلت إحدى الدواهى بقومكم فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وإن ناب غرم فادح فارفقوهم وما حمّلوكم فى الملمات فاحملوا
وإن أنتمُ أمعرتم فتعففوا وإن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا[1]

قال ابن هشام : ويروى :

وإن ناب أمر فادح فارفدوهم

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس صرمة أيضا :

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسه وكل هلال
عالم السر والبيان لدينا ليس ما قال ربنا بضلال

---

(١) أمعرتم : افتقرتم .

وله الطير تستريد وتأوى	فى وكور من آمنات الجبال (١)
وله الوحش بالفــلاة تراها	فى حقاف وفى ظلال الرمال (٢)
وله هودت يهود ودانت	كل دين إذا ذكرت عضال (٣)
وله شمس النصارى وقاموا	كل عيد لربهم واحتفال (٤)
وله الراهب الحبيس تراه	رهن بؤس وكان ناعم بال (٥)
يا بنى الأرحام لاتقطعوها	وصلوها قصيرة من طوال (٦)
واتقوا الله فى ضعاف اليتامى	ربما يستحل غير الحلال
واعلموا أن لليتيم وليــا	عالما يهتــدى بغير السؤال
ثم مال اليتــيم لا تأكلوه	إن مال اليتيم يرعاه والى
يا بنى ، التخوم لا تخزلوها	إن خزل التخوم ذو عقال (٧)
يا بنى الأيام لا تأمنوها	واحذروا مكرها ومر الليالى
واعلموا أن مرها لنفاد الـ	خلق ماكان من جديد وبالى
واجمعوا أمركم على البر والتقـ	وى وترك الخنا وأخذ الحلال

وقال أبو قيس صرمة أيضا ، يذكر ما أكرمهم الله تبارك وتعالى به من الإسلام ، وما خصهم الله به من نزول رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم :

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة	يذكر لو يلقى صديقا مواتيا
ويعرض فى أهل المواسم نفسه	فلم ير من يؤوى ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه	فأصبح مسرورا بطيبة راضيا
وألفى صديقا واطمأنت به النوى	وكان له عونا من الله باديا

(١) تستريد . تذهب وترجع

(٢) حقاف الرمل : ما تكدس منه فى استدارة .

(٣) هودت : رجعت (٤) شمس : تعبد

(٥) الراهب الحبيس : الذى حبس عن ملذات الدنيا .

(٦) أى إن كانت قصيرة فصلوها أنتم من فضلكم .

(٧) التخوم : الحدود ، والخزلان القطع ، والعقال المنع .

يقص لنا ما قال نوح لقومه ... وما قال موسى إذ أجاب المناديا
فأصبح لا يخشى من الناس واحداً ... قريبا ولا يخشى من الناس نائيا
بذلنا له الأموال من حل مالنا ... وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
ونعلم أن الله لا شيء غيره ... ونعلم أن الله أفضل هاديا
نعادى الذى عادى من الناس كلهم ... جميعا وإن كان الحبيب المصافيا
أقول إذا أدعوك فى كل بيعة : ... تباركت قد أكثرت لاسمك داعيا
أقول إذا جاوزت أرضاً مخوفة : ... حنانيك لاتظهر علىَّ الأعاديا
فطأ معرضا إن الحتوف كثيرة ... وإنك لاتبقى لنفسك باقيا
فوالله ما يدرى الفتى كيف يتقى ... إذا هو لم يجعل له الله واقيا
ولا تحفل النخل المعيمة ربها ... إذا أصبحت ريا وأصبح ثاويا [1]

قال ابن هشام : البيت الذى أوله :

فطأ معرضا إن الحتوف كثيرة

والبيت الذى يليه :

فوالله ما يدرى الفتى كيف يتقى

لأفنون التغلبى ، وهو صريم بن معشر ، فى أبيات له .

عداوة اليهود

قال ابن إسحاق . ونصبت عند ذلك أحبار يهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة ، بغيا وحسداً وضغنا ، لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم ، وانضاف إليهم رجال من الأوس والخزرج ، ممن كان عسى [2] على جاهليته ـ فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث ، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه ، فظهروا بالإسلام ، واتخذوه جُنة من القتل ونافقوا فى السر ، وكان هواهم مع يهود ، لتكذيبهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وجحودهم الإسلام ، وكانت أحبار يهود هم الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعنتونه ، ويأتونه باللَّبس ، ليلبسوا الحق بالباطل ، فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه ، إلا قليلا من المسائل فى الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها .

(١) المعيمة : العاطشة ، والثاوى : الهالك

(٢) عسى : بقى

[من بنى النضير] : حيى بن أخطب ، وأخواه أبو ياسر بن أخطب ، وجدىّ بن أخطب ، وسلاّم بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، وسلام بن أبى الحقيق ، وأبو رافع الأعور : وهو الذى قتله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر - والربيع بن الربيع ابن أبى الحقيق ، وعمرو بن جحّاش ، وكعب بنُ الأشرف ، وهو من طيء ، ثم أحد بنى نبهان ، وأمه من بنى النضير ، والحجاج بن عمرو ، حليف كعب بن الأشرف ، وكردم بن قيس ، حليف كعب بن الأشرف ، فهؤلاء من بنى النضير .

ومن بنى ثعلبة ابن الفِطيون[1] : عبد الله بن صوريا الأعور ، ولم يكن بالحجاز فى زمانه أحد أعلم بالتوراة منه ؛ وابن صلوبا ، ومخيريق ، وكان حبرهم ، أسلم .

ومن بنى قينقاع : زيد بن اللّصَيت - ويقال : ابن اللُّصَيت - فيما قال ابن هشام - وسعد ابن حنيف ، ومحمود بن سيحان ، وعزيز بن أبى عزيز ، وعبد الله بن صيف . قال ابن هشام : ويقال : ابن ضيف .

قال ابن إسحاق : وسُويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفنحاص ، وأشيع ، ونعمان ابن أضا ، وبحْرى بن عمرو ، وشأس بن عدى ، وشأس بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونعمان ابن عمرو ، وسُكين بن أبى سكين ، وعدى بن زيد ، ونعمان بن أبى أوفى ، أبو أنس ، ومحمود ابن دحية ، ومالك بن صيف . قال ابن هشام : ويقال : ابن ضيف .

قال ابن إسحاق : وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبى رافع ، وخالد وأزار بن أبى أزار . قال ابن هشام : ويقال : آزر بن آزر .

قال ابن إسحاق : ورافع بن حارثة ، ورافع بن حُريملة ، ورافع بن خارجة ، ومالك ابن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وعبد الله بن سلام بن الحارث ، وكان حبرهم وأعلمهم ، وكان اسمه الحُصين ، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله . فهؤلاء من بنى قينقاع .

ومن بنى قريظة : الزبير بن باطا بن وهب ، وعزّال بن شمويل ، وكعب بن أسد ، وهو صاحب عقد بنى قريظة الذى نُقض عام الأحزاب ، وشمويل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سُكينة ، والنحام بن زيد ، وقردم بن كعب ، ووهب بن زيد ، ونافع بن أبى نافع ، وأبو نافع ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، وكَرْدم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن رميلة ، وجبل بن أبى قشير ، ووهب بن يهوذا ، فهؤلاء من بنى قريظة .

(١) الفطيون : كلمة عبرية تطلق على من ولى أمر اليهود .

ومن يهود بنى زريق : لبيد بن أعصم ، وهو الذى أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه[1] .

ومن يهود بنى حارثة : كنانة بن صوريا .

ومن يهود بنى عمرو بن عوف : قردم بن عمرو .

ومن يهود بنى النجار: سلسلة بن برهام .

فهؤلاء أحبار اليهود ، أهل الشرور والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأصحاب المسألة ، والنصب لأمر الإسلام الشرور ليطفئوه ، إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومخيريق .

---

(١) يعنى من الأخذة ، وهى ضرب من السحر . وكان لبيد هذا قد سحر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، وجعل سحره فى مشط ومشاطة ، وروى : مشاقة بالقاف ، وهى مشاقة الكتان ، وجف طلعة ذكر ، وهى فحال النخل ، وهو ذكاره . والجف : غلاف للطلعة ، ويكون لغيرها ، وأكثر أهل الحديث يقولون : ذروان تحت راعوفة البئر ، وهى صخرة فى أسفله يقف عليها المائح ، وهذا الحديث مشهور عند الناس ، ثابت عند أهل الحديث ، غير أنى لم أجد فى الكتب المشهورة : كم لبث ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بذلك السحر ، حتى شفى منه ، ثم وقعت على البيان فى جامع معمر بن راشد روى معمر عن الزهرى ، قال : سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة يخيل إليه أنه يفعل الفعل ، وهو لا يفعله وقد طعنت المعتزلة فى الحديث وطوائف من أهل البدع ، وقالوا لايجوز على الأنبياء أن يسحروا ، ولو جاز أن يسحروا ، لجاز أن يجنوا ، ونزع بعضهم بقوله عز وجل : « والله يعصمك من الناس » والحديث ثابت خرجه أهل الصحيح ، ولا مطعن فيه من جهة النقل ، ولا من جهة العقل ، لأن العصمة إنما وجبت لهم فى عقولهم وأديانهم ، وأما أبدنهم ، فإنهم يبتلون فيها ، ويخلص إليهم بالجراحة والضرب والسموم والقتل ، والأخذة التى أخذها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من هذا الفن : إنما كانت فى بعض جوارحه دون بعض .

وأما قوله سبحانه : « والله يعصمك من الناس » فإنه قد روى أنه كان يحرس فى الغزو: حتى نزلت هذه الآية : فأمر حراسه أن ينصرفوا عنه : وقال : لا حاجة لى بكم : فقد عصمنى الله من الناس : أو كما قال : عن الروض الأنف .

إسلام عبد الله بن سلام

قال ابن إسحاق : وكان من حديث عبد الله بن سلام ، كما حدثني بعض أهله عنه وعن إسلامه حين أسلم ، وكان حبراً عالما ، قال : لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت صفته واسمه وزمانه الذى كنا نتوكف(١) له ، فكنت مسرا لذلك صامتا عليه ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما نزل بقباء ، فى بنى عمرو بن عوف ، أقبل رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها ، وعمتى خالدة بنه الحارث تحتى جالسة ، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبّرت ؛ فقالت لى عمتى ، حين سمعت تكبيرى : خيبك الله ، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت ، قال : فقلت لها : أى عمة ، هو والله أخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ، بُعث بما بعث به . فقالت: أى ابن أخى ، أهو النبى الذى كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة ؟ قال : فقلت لها : نعم . قال : فقالت : فذاك إذاً . قال : ثم خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمتُ ، ثم رجعت إلى أهل بيتى ، فأمرتهم فأسلموا .

قال : وكتمت إسلامى من يهود ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له : يا رسول الله ، إن يهود قوم بهت ، وإنى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك ، وتغيبنى عنهم ، ثم تسألهم عنى ، حتى يخبروك كيف أنا فيهم ، قبل أن يعلموا بإسلامى ، فإنهم إن علموا به بهتونى وعابونى . قال : فأدخلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض بيوته ، ودخلوا عليه ، فكلموه وساءلوه ، ثم قال لهم ، أى رجل الحصين بن سلام فيكم ؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا ، وحبرنا وعالمنا . قال : فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم ، فقلت لهم : يا معشر يهود ، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله ، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة باسمه وصفته ، فإنى أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأومن به وأصدقه وأعرفه ، فقالوا : كذبت ثم وقعوا بى ، قال : فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت ، أهل غدر وكذب وفجور ! قال : فأظهرت إسلامى وإسلام أهل بيتى ، وأسلمت عمتى خالدة بنت الحارث ، فحسن إسلامها .

---

(١) نتوكف : نتوقع .

من حديث مخيريق : قال ابن إسحاق : وكان من حديث مخيريق ، وكان حبراً عالماً ، وكان رجلا غنياً كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ، وما يجد في علمه ، وغلب عليه إلف دينه ، فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد ، وكان يوم أحد يوم السبت ، قال : يا معشر يهود ، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق . قالوا : إن اليوم يوم السبت ؛ قال : لاسبت لكم ، ثم أخذ سلاحه ، فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، وعهد إلى من وراءه من قومه : إن قتلت هذا اليوم ، فأموالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما أراه الله . فلما اقتتل الناس قاتل حتى قُتل . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغني — يقول : مخيريق خير يهود . وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله ، فعامة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها .

حديث صفية : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : حُدثت عن صفية بنت حُيَيّ بن أخطب أنها قالت : كنت أحب ولد أبي إليه ، وإلى عمي أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه . قالت : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف ، غدا عليه أبي ، حيي بن أخطب ، وعمي أبو ياسر بن أخطب ، مغلسين . قالت : فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس . قالت : فأتيا كالَّين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى . قالت : فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفت إلى واحد منهما ، مع ما بهما من الغم . قالت : وسمعت عمي أبا ياسر ، وهو يقول لأبي حيي بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله ؛ قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم ؛ قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيتُ .

المنافقون بالمدينة : قال ابن إسحاق : وكان ممن انضاف إلى يهود ، ممن سمي لنا من المنافقين من الأوس والخزرج ، والله أعلم . من الأوس ، ثم من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ثم من بني لوذان بن عمرو بن عوف : زويّ بن الحارث .

ومن بني حبيب بن عمرو بن عوف : جُلاس بن سويد بن الصامت ، وأخوه الحارث ابن سويد .

وجلاس الذي قال — وكان ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك — لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمر . فرفع ذلك من قوله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير بن سعد ، أحدهم ، وكان في حجر جلاس ، خلف جلاس على أمه بعد أبيه ،

فقال له عمير بن سعد : والله ياجلاس ، إنك لأحب الناس إلىّ ، وأحسنهم عندى يداً ، وأعزهم علىّ أن يصيبه شىء يكرهه ، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحنك ، ولئن صمتُّ عليها ليهلكن دينى ، ولإحداهما أيسر علىّ من الأخرى . ثم مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر له ما قال جلاس ، فحلف جلاس بالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد كذب علىّ عمير ، وما قلت ما قال عمير بن سعد . فأنزل الله عز وجل فيه : « يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ، وهمّوا بما لم ينالوا ، وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ، فإن يتوبوا يك خيراً لهم ، وإن يتولّوا يعذبهم الله عذاباً أليما فى الدنيا والآخرة ، وما لهم فى الأرض من ولى ولا نصير » .

قال ابن هشام : الأليم : الموجع . قال ذو الرمة يصف إبلا :

وترفع من صدور شمردلات يصك وجوهها وهج أليم[1]

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه تاب فحسنت توبته ، حتى عرف منه الخير والإسلام .

وأخوه الحارث بن سويد ، الذى قتل المجذر بن ذياد البلوى ، وقيس بن زيد ، أحد بنى ضبيعة ، يوم أحد . خرج مع المسلمين ، وكان منافقا ، فلما التقى الناس عدا عليهما ، فقتلهما ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المجذر بن ذياد قتل سويد بن صامت فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج ، فلما كان يوم أحد طلب الحارث بن سويد غرة المجذر بن ذياد ، ليقتله بأبيه ، فقتله وحده ، وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول ، والدليل على أنه لم يقتل قيس ابن زيد ، أن ابن إسحاق لم يذكره فى قتلى أحد .

قال ابن إسحاق ، قتل سويد بن صامت معاذ بن عفراء غيلة ، فى غير حرب ، رماه بسهم فقتله قبل يوم بعاث .

قال ابن إسحاق ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — قد أمر عمر ابن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، ففاته ، فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه جُلاس يطلب التوبة ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تبارك وتعالى فيه — فيما بلغنى عن ابن عباس — ، « كيف

---

(١) الشمردلات : الإبل الطوال .

يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق ، وجاءهم البينات ، والله لايهدى القوم الظالمين، إلى آخر القصة .

ومن بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عـــوف بن عمرو بن عوف ، بجاد بن عثمان ابن عامر .

ومن بني لوذان بن عمرو بن عوف : نبتل بن الحارث ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — من أحب أن ينظر إلى الشيطان ، فلينظر إلى نبتل بن الحارث ، وكان رجلا جسيما أذلم[1] ثائر شعر الرأس، أحمر ، العينين أسفع[2] الخدين وكان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث إليه فيسمع منه ، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين ؛ وهو الذى قال : إنما محمد أُذن ، من حدثه شيئاً صدقه . فأنزل الله عز وجل فيه : « ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض رجال بلعجلان أنه حُدث : أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له إنه يجلس إليك رجل أذلم ، ثائر شعر الرأس ، أسفع الخدين أحمر العينين ، كأنهما قدران من صفر ، كبده أغلظ من كبد الحمار ، ينقل حديثك إلى المنافقين ، فاحذره . وكانت تلك صفة نبتل بن الحارث ، فيما يذكرون .

ومن بنى ضبيعة : أبو حبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدّقن ولنكونن من الصالحين ، الخ القصة . ومعتب الذى قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهنا . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله « وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا هاهنا » إلى آخر القصة . وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط ؛ فأنزل الله عزوجل فيه : « وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً » والحارث بن حاطب .

---

(١) الأذلم : المسترخى الشفتين .

(٢) الأسفع : من تضرب حمرته إلى سواد .

قال ابن هشام : معتِّب بن قشير ، وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهم من بنى أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لى من أثق به من أهل العلم ، وقد نسب ابن إسحاق ثعلبة والحارث فى بنى أمية بن زيد فى أسماء أهل بدر .

قال ابن إسحاق : وعبّاد بن حنيف ، أخو سهل بن حنيف ؛ وبحزَج ، وهم ممن كان بنى مسجد الضرار ، وعمرو بن خذام ، وعبد الله بن نبتل .

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : جارية بن عامر بن العطّاف ، وابناه : زيد ومجمِّع ، ابنا جارية ، وهم ممن اتخذ مسجد الضرار . وكان مجمع غلاما حدثا قد جمع من القرآن أكثره ، وكان يصلى بهم فيه ، ثم إنه لما أخرب المسجد ، وذهب رجال من بنى عمرو بن عوف ، كانوا يصلون ببنى عمرو بن عوف فى مسجدهم ، وكان زمان عمر بن الخطاب ، كُلِّم فى مجمع ليصلى بهم ؛ فقال : لا ، أو ليس بإمام المنافقين فى مسجد الضرار ؟ فقال لعمر : يا أمير المؤمنين ، والله الذى لا إله إلا هو ، ما علمت بشىء من أمرهم ، ولكنى كنت غلاما قارئا للقرآن ، وكانوا لا قرآن معهم ، فقدمونى أصلى بهم ، وما أرى أمرهم ، إلا على أحسن ماذكروا ، فزعموا أن عمر تركه فصلى بقومه .

ومن بنى أمية بن زيد بن مالك : وديعة بن ثابت ، وهو ممن بنى مسجد الضرار ، وهو الذى قال : إنما كنا نخوض ونلعب . فأنزل الله تبارك وتعالى : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون » ؟ ! . إلى آخر القصة .

ومن بنى عبيد بن مالك : خذام بن خالد ، وهو الذى أخرج مسجد الضرار من داره ؛ وبشر ورافع ، ابنا زيد .

ومن بنى النَّبيت ـ قال ابن هشام : النبيت : عمرو بن مالك بن الأوس ـ قال ابن إسحاق : ثم من بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : مربع بن قيظى ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز فى حائطه[1] ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامد إلى أحد : لا أحل لك يا محمد ، إن كنت نبيا ، أن تمر فى حائطى ، وأخذ فى يده حفنة من تراب ، ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه ، فهذا الأعمى ، أعمى القلب ، أعمى

---

(١) الحائط : البستان .

البصيرة . فضربه سعد بن زيد ، أخو بنى عبد الأشهل بالقوس فشجه ، وأخوه أوس بن قيظى وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق : يا رسول الله ، إن بيوتنا عورة ، فأذن لنا فلنرجع إليها . فأنزل الله تعالى فيه « يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا » .

قال ابن هشام : عورة ، أى مُعْورة للعدو وضائعة ؛ وجمعها : عورات . قال النابغة الذبيانى :

متى تلقهم لا تلق للبيت عورة   ولا الجار محروما ولا الأمر ضائعا

وهذا البيت فى أبيات له . والعورة أيضا : عورة الرجل ، وهى حرمته . والعورة أيضا السوءة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ظفر ، واسم ظفر : كعب بن الحارث بن الخزرج : حاطب ابن أمية بن رافع ، وكان شيخا جسيما قد عسا فى جاهليته وكان له ابن من خيار المسلمين . يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بنى ظفر .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه اجتمع إليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو بالموت فجعلوا يقولون أبشر يا بن حاطب بالجنة . قال فنجم[1] نفاقه حينئذ ، فجعل يقول أبوه أجل جنة والله من حرمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه .

قال ابن إسحاق : وبُشير بن أبيرق ، وهو أبو طعمة ، سارق الدرعين ، الذى أنزل الله تعالى فيه : « ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ، إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما » ؛ وقزمان : حليف لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : إنه لمن أهل النار . فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديدا حتى قتل بضعة نفر من المشركين ، فأثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بنى ظفر ، فقال له رجال من المسلمين : أبشر يا قزمان ، فقد أبليت اليوم ، وقد أصابك ما ترى فى الله . قال : بماذا أبشر ، فوالله ما قاتلت إلا حمية عن قومى ؛ فلما اشتدت به جراحاته وآذته أخذ سهما من كنانته ، فقطع به رواهش[2] يده ، فقتل نفسه .

قال ابن إسحاق : ولم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم ، إلا أن الضحاك

---

(١) نجم : ظهر ووضح .

(٢) الرواهش : العصب التى فى ظاهر الذراع ، واحدتها راهشة .

ابن ثابت ، أحد بنى كعب ، رهط سعد بن زيد ، قد كان يتهم بالنفاق وحب يهود .

قال حسان بن ثابت :

من مبلغ الضحاك أن عروقه ... أعيت على الإسلام أن تتمجدا
أتحب يهدان الحجاز ودينهم ... كبد الحمار ، ولا تحب محمدا
دينا لعمرى لا يوافق ديننا ... ما استن آل فى الفضاء وخودا

وكان جلاس بن سويد بن صامت قبل توبته ـ فيما بلغنى ـ ومعتب بن قشير ، ورافع ابن زيد ، وبشر ، وكانوا يدعون بالإسلام ، فدعاهم رجال من المسلمين فى خصومة كانت بينهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعوهم إلى الكهان ، حكام أهل الجاهلية ، فأنزل الله عز وجل فيهم : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً » . . . إلى آخر القصة .

ومن الخزرج ، ثم من بنى النجار : رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو بن سهل .

ومن بنى جشم بن الخزرج ، ثم من بنى سلمة : الجد بن قيس ، وهو الذى يقول : يا محمد ، ائذن لى ولا تفتنى ، فأنزل الله تعالى فيهم « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا ، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين . . . » . إلى آخر القصة .

ومن بنى عوف بن الخزرج : عبد الله بن أبىّ بن سلول ، وكان رأس المنافقين وإليه يجتمعون ، وهو الذى قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ فى غزوة بنى المصطلق . وفى قوله ذلك ، نزلت سورة المنافقين بأسرها . وفيه وفى وديعة — رجل من بنى عوف — ومالك ابن أبى قوقل ، وسويد ، وداعس ، وهم من رهط عبد الله بن أبى بن سلول ؛ وعبد الله بن أبى ابن سلول . فهؤلاء النفر من قومه الذين كانوا يدسون إلى بنى النضير حين حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن اثبتوا ، فوالله لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنكم . فأنزل الله تعالى فيهم : « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهــل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنكم ، والله يشهد إنهم لكاذبون » ، ثم القصة من السورة حتى انتهى إلى قوله :

« كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين » .

المنافقون من أحبار اليهود : قال ابن إسحاق : وكان ممن تعوذ بالإسلام ، ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق ، من أحبار يهود .

من بنى قينقاع : سعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، ونعمان بن أوفى بن عمرو ، وعثمان بن أوفى . وزيد بن اللصيت ، الذى قاتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بسوق بنى قينقاع ، وهو الذى قال ، حين ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءه الخبر بما قال عدو الله فى رحله ، ودل الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ناقته « إن قائلا قال : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ، ولا يدرى أين ناقته ، وإنى والله ما أعلم إلا ما علمنى الله ، وقد دلنى الله عليها ، فهى فى هذا الشعب ، قد حبستها شجرة بزمامها ، فذهب رجال من المسلمين ، فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكما وصف . ورافع بن حريملة ، وهو الذى قال له الرسول صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - حين مات : قدمات اليوم عظيم من عظماء المنافقين ؛ ورفاعة ابن زيد بن التابوت ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبت عليه الريح ، وهو قافل من غزوة بنى المصطلق ، فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوا ، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار . فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وجد رفاعة بن زيد بن التابوت مات ذلك اليوم الذى هبت فيه الريح . وسلسلة بن برهام . وكنانة بن صوريا .

طرد المنافقين من المسجد : وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ، ويسخرون ويستهزئون بدينهم ، فاجتمع يوما فى المسجد منهم ناس ، فرآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم ، خافضى أصواتهم ، قد لصق بعضهم ببعض ، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجوا من المسجد إخراجا عنيفاً ، فقام أبو أيوب ، خالد ابن زيد بن كليب ، إلى عمرو بن قيس ، أحد بنى غنم بن مالك بن النجار — كان صاحب آلهتهم فى الجاهلية فأخذ برجله فسحبه ، حتى أخرجه من المسجد ، وهو يقول : أتخرجنى يا أبا أيوب من مربد بنى ثعلبة ، ثم أقبل أبو أيوب أيضاً إلى رافع بن وديعة ، أحد بنى النجار فلببه بردائه ثم نتره نتراً شديدا ، ولطم وجهه ، ثم أخرجه من المسجد ، وأبو أيوب يقول له : أف لك منافقا خبيثاً : أدراجك يا منافق من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : أى ارجع من الطريق التى جئت منها . قال الشاعر :

فولّى وأدبر أدراجه وقد باء بالظلم من كان ثمّ

وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو ، وكان رجلا طويل اللحية ، فأخذ بلحيته فقاده بها قوداً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه فلدمه بهما فى صدره لدمة خر منها. قال : يقول : خدشتنى يا عمارة ؛ قال : أبعدك الله يامنافق ، فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك ، فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : اللدم : الضرب ببطن الكف . قال تميم بن أبىّ بن مقبل :

وللفؤاد وجيب تحت أبهره لدم الوليد وراء الغيب بالحجر

قال ابن هشام : الغيب : ما انخفض من الأرض . والأبهر : عرق القلب .

قال ابن إسحاق : وقام أبو محمد ، رجل من بنى النجار ، كان بدرياً ، وأبو محمد مسعود ابن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار إلى قيس بن عمرو ابن سهل ، وكان قيس غلاما شابا ، وكان لا يعلم فى المنافقين شاب غيره ، فجعل يدفع فى قفاه حتى أخرجه من المسجد .

وقام رجل من بلخدرة [1] بن الخزرج ، رهط أبى سعيد الخدرى ، يقال له : عبد الله بن الحارث حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراج المنافقين من المسجد إلى رجل يقال له : الحارث بن عمرو ، وكان ذا جمة ، فأخذ بجمته فسحبه بها سحبا عنيفا ، على ما مر به من الأرض ، حتى أخرجه من المسجد . قال يقول المنافق : لقد أغلظت يابن الحارث ؛ فقال له : إنك أهل لذلك ، أى عدو الله لما أنزل الله فيك : فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنك نجس .

وقام رجل من بنى عمرو بن عوف إلى أخيه زُوَىّ بن الحارث ؛ فأخرجه من المسجد إخراجا عنيفا ، وأفف منه ، قال : غلب عليك الشيطان وأمره .

---

(١) يريد : من بنى الخدارة

فهؤلاء من حضر المسجد يومئذ من المنافقين ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراجهم .

ما نزل في اليهود والمنافقين : ففي هؤلاء من أحبار يهود ، والمنافقين من الأوس والخزرج ، نزل صدر سورة البقرة إلى المئة منها — فيما بلغني — والله أعلم .

يقول الله سبحانه وبحمده : « الٓم ذلك الكتاب لا ريب فيه » ، أي لا شك فيه .

قال ابن هشام : قال ساعدة بن جؤية الهذلي :

فقالوا عهدنا القوم قد حصروا به ... فلا ريب أن قد كان ثَمّ لحيم (١)

وهذا البيت في قصيدة له ، والريب أيضا : الريبة . قال خالد بن زهير الهذلي :

كأنني أريبه بِرَيْبِ (٢)

قال ابن هشام : ومنهم من يرويه :

كأنني أربته بريب

وهذا البيت في أبيات له . وهو ابن أخي أبي ذؤيب الهذلي .

« هدى للمتقين » ، أي الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ، ويرجون رحمته بالتصديق بما جاءهم منه . « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » أي يقيمون الصلاة بفرضها ، ويؤتون الزكاة احتسابا لها . « والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك » ، أي يصدقونك بما جئت به من الله عز وجل ، وما جاء به من قبلك من المرسلين ، لا يفرقون بينهم ، ولا يجحدون ما جاءوهم به من ربهم . « وبالآخرة هم يوقنون » ،

---

(١) لحيم : قتيل .

(٢) والرجز الذي استشهد ببيت منه :

يا قوم مالي وأبا ذؤيب ... كنت إذا أتيته من غيب

يشم عطفي ويمس ثوبي ... كأنني أربته بريب

وكان أبو ذؤيب قد اتهمه بامرأته فلذلك قال هذا .

أى بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، أى هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان من قبلك ، وبما جاءك من ربك « أولئك على هدًى من ربهم » ، أى على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم « وأولئك هم المفلحون » . أى الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا . « إن الذين كفروا » ، أى بما أنزل إليك ، وإن قالوا إنا قد آمنا بما جاءنا قبلك « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » ، أى أنهم كفروا بما عندهم من ذكرك ، وجحدوا ما أخذ عليهم الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم مما جاءهم به غيرك ، فكيف يستمعون منك إنذارا أو تحذيرا ؟ وقد كفروا بما عندهم من علمك . « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » أى عن الهدى أن يصيبوه أبداً يعنى بما كذبوك به من الحق الذى جاءك من ربك حتى يؤمنوا به ، وإن آمنوا بكل ما كان قبلك ، «ولهم» بما هم عليه من خلافك «عذاب عظيم» .

فهذا فى الأحبار من يهود ، فيما كذبوا به من الحق بعد معرفته .

« ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » يعنى المنافقين من الأوس والخزرج ، ومن كان على أمرهم . « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخــدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض » ، أى شك « فزادهم الله مرضاً » ، أى شكا « ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون . وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض ، قالوا إنما نحن مصلحون » ، أى إنما نريد الإصلاح بين الفريقين : من المؤمنين وأهل الكتاب يقول الله تعالى « ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ، قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون . وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم من يهود ، الذين يأمرونهم بالتكذيب بالحق ، وخلاف ما جاء به الرسول « قالوا إنا معكم » ، أى إنا على مثل ما أنتم عليه . « إنما نحن مستهزئون » : أى إنما نستهزىء بالقوم ، ونلعب بهم . يقول الله عز وجل : « الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون » .

قال ابن هشام : يعمهون : يحارون تقول العرب : رجل عمه وعامه : أى حيران ، قال رؤبة ابن العجاج يصف بلداً :

أعمى الهدى بالجاهلين العُمَّه

وهذا البيت فى أرجوزة له . فالعُمَّه : جمع عامه ؛ وأما عمه ، فجمعه : عمهون . والمرأة : عمهة وعمهاء .

« أولئك الذين اشـــتروا الضلالة بالهدى » ؛ أى الكفر بالإيمان « فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » .

قال ابن إسحاق : ثم ضرب لهم مثلا ، فقال تعالى « كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لايبصرون » أى لايبصرون الحق ويقولون به حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم به ونفاقهم فيه ، فتركهم الله فى ظلمات الكفر فهم لايبصرون هدى ، ولا يستقيمون على حق « صم بكم عمى فهم لايرجعون » أى لايرجعون إلى الهدى ، صم بكم عمى عن الخير ، لايرجعون إلى خير ولا يصيبون نجاة ماكانوا على ما هم عليه « أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت ، والله محيط بالكافرين » .

قال ابن هشام : الصيب : المطر ، وهو من صاب يصوب ، مثل قولهم : السيِّد ، من ساد يسود ، والميت : من مات يموت ؛ وجمعه صيائب . قال علقمة بن عبد أحد بنى ربيعة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم :

كأنهم صابت عليهم سحابة صواعقها لطـــيرهن دبيب

وفيها :

فلا تعدلى بينى وبين مغمَّر سقتك روايا المزن حيث تصوب[1]

وهذان البيتان فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : أى هم من ظلمة ماهم فيه من الكفر والحذر من القتل ، من الذى هم عليه من الخلاف والتخوف لكم ، على مثل ما وصف ، من الذى هو فى ظلمة الصيب ، يجعل أصابعه فى أذنيه من الصواعق حذر الموت . يقول : والله منزل ذلك بهم من النقمة ، أى هو محيط بالكافرين « يكاد البرق يخطف أبصارهم » : أى لشدة ضوء الحق « كلما أضاء لهم مشوا فيه ، وإذا أظلم عليهم قاموا » ، أى يعرفون الحق ويتكلمون به ، فهم من قولهم به على استقامة ؛ فإذا ارتكسوا منه فى الكفر قاموا متحيرين « ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم » أى لما تركوا من الحق بعد معرفته « إن الله على كل شىء قدير » .

ثم قال : « يأيها الناس اعبدوا ربكم » للفريقين جميعا ، من الكفار والمنافقين ، أى وحدوا

(١) المغمر : الساذج الذى لم يجرب الأمور .

ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » .

قال ابن هشام : الأنداد : الأمثال ، واحدهم ند . قال لبيد بن ربيعة :

أحمد الله فلا ند له ... بيديه الخير ما شاء فعل

وهذا البيت فى قصيدة له :

قال ابن إسحاق : أى لاتشركوا بالله غيره من الأنداد التى لاتنفع ولاتضر ، وأنتم تعلمون أنه لارب لكم يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذى يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لاشك فيه . « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا » أى فى شك مما جاءكم به ، « فاتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله » ، أى من استطعتم من أعوانكم على ما أنتم عليه « إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا » فقد تبين لكم الحق « فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » ، أى لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر .

ثم رغبهم وحذرهم نقض الميثاق الذى أخذ عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم إذا جاءهم وذكر لهم بدء خلقهم حين خلقهم ، وشأن أبيهم آدم عليه السلام وأمره ، وكيف صنع به حين خالف عن طاعته ، ثم قال : « يا بنى إسرائيل » للأحبار من يهود « اذكروا نعمتىَ التى أنعمت عليكم » أى بلائى عندكم وعند آبائكم ، لما كان نجاهم به من فرعون وقومه « وأوفوا بعهدى » الذى أخذت فى أعناقكم لنبيى أحمد إذا جاءكم « أوف بعهدكم » أنجز لكم ما وعدتكم على تصديقه واتباعه بوضع ما كان عليكم من الآصار والأغلال التى كانت فى أعناقكم بذنوبكم التى كانت من أحداثكم « وإياى فارهبون » أى أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من النقمات التى قد عرفتم من المسخ وغيره . « وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ، ولا تكونوا أوّل كافر به » وعندكم من العلم فيه ماليس عند غيركم « وإياى فاتقون . ولاتلبسوا الحق بالباطل ، وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » ، أى لاتكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى وبما جاء به ، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم « أتأمرون الناس بالبر وتنسوْن أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » ، أى أتنهون الناس عن الكفر بمآ عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم ، أى وأنتم تكفرون بما فيها من عهدى إليكم فى تصديق رسولى ، وتنقضون ميثاقى ، وتجحدون ما تعلمون من كتابى .

ثم عدد عليهم أحداثهم ، فذكر لهم العجل وما صنعوا فيه ، وتوبته عليهم ، وإقالته إياهم ، ثم قولهم : « أرنا الله جهرة » .

قال ابن هشام : جهرة ، أى ظاهراً لنا لا شىء يستره عنا . قال أبو الأخزر الحمانى ، واسمه قتيبة .

يجهر أجواف المياه السُّدُم(١)

وهذا البيت فى أرجوزه له .

يجهر : يقول : يظهر الماء ، ويكشف عنه ما يستره من الرمل وغيره .

قال ابن إسحاق : وأخذ الصاعقة إياهم عند ذلك لغرتهم ، ثم إحياءه إياهم بعد موتهم وتظليله عليهم الغمام ، وإنزاله عليهم المن والسلوى ، وقوله لهم : « ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة » ، أى قولوا ما آمركم به أحط به ذنوبكم عنكم ؛ وتبديلهم ذلك من قوله استهزاء بأمره ، وإقالته إياهم ذلك بعد هُزئهم .

قال ابن هشام : المن : شىء كان يسقط فى السحر على شجرهم ، فيجتنونه حلواً مثل العسل فيشربونه ويأكلونه . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

لو أطعموا المن والسلوى مكانهم ما أبصر الناس طُعما فيهم نجعا(٢)

وهذا البيت فى قصيدة له ، والسلوى : طيروا حدتها : سلواة ؛ ويقال : إنها السمانى ، ويقال للعسل أيضاً : السلوى . وقال خالد بن زهير الهذلى :

وقاسمها بالله حقاً لأنتم ألذ من السلوى إذا مانشورها

وهذا البيت فى قصيدة له . وحطة : أى حط عنا ذنوبنا .

قال ابن إسحاق : وكان من تبديلهم ذلك كما حدثنى صالح بن كيسان عن صالح مولى التوءمة بنت أمية بن خلف ، عن أبى هريرة ومن لا أتهم ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : دخلوا الباب الذى أمروا أن يدخلوا منه سُجداً يزحفون ، وهم يقولون حنط فى شعير .

قال ابن هشام : ويروى : حنطة فى شعيرة .

قال ابن إسحاق : واستسقاه موسى لقومه ، وأمره إياه أن يضرب بعصاه الحجر ،

---

(١) السدم : هى المياه القديمة .

(٢) نجع : نفع .

. فانفجرت لهم منه أثنتا عشرة عينا ، لكل سبط(١) عين يشربون منها ، قد علم كل سبط عينه التى منها يشرب ، وقولهم لموسى عليه السلام : « لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها » .

قال ابن هشام : الفوم : الحنطة . قال أمية بن أبى الصلت الثقفى :

فوق شيزى مثل الجوابى عليها   قطع كالوذيل فى نقى فوم(٢)

قال ابن هشام : الوذيل : قطع الفضة ، والفوم : القمح ؛ واحدته : فومة . وهذا البيت فى قصيدة له .

« وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير . اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم » .

قال ابن إسحاق : فلم يفعلوا ، ورفعه الطور فوقهم ليأخذوا ما أوتوا ، والمسخ الذى كان فيهم ، إذ جعلهم قردة بأحداثهم ، والبقرة التى أراهم الله عز وجل بها العبرة فى القتيل الذى اختلفوا فيه ، حتى بين الله لهم أمره ، بعد التردد على موسى عليه السلام فى صفة البقرة ؛ وقسوة قلوبهم بعد ذلك حتى كانت كالحجارة أو أشد قسوة . ثم قال تعالى : « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله » أى وإن من الحجارة لألين من قلوبكم عما تدعون إليه من الحق « وما الله بغافل عما تعملون » .

ثم قال لمحمد عليه الصلاة والسلام ولمن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » . وليس قوله « يسمعون التوراة » ، أن كلهم قد سمعها ، ولكنه فريق منهم ، أى خاصة .

قال ابن إسحاق ، فيما بلغنى عن بعض أهل العلم : قالوا لموسى : ياموسى ، قد حيل بيننا وبين رؤية الله ، فأسمعنا كلامه حين يكلمك ، فطلب ذلك موسى عليه السلام من ربه ، فقال له : نعم مرهم فليطهروا ، أو ليطهروا ثيابهم ، وليصوموا ، ففعلوا . ثم خرج بهم حتى أتى بهم الطور فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى فوقعوا سجداً وكلمه ربه ، فسمعوا كلامه تبارك وتعالى ، يأمرهم

---

(١) السبط الجماعة ، وهى كالقبيلة فى أولاد إسماعيل من العرب .

(٢) الشيزى : خشب أسود صلب تصنع منه الأمشاط والقصاع وغيرها يقال هو الأبنوس . والجوابى : الحياض يجبى إليها الماء ، أى يجمع .

وينهاهم ، حتى عقلوا عنه ما سمعوا ، ثم انصرف بهم إلى بنى إسرائيل ، فلما جاءهم حرف فريق منهم ما أمرهم به ، وقالوا ، حين قال موسى لبنى إسرائيل : إن الله قد أمركم بكذا وكذا ، قال ذلك الفريق الذى ذكر الله عز وجل : إنما قال كذا وكذا ، خلافا لما قال الله لهم ، فهم الذين عنى الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا » ، أى بصاحبكم رسول الله ، ولكنه إليكم خاصة . « وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا » : لا تحدثوا العرب بهذا ، فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم ، فكان فيهم . فأنزل الله عز وجل فيهم : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون » ، أى تقرون بأنه نبى ، وقد عرفتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه ، وهو يخبركم أنه النبى الذى كنا ننتظر ونجد فى كتابنا ؛ اجحدوه ولا تقروا لهم به يقول الله عز وجل : « أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى » .

قال ابن هشام ، عن أبى عبيدة : إلا أمانى : إلا قراءة ، لأن الأمى : الذى يقرأ ولا يكتب. يقول : لا يعلمون الكتاب إلا أنهم يقرءونه .

قال ابن هشام : عن أبى عبيدة ويونس أنهما تأولا ذلك عن العرب فى قول الله عز وجل، حدثنى أبو عبيدة بذلك .

قال ابن هشام : وحدثنى يونس بن حبيب النحوى وأبو عبيدة : إن العرب تقول : تمنى ، فى معنى قرأ . وفى كتاب الله تبارك وتعالى :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته » . قال : وأنشدنى أبو عبيدة النحوى :

تمنى كتاب الله أول ليله ... وآخره وافى حمام المقادر

وأنشدنى أيضاً :

تمنى كتاب الله فى الليل خالياً ... تمنى داود الزبور على رسل

وواحدة الأمانى : أمنية . والأمانى أيضاً : أن يتمنى الرجل المال أو غيره .

قال ابن إسحاق : « وإن هم إلا يظنون » : أى لا يعلمون الكتاب ولا يدرون ما فيه ، وهم يجحدون نبوتك بالظن . « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ، قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى مولى لزيد بن ثابت عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، واليهود تقول : إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما يعذب الله الناس فى النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا فى النار من أيام الآخرة ، وإنما هى سبعة أيام ثم ينقطع العذاب . فأنزل الله فى ذلك من قولهم : « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة . قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون . بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته » . أى من عمل بمثل أعمالكم ، وكفر بمثل ما كفرتم به ، يحيط كفره بما له عند الله من حسنة ، « فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » أى خلداً أبداً « والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » أى من آمن بما كفرتم به ، وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها ، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً ، لا انقطاع له .

قال ابن إسحاق : ثم قال الله عز وجل يؤنبهم : « وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل » ، أى ميثاقكم « لا تعبدون إلا الله ، وبالوالدين إحسانا ، وذى القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسنا ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون » ، أى تركتم ذلك كله ليس بالتنقص . « وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم » .

قال ابن هشام : تسفكون : تصبون . تقول العرب : سفك دمه ، أى صبه ؛ وسفك الزق أى هراقه . قال الشاعر :

وكنا إذا ما الضيف حل بأرضنا   سفكنا دماء البدن فى تربة الحال

قال ابن هشام : يعنى « بالحال » : الطين الذى يخالطه الرمل ، وهو الذى تقول له العرب : السهلة . وقد جاء فى الحديث : أن جبريل لما قال فرعون : « آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل » ، أخذ من حال البحر وحمأته ، فضرب به وجه فرعون . والحال : مثل الحمأة .

قال ابن إسحاق : « ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون » . على أن هذا حق من ميثاقى عليكم : « ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ، تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان » : أى أهل الشرك : حتى يسفكوا دماءهم معهم : ويخرجوهم من ديارهم معهم . « وإن يأتوكم أسارى تفادوهم » وقد عرفتم أن ذلك عليكم فى دينكم « وهو محرم عليكم » : فى كتابكم « إخراجهم ، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » ،

أى أتفادونهم مؤمنين بذلك ، وتخرجونهم كفاراً بذلك . « فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون . أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فلا يخفف عنهم العذاب ، ولا هم ينصرون » . فأنبهم الله عز وجل بذلك من فعلهم ، وقد حرم عليهم فى التوراة سفك دمائهم ، وافترض عليهم فيها فداء أسراهم .

فكانوا فريقين ، منهم بنو قينقاع ولفهم [1] ، حلفاء الخزرج ؛ والنضير وقريظة ولفهم ، حلفاء الأوس . فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب . خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت النضير وقريظة مع الأوس يظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم ، وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم ومالهم ، والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان . لا يعرفون جنة ولا ناراً ، ولا بعثا ولا قيامة ، ولا كتابا ، ولا حلالا ولا حراما ، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أساراهم تصديقا لما فى التوراة ، وأخذ به بعضهم من بعض ، يفتدى بنو قينقاع من كان من أسراهم فى أيدى الأوس وتفتدى النضير وقريظة مافى أيدى الخزرج منهم . ويطلون [2] ما أصابوا من الدماء ، وقتلى من قتلوا منهم فيما بينهم ، مظاهرة لأهل الشرك عليهم . يقول الله تعالى لهم حين أنبهم بذلك : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » ، أى تفاديه بحكم التوراة وتقتله ، وفى حكم التوراة أن لا تفعل ، تقتله وتخرجه من داره وتظاهر عليه من يشرك بالله ، ويعبد الأوثان من دونه ، ابتغاء عرض الدنيا . ففى ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج — فيما بلغنى — نزلت هذه القصة .

ثم قال تعالى : « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى بن مريم البينات » ، أى الآيات التى وضعت على يديه ، من إحياء الموتى ، وخلقه من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وإبراء الأسقام ، والخبر بكثير من الغيوب مما يدخرون فى بيوتهم ، وما رد عليهم من التوراة مع الإنجيل ، الذى أحدث الله إليه . ثم ذكر كفرهم بذلك كله ، فقال : « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » ، ثم قال تعالى : « وقالوا قلوبنا غلف » : فى أكنة . يقول الله عز وجل : « بل لعنهم

---

(١) لفهم : من عد فيهم .
(٢) يطلون : يبطلون .

الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون . ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » .

قال ابن إسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه ، قال :قالوا : فيناوالله وفيهم نزلت هذه القصة ، كنا قد علوناهم ظهراً فى الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب فكانوا يقولون لنا : إن نبيا يبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه ، نقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم من قريش فاتبعناه كفروا به يقول الله : « فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين . بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده » أى أن جعله فى غيرهم « فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين » .

قال ابن هشام : فباءوا بغضب : أى اعترفوا به واحتملوه . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حبلى يسرتها قبيلها [1]

قال ابن هشام . يسرتها . أجلستها للولادة . وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق. فالغضب على الغضب لغضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة ، وهى معهم ، وغضب بكفرهم بهذا النبى صلى الله عليه وسلم الذى أحدث الله إليهم .

ثم أنبهم برفع الطور عليهم ، واتخاذهم العجل إلها دون ربهم ، يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس ، فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » ، أى ادعوا بالموت على أى الفريقين أكذب عند الله ، فأبوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول الله جل ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام . « ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم » ، أى بعلمهم بما عندهم من العلم بك ، والكفر بذلك ؛ فيقال لو تمنوه يوم قال ذلك لهم مابقى على وجه الأرض يهودى إلا مات . ثم ذكر رغبتهم فى الحياة الدنيا وطول العمر ، فقال تعالى . « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة » اليهود « ومن الذين اشركوا يود أحدهم لو يعمّر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر » ، أى ماهو بمنجيه من العذاب ، وذلك أن المشرك لايرجو بعثا بعد الموت ، فهو يحب طول الحياة ، وأن

---

(١) القبيلة : القابلة وهى من تستقبل الولد .

اليهودى قد عرف ماله فى الآخرة من الخزى بما ضيّع مما عنده من العلم . ثم قال تعالى : « قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله » .

سؤال اليهود الرسول ، وإجابته : قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى حسين المكى ، عن شهر بن حوشب الأشعرى ، أن نفراً من أحبار يهود جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد، أخبرنا عن أربع نسألك عنهن، فإن فعلت ذلك اتبعناك وصدقناك ، وآمنا بك . قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقنني ، قالوا : نعم ، قال : فاسئلوا عما بدا لكم ؛ قالوا : فأخبرنا كيف يشبه الولد أمه ، وإنما النطفة من الرجل ؟ قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة ؛ ونطفة المرأة صفراء رقيقة ؛ فأيتهما علت صاحبتها كان لها الشبه ! قالوا : اللهم نعم ؛ قالوا : فاخبرنا كيف نومك ؟ فقال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل ؛ هل تعلمون أن نوم الذى تزعمون أنى لست به تنام عينه وقلبه يقظان ؟ فقالوا : اللهم نعم ؛ قال : فكذلك نومى ؛ تنام عينى وقلبى يقظان ؛ قالوا : فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه ؟ قال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل ؛ هل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها ؛ وأنه اشتكى شكوى ؛ فعافاه الله منها ؛ فحرم على نفسه أحب الطعام والشراب إليه شكراً لله ؛ فحرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها ؟ قالوا: اللهم نعم ؛ قالوا : فأخبرنا عن الروح ؟ قال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائل ، هل تعلمونه جبريل ، وهو الذى يأتينى ؟ قالوا : اللهم نعم ، ولكنه يا محمد لنا عدو ، وهو ملك ، إنما يأتى بالشدة وبسفك الدماء ، ولولا ذلك لاتبعناك ؛ قال : فأنزل الله عز وجل فيهم : « قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » . . . إلى قوله تعالى : « أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ، بل أكثرهم لا يؤمنون . ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان » ، أى السحر « وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » .

اليهود ينكرون نبوة سليمان عليه السلام ورد الله عليهم : قال ابن إسحاق : وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — لما ذكر سليمان بن داود فى المرسلين ، قال

بعض أحبارهم : ألا تعجبون من محمد ، يزعم أن سليمان بن داود كان نبياً ، والله ما كان إلا ساحراً . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : « وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا » ، أى باتباعهم السحر وعملهم به . « وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض من لا أتهم عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقول : الذى حرم إسرائيل على نفسه زائدتا الكبد والكليتان والشحم ، إلا ما كان على الظهر ، فإن ذلك كان يُقرّب للقربان ، فتأكله النار .

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر : قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر ، فيما حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو عن سعد ابن جبير ، عن ابن عباس :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صاحب موسى وأخيه ، والمصدق لما جاء به موسى : ألا إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة ، وإنكم لتجدون ذلك فى كتابكم : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم رُكّعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يُعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما » .

وإنى أنشدكم بالله ، وأنشدكم بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذى أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى ، وأنشدكم بالذى أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله ، إلا أخبرتمونى : هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك فى كتابكم فلا كره عليكم . « قد تبين الرشد من الغى » فأدعوكم إلى الله وإلى نبيه .

قال ابن هشام : شطوه : فراخه ؛ وواحدته : شطأة . تقول العرب : قد أشطأ الزرع ، إذا أخرج فراخه . وآزره : عاونه ، فصار الذى قبله مثل الأمهات . قال امرؤ القيس بن حُجر الكندى :

بمحنية قد آزر الضال نبتها ... مجرّ جيوش غانمين وخُيّب[1]

---

(١) المحنية والمحناة ما انعطف من الوادى والجمع محانٍ . والضال : شجر تعمل منه القسى

وهـــذا البيت في قصيدة له . وقال حمد بن مالك الأرقط ، أحد بنى ربيعة بن مالك ابن زيد مناة :

زرعا وقضباً مؤزّر النبات[١]

وهذا البيت في أرجوزة له ، وسوقه : جمع ساق ، لساق الشجرة .

ما نزل في أبي ياسر وأخيه : قال ابن إسحاق : وكان ممن نزل فيه القرآن ، بخاصة من الأحبار وكفار يهود ، الذى كانوا يسألونه ويتعنتونه ليلبسوا الحق بالباطل — فيما ذكر لى عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله بن رئاب — أن أبا ياسر بن أخطب مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يتلو فاتحة البقرة : « الم ذلك الكتاب لا ريب فيه » ، فأتى أخاه حيي بن أخطب في رجال من يهود ، فقال : تعلموا والله ، لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل عليه : « الم ذلك الكتاب » : فقالوا : أنت سمعته ؟ فقال : نعم ؛ فمشى حيي بن أخطب في أولئك النفر من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : يا محمد ، ألم يذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل إليك : « الم ذلك الكتاب » ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى ؛ قالوا : أجاءك بها جبريل من عند الله ؟ فقال : نعم ؛ قالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ، ما نعلمه بين لنبي منهم ما مدة ملكه ، وما أكل[٢] أمته غيرك ؛ فقال حيي بن أخطب ، وأقبل على من معه ، فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة ؛ أفتدخلون في دين إنما مدة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة ؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، هل مع هـذا غيره ؟ قال : نعم ؛ قال : ماذا ؟ قال : « المص » . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه إحدى وستون ومئة سنة ، هل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : نعم « الر » . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مئتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومئتان ، هل مع هذا غيره يا محمد ؟ قال : نعم « المر » . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مئتان ، فهذه إحدى وسبعون ومئتا سنة ، ثم قال : لقد لبس علينا أمرك يا محمد ، حتى ما ندرى أقليلا أعطيت أم كثيراً ؟ ثم قاموا عنه ؛ فقال أبو ياسر لأخيه حيي بن أخطب ولمن معه من الأحبار : ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد ،

---

(١) القضبة : الشجرة التى امتدت أغصانها .

(٢) الأكل : الرزق .

إحدى وسبعون ، وإحدى وستون ومئة ، وإحدى وثلاثون ومئتان ، وإحدى وسبعون ومئتان، فذلك سبع مئة وأربع وثلاثون سنة ؛ فقالوا : لقد تشابه علينا أمره . فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : « منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات » .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت من لا أتهم من أهـــل العلم يذكر : إن هؤلاء الآيات إنما أنزلن فى أهل نجران ، حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن عيسى بن مريم عليه السلام .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى محمد بن أبى أمامة بن سهل بن حنيف ، أنه قد سمع : أن هؤلاء الآيات إنما أنزلن فى نفر من يهود ، ولم يفسر ذلك لى . فالله أعلم أى ذلك كان .

كفر اليهود بالاسلام وما نزل فى ذلك : قال ابن إسحاق : وكان فيما بلغنى عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء بن معرور ، أخو بنى سلمة : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته ؛ فقال سلام بن مشكم ، أحد بنى النضير : ما جاءنا بشىء نعرفه ، وما هو بالذى كنا نذكره لكم ، فأنزل الله فى ذلك من قولهم : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » .

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن الصيف ، حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، — وذكر لهم ما أخذ عليهم له من الميثاق ، وما عهد الله إليهم فيه : والله ما عُهد إلينا فى محمد عهد ، وما أخذ له علينا من ميثاق . فأنزل الله فيه : « أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ، بل أكثرهم لا يؤمنون » .

وقال أبو صلوبا الفطيونى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، ما جئتنا بشىء نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية فنتبعك لها . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله : « ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون » .

وقال رافع بن حُريملة ، ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، ائتنا

بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه ، وفجر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : « أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سُئل موسى من قبل ، ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل » .

قال ابن هشام : سواء : وسط السبيل . قال حسان بن ثابت :

يا ويح أنصار النبي ورهطه بعد المُغَيَّب فى سواء المُلْحَد[1]

وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وكان حيي بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب ، من أشد يهود للعرب حسداً ، إذ خصهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم ، وكانا جاهدين فى رد الناس بما استطاعا . فأنزل الله تعالى فيهما : «ود كثير من أهـل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ، إن الله على كل شىء قدير » .

تنازع اليهود والنصارى عند الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : ولما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أحبار يهود ، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رافع بن حريملة : ما أنتم على شىء ، وكفر بعيسى وبالإنجيل ؛ فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم على شىء ، وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : « وقالت اليهود ليست النصارى على شىء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شىء ، وهم يتلون الكتاب ، كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم ، فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » ، أى كل يتلو فى كتابه تصديق ما كفر به ، أى يكفر اليهود بعيسى ، وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام ، وفى الإنجيل ما جاء به عيسى عليه السلام ، من تصديق موسى عليه السلام ، وما جاء به من التوراة من عند الله ، وكل يكفر بما فى يد صاحبه .

قال ابن إسحاق : وقال رافع بن حريملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن كنت

---

(١) الملحد القبر ، اسم مفعول من ألحد .

رسولا من الله كما تقول ، فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله ، أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ، قد بينا الآيات لقوم يوقنون » .

وقال عبد الله بن صوريا الأعور الفطيونى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الهدى إلا مانحن عليه ، فاتبعنا يامحمد تهتد ؛ وقالت النصارى مثل ذلك . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول عبد الله بن صوريا وما قالت النصارى : « وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ، قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين » . ثم القصة إلى قول الله تعالى : « تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسئلون عما كانوا يعملون » .

ماقالته اليهود عند صرف القبلة إلى الكعبة : قال ابن إسحاق : ولما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ، وصرفت فى رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن قيس ، وقردم بن عمرو ، وكعب ابن الأشرف ، ورافع بن أبى رافع ، والحجاج بن عمرو ، حليف كعب بن الأشرف ، والربيع ابن الربيع بن أبى الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، فقالوا : يامحمد ، ماولاك عن قبلتك التى كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك ، وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه . فأنزل الله تعالى فيهم : «سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب ، يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً . وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » ، أى ابتلاء واختبارا « وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله » ، أى من الفتن : أى الذين ثبت الله « وما كان الله ليضيع إيمانكم » ، أى إيمانكم بالقبلة الأولى ، وتصديقكم نبيكم ، واتباعكم إياه إلى القبلة الآخرة ، وطاعتكم نبيكم فيها : أى ليعطينكم أجرهما جميعا « إن الله بالناس لرءوف رحيم » .

ثم قال تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

قال ابن هشام : شطره : نحوه وقصده . قال عمرو بن أحمر الباهلى — وباهلة بن يعصر ابن سعد بن قيس بن عيلان — يصف ناقة له :

تعدو بنا شطر جمع وهى عاقدة قد كارب العقد من إيفادها الحقبا[1]

وهذا البيت فى قصيدة له

وقال قيس بن خويلد الهذلى يصف ناقته :

إن النعوس بها داء مخامرها فشطرها نظر العينين محسور

وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن هشام : والنعوس : ناقته ، وكان بها داء فنظر إليها نظر حسير ، من قوله : وهو حسير .

« وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ، وما الله بغافل عما يعملون . ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم ، ومابعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم ، إنك إذا لمن الظالمين » .

قال ابن إسحاق : إلى قوله تعالى : « وإنه للحق من ربك — فلا تكونن من الممترين » .

كتمانهم مافى التوراة : وسأل معاذ بن جبل ، أخو بنى سلمة ، وسعد بن معاذ ، أخو بنى عبد الأشهل وخارجة بن زيد ، أخو بلحارث بن الخزرج ، نفراً من أحبار يهود عن بعض مافى التوراة ، فكتموهم إياه ، وأبوا أن يخبروهم عنه . فأنزل الله تعالى فيهم : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » .

جوابهم النبى عليه السلام حين دعاهم إلى الاسلام : قال : ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام ورغبهم فيه ، وحذرهم عذاب الله ونقمته ؛ فقال له رافع بن خارجة ، ومالك بن عوف : بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلم وخيراً منا . فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهما : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » .

جمعهم فى سوق بنى قينقاع : ولما أصاب الله عز وجل قريشا يوم بدر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فى سوق بنى قينقاع ، حين قدم المدينة ، فقال : يامعشر يهود ،

---

(١) ناقة عاقدة : إذا جعلت ذنبها بين فخذيها فى أول حملها ، وإيفادها إشرافها ، والحقب حبل يشد به الرحل إلى بطن الناقة .

أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشا ، فقالوا له : يامحمد ، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش ، كانوا أغماراً[1] لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس ، وأنك لم تلق مثلنا ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية فى فئتين التقتا ، فئة تقاتل فى سبيل الله ، وأخرى كافرة ، يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » .

دخوله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس : قال : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس[2] على جماعة من يهود ، فدعاهم إلى الله ؛ فقال له النعمان بن عمرو ، والحارث بن زيد : على أى دين أنت يامحمد ؟ قال : على ملة إبراهيم ودينه ؛ قالا : فإن إبراهيم كان يهودياً ؛ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلم إلى التوراة ، فهى بيننا وبينكم ، فأبيا عليه : فأنزل الله تعالى فيهما : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون . ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات ، وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون » .

تنازع اليهود والنصارى فى ابراهيم عليه السلام : وقال أحبار يهود ونصارى نجران ، حين اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا ، فقالت الأحبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديا ، وقالت النصارى من أهل نجران : ما كان إبراهيم إلا نصرانيا . فأنزل الله عزوجل فيهم : « يأهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ، ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ، والله يعلم وأنتم لاتعلمون . ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما ، وما كان من المشركين : إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه ، وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين » .

ما نزل فى إيمانهم غدوة وكفرهم عشيا : وقال عبد الله بن ضيف ، وعدى بن زيد والحارث بن عوف ، بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ، ونكفر به عشية ، حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع ، ويرجعون عن دينه . فأنزل الله

---

(١) الأغمار : السذج الذين لم يجربوا الأمور .
(٢) المدراس : البيت الذى يدرس فيه اليهود كتابهم والمدراس أيضا من يدرس لهم .

فقال فيهم : « يأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمون الحق وأنتم تعلمون . وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون . ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم ، قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم » .

مانزل فى قول أبى رافع أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى : وقال أبو رافع القرظى ، حين اجتمعت الأحبار من يهود ، والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الإسلام : أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ؟ وقال رجل من أهل نجران نصرانى ، يقـــال له : الربيس ، ويروى : الريس ، والرئيس : أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا ؟ أو كما قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره ، فما بذلك بعثنى الله ، ولا أمرنى ؛ أو كما قال . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ، ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب ، وبما كنتم تدرسون » ... إلى قوله تعالى : « بعد إذ أنتم مسلمون » .

قال ابن هشام : الربانيون : العلماء الفقهاء السادة ؛ وأحدهم : ربانى .

قال الشاعر :

لو كنت مرتهنا فى القوس أفتننى منها الكلام وربانى أحبار

قال ابن هشام : القوس : صومعة الراهب . وأفتننى ، لغة تميم . وفتننى ، لغة قيس .

قال جرير :

لا وصل إذ صرمت هند ولو وقفت لاستنزلتنى وذا المسحين فى القوس

أى صومعة الراهب . والربانى : مشتق من الرب ، وهو السيد . وفى كتاب الله : « فيسقى ربه خمراً » ، أى سيده .

قال ابن إسحاق : « ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » .

ما نزل فى أخذ الميثاق عليهم : قال ابن إسحاق : ثم ذكر ما أخذ الله عليهم ، وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه إذ هو جاءهم ، وإقرارهم ، فقال : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » إلى آخر القصة .

سعيهم فى الوقيعة بين الأنصار : قال ابن إسحاق : ومر شاس بن قيس ، وكان شيخا قدعسا[1] ، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ، على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج ، فى مجلس قد جمعهم ، يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم ، وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية . فقال : قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار . فأمر فتى شابا من يهود كان معهم ، فقال : اعمد إليهم ، فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار .

يوم بعاث : وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج ، وكان على الأوس يومئذ حضير بن سماك الأشهلى ، أبو أسيد بن حضير ، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضى ، فقتلا جميعا .

قال ابن هشام : قال أبو قيس بن الأسلت :

على أن قد فجعت بذى حفاظ ... فعاودنى له حزن رصين[2]
فإما تقتلوه فإن عمرا ... أعض برأسه عضب سنين[3]

وهذان البيتان فى قصيدة له . وحديث يوم بعاث أطول مما ذكرت ، وإنما منعنى من استقصائه ما ذكرت من القطع[4] .

قال ابن هشام : سنين : مسنون ، من سنه ، إذا شحذه .

---

(١) عسا الشيخ : كبر .
(٢) الحفاظ : شدة الغضب . والرصين : الثابت .
(٣) العضب : السيف القاطع .
(٤) يقصد القطع لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : نفعل . فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب ، أوس بن قيظى ، أحد بنى حارثة بن الحارث ، من الأوس ، وجبار ابن صخر ، أحد بنى سلمة من الخزرج ، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رددناها الآن جذعة فغضب الفريقان جميعا ، وقالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة — والظاهرة : الحرة — السلاح السلاح . فخرجوا إليها . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم ، فقال : يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بين قلوبكم ؟ فعرف القوم أنها نزغة[1] من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شأس بن قيس . فأنزل الله تعالى فى شأس بن قيس وما صنع : « قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله ، والله شهيد على ماتعملون . قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء ، وما الله بغافل عما تعملون » .

وأنزل الله فى أوس بن قيظى وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شأس من أمر الجاهلية : « يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراط مستقيم . يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تُقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » . . . إلى قوله تعالى : « وأولئك لهم عذاب عظيم » .

ما نزل فى قولهم : ما اتبع محمدا إلا شرارنا : قال ابن إسحاق : ولما أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سَعية ، وأسيد بن سعية ، وأسد بن عُبيد ، ومن أسلم من يهود معهم ، فآمنوا وصدقوا ورغبوا فى الإسلام ، ورسخوا فيه ، قالت أحبار يهود ، أهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا اتبعه إلا شرارنا ، ولو كانوا من أخيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » .

---

(١) نزغ الشيطان بينهم : أفسد وأغرى .

قال ابن هشام : آناء الليل : ساعات الليل : وواحدها : إنى . قال المتنخل الهذلى ، واسمه مالك بن عويمر ؛ يرثى أثيلة ابنه :

حلو ومر كعطف القدح شيمته   فى كل إنى قضاه الليل ينتعل

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال لبيد بن ربيعة ، يصف حمار وحش :

يطرب آناء النهـــار كأنه   غوى سقاه فى التجار نديم[1]

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال : إنى مقصور ، فيما أخبرنى يونس .

« يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويسارعون فى الخيرات ، وأولئك من الصالحين » .

ما نزل فى نهى المسلمين عن مباطنة اليهود : قال ابن إســحاق : وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود ، لما كان بينهم من الجوار والحلف ، فأنزل الله تعالى فيهم ينهاهم عن مباطنتهم : « يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم ، لايألونكم خبالا ودوا ماعنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون . هأنتم أولاء تحبونهم ولايحبونكم ، وتؤمنون بالكتاب كله » ، أى تؤمنون بكتابكم ، وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم كنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم « وإذا لقوكم قالوا آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم » إلى آخر القصة .

دخول أبى بكر بيت المدراس : ودخل أبو بكر الصديق بيت المدراس على يهود ، فوجد منهم ناسا كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم ، يقال له فنحاص ، وكان من علمائهم وأحبارهم ، ومعه حبر من أحبارهم ، يقال له : أشيع ؛ فقال أبو بكر لفنحاص : ويحك يا فنحاص ! اتق الله وأسلم ، فو الله إنك لتعلم أن محمدا لرسول الله ، قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والإنجيل ، فقال فنحاص لأبى بكر : والله يا أبا بكر ، مابنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنا عنه لأغنياء ، وما هو عنا بغنى ، ولو

---

(١) الغوى : المفسد ، والتجار : بائعو الخمر ، والمفرد تاجر .

كان عنا غنياً ما استقرضنا أموالنا ، كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطيناه ولو كان عنا غنياً ما أعطانا الربا . قال : فغضب أبو بكر ، فضرب وجه فنحاص ضربا شديداً ، وقال : والذى نفسى بيده ، لولا العهد الذى بيننا وبينكم لضربت رأسك ، أى عدو الله . قال : فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، انظر ما صنع بى صاحبك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال أبو بكر : يارسول الله ، إن عدو الله قال قولا عظيما : إنه زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء فلما قال ذلك غضبتُ لله مما قال ، وضربت وجهه . فجحد ذلك فنحاص ، وقال : ما قلت ذلك . فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص رداً عليه وتصديقا لأبى بكر : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ، سنكتب ماقالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ، ونقول ذوقوا عذاب الحريق » .

ونزل فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وما بلغه فى ذلك من الغضب : « ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً . وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » .

ثم قال فيما قال فنحاص والأحبار معه من يهود « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمنا قليلا ، فبئس مايشترون . لاتحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » يعنى فنحاص ، وأشيع وأشباههما من الأحبار ، الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ؛ أن يقول الناس : علماء ، وليسوا بأهل علم ، لم يحملوهم على هدى ولا حق ، ويحبون أن يقول الناس : قد فعلوا .

أمر اليهود المؤمنين بالبخل : قال ابن إسحاق : وكان كردم بن قيس ، حليف كعب بن الأشرف ، وأسامة بن حبيب ، ونافع بن أبى نافع ، وبحرى بن عمرو ، وحيى بن أخطب ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، يأتون رجالا من الأنصار كانوا يخالطونهم ، ينتصحون لهم ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون لهم : لاتنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر فى ذهابها ، ولا تسارعوا فى النفقة فإنكم لاتدرون علام يكون . فأنزل الله فيهم : « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله » ، أى من التوراة ، التى فيها تصديق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم « وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا . والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخـــر » . . . إلى قوله : « وكان الله بهم عليما » .

اليهود — لعنهم الله — يجحدون الحق : قال ابن إسحاق : وكان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود، إذا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوى لسانه ، وقال : أرعنا سمعك يا محمد ، حتى نفهمك ، ثم طعن فى الإسلام وعابه . فأنزل الله فيه : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا ، وكفى بالله نصيراً . من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع ، وراعنا » ، (أى راعنا سمعك) « ليّاً بألسنتهم ، وطعنا فى الدين ، ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا ، لكان خيراً لهم وأقوم ، ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا » .

وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار يهود ، منهم : عبد الله بن صوريا الأعور ، وكعب بن أسد ، فقال لهم : يامعشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فوالله إنكم لتعلمون أن الذى جئتكم به لحق ؛ قالوا : ما نعرف ذلك يا محمد : فجحدوا ما عرفوا ، وأصروا على الكفر فأنزل الله تعالى فيهم « يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ، وكان أمر الله مفعولا » .

قال ابن هشام : نطمس : نمسحها فنسويها ، فلا يرى فيها عين ولا أنف ولا فم ، ولا شىء مما يرى فى الوجه ؛ وكذلك « فطمسنا أعينهم » . المطموس العين : الذى ليس بين جفنيه شق . ويقال : طمست الكتاب والأثر ، فلا يرى منه شىء . قال الأخطل ، واسمه الغوث[1] بن هبيرة بن الصلب التغلبى ، يصف إبلا كلفها ما ذكر :

وتكليفناها كل طامسة الصُّوى ... شطون ترى حرباءها يتململ[2]

وهذا البيت فى قصيدة له :

قال ابن هشام : واحدة الصوى : صوة . والصوى : الأعلام التى يستدل بها على الطرق والمياه .

قال ابن هشام : يقول : مسحت فاستوت بالأرض ، فليس فيها شىء ناتىء .

---

(١) المشهور أن اسمه غياث بن غوث بن الصلت ويكنى أبا مالك .

(٢) الشطون : البعيد ، والحرباء دويبة صغيرة تتلون فى الشمس ألوانا لها أربع قوائم جمعها حرابى .

من حزبوا الأحزاب : قال ابن إسحاق وكان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبنى قريظة : حيي بن أخطب ، وسلام بن أبى الحقيق ، أبو رافع ، والربيع بن الربيع بن أبى الحقيق ، وأبو عمار ، ووحوح بن عامر ، وهوذة بن قيس . فأما وحوح ، وأبو عمار ، وهوذة فمن بنى وائل ، وكان سائرهم من بنى النضير . فلما قدموا على قريش قالوا . هؤلاء أحبار يهود ، وأهل العلم بالكتاب الأول ، فسلوهم ، دينكم خير أم دين محمد ؟ فسألوهم ، فقالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه . فأنزل الله تعالى فيهم : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت » .

قال ابن هشام : الجبت عند العرب : ماعبد من دون الله تبارك وتعالى : والطاغوت : كل ما أضل عن الحق . وجمع الجبت : جبوت ؛ وجمع الطاغوت طواغيت .

قال ابن هشام : وبلغنا عن ابن أبى نجيح أنه قال : الجبت : السحر ؛ والطاغوت : الشيطان .

« ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » .

قال ابن إسحاق : إلى قوله تعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة ، وآتيناهم ملكا عظيما » .

إنكار اليهود التنزيل : قال ابن إسحاق : وقال سكين وعدى بن زيد : يا محمد ، مانعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبوراً . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيما » .

ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ، فقال لهم : أما والله إنكم لتعلمون أنى رسول من الله إليكم ؛ قالوا : مانعلمه ، وما نشهد عليه . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم . « لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهيداً » .

اتفاقهم على طرح الصخرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير يستعينهم فى دية العامريين اللذين قتل عمرو بن أمية الضمرى

فلما خلا بعضهم ببعض قالوا : لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن ، فمن رجل يظهر على هذا البيت ، فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب : أنا ؛ فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فانصرف عنهم . فأنزل الله تعالى فيه ، وفيما أراد هو وقومه : « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم ، فكف أيديهم عنكم ، واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

ادعاؤهم أنهم أحباء الله : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضاء ، وبحرى ابن عمرو ، وشأس بن عدى ، فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الله ، وحذرهم نقمته ؛ فقالوا ، ماتخوفنا يامحمد ، نحن والله أبناء الله وأحباؤه ، كقول النصارى . فأنزل الله تعالى فيهم : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير » .

إنكارهم نزول كتاب بعد موسى : قال ابن إسحاق : ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود إلى الإسلام ورغبهم فيه ، وحذرهم غير الله وعقوبته ، فأبوا عليه ، وكفروا بما جاءهم به ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب : يامعشر يهود ، اتقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته : فقال رافع بن حريملة ، ووهب بن يهوذا : ماقلنا لكم هذا قط ، وماأنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيراً ولانذيراً بعده فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : يأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شىء قدير » .

ثم قص عليهم خبر موسى ومالقى منهم ، وانتقاضهم عليه ، وما ردوا عليه من أمر الله حتى تاهوا فى الأرض أربعين سنة عقوبة .

رجوعهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فى حكم الرجم ؟ قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى أنه سمع رجلا من مزينة ، من أهل العلم ، يحدث سعيد بن المسيب ، أن أبا هريرة حدثهم : أن أحبار يهود اجتمعوا فى بيت المدراس ، حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد زنى رجل منهم بعد إحصانه بامرأة من يهود قد أحصنت ، فقالوا : ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد ، فسلوه كيف الحكم فيهما ، وولوه الحكم عليهما ، فإن عمل فيهما بعملكم من التجبية - والتجبية : الجلد بحبل من ليف مطلى بقار ، ثم تسود

وجوهما ثم يحملان على حمارين وتجعل وجوههما من قبل أدبار الحمارين ـ فاتبعوه ، فإنما هو ملك ، وصدقوه ؛ وإن هو حكم فيهما فيهما بالرجم فإنه نبي ، فاحذروه على ما فى أيديكم أن يسلبكموه . فأتوه ، فقالوا: يامحمد ، هذا رجل قد زنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت، فاحكم فيهما ، فقد وليناك الحكم فيهما . فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أحبارهم فى بيت المدراس فقال يامعشر يهود أخرجوا إلىّ علماءكم ، فأخرج له عبد الله بن صوريا .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض بنى قريظة : أنهم قد أخرجوا إليه يومئذ ، مع ابن صوريا ، أباياسر بن أخطب ، ووهب بن يهوذا ؛ فقالوا : هؤلاء علماؤنا . فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حصل أمرهم ، إلى أن قالوا لعبد الله ابن صوريا : هذا أعلم من بقى بالتوراة .

قال ابن هشام : من قوله : «وحدثنى بعض بنى قريظة» ـ إلى « أعلم من بقى بالتوراة » من قول ابن إسحاق ، ومابعده من الحديث الذى قبله .

فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان غلاما شابا من أحدثهم سنا ، فألظ به[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة ، يقول له : يابن صوريا ، أنشدك الله وأذكرك بأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم فى التوراة ؟ قال : اللهم نعم ، أما والله ياأباالقاسم إنهم ليعرفون أنك لنبى مرسل ولكنهم يحسدونك . قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بهما فرجما عند باب مسجده فى بنى غنم بن مالك بن النجار . ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا ، وجحد نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فأنزل الله تعالى فيهم: « يأيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك » أى الذين بعثوا منهم من بعثوا وتخلفوا ، وأمروهم به من تحريف الحكم عن مواضعه . ثم قال : « يحرفون الكلم من بعد مواضعه ، يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه ، وإن لم تؤتوه » ، أى الرجم « فاحذروا » إلى آخر القصة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة عن إسماعيل بن إبراهيم ، عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما ، فرجما بباب مسجده ، فلما وجد اليهودى مس الحجارة قام إلى صاحبته فجنأ عليها[2] ، يقيها مس الحجارة ، حتى قتلا جميعا ،

---

(١) ألظ به : ألح عليه .   (٢) جنأ : انحنى .

قال : وكان ذلك مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى تحقيق الزنا منهما .

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله ابن عمر ، قال : لما حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما ، دعاهم بالتوراة ، وجلس حبر منهم يتلوها ، وقد وضع يده على آية الرجم ، قال : فضرب عبد الله بن سلام يد الحبر ثم قال : هذه يانبى الله آية الرجم ، يأبى أن يتلوها عليك ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحكم يامعشر يهود ! ما دعاكم إلى ترك حكم الله وهو بأيديكم ؟ قال : فقالوا : أما والله إنه قد كان فينا يعمل به ، حتى زنا رجل منا بعد إحصانه ، من بيوت الملوك وأهل الشرف ، فمنعه الملك من الرجم ، ثم زنا رجل بعده ، فأراد أن يرجمه ، فقالوا : لا والله ، حتى ترجم فلانا ، فلما قالوا له ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التجبية ، وأماتوا ذكر الرجم والعمل به . قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنا أول من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به ، ثم أمر بهما فرجما عند باب مسجده . وقال عبد الله بن عمر فكنت فيمن رجمهما .

ظلمهم فى الدية : قال ابن إسحاق : وحدثنى داود بن الحصين عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن الآيات من المائدة التى قال الله فيها : « فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا . وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين » إنما أنزلت فى الدية بين بنى النضير وبين بنى قريظة ، وذلك أن قتلى بنى النضير ، وكان لهم شرف ، يؤدون الدية كاملة ، وأن بنى قريظة كانوا يؤدون نصف الدية ، فتحاكموا فى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله ذلك فيهم ، فحملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق فى ذلك ، فجعل الدية سواء .

قال ابن إسحاق : فالله أعلم أى ذلك كان .

رغبتهم فى فتنة الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : وقال كعب بن أسد ، وابن صوريا ، وعبد الله بن صوريا ، وشأس بن قيس ، بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد ، لعلنا نفتنه عن دينه ، فإنما هو بشر ، فأتوه ، فقالوا له : يا محمد ، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وسادتهم ، وأنا إن اتبعناك اتبعتك يهود ، ولم يخالفونا ، وأن بيننا وبين بعض قومنا خصومة ، أفنحاكمهم إليك فتقضى لنا عليهم ، ونؤمن بك ونصدقك ، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم . فأنزل الله فيهم : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ، فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وإن كثيراً من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » ؟

إنكارهم نبوة عيسى عليه السلام : قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر منهم : أبو ياسر بن أخطب ، ونافع بن أبي نافع ، وعازر بن أبي عازر ، وخالد ، وزيد ، وإزار بن أبي إزار ، وأشيع . فسألوه عمن يؤمن به من الرسل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نؤمن بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم ، لانفرق بين أحد منهم . ونحن له مسلمون » . فلما ذكر عيسى بن مريم جحدوا نبوته ، وقالوا : لانؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به . فأنزل الله تعالى فيهم : « قل يأهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل ، وأن أكثركم فاسقون » .

ادعاؤهم أنهم على الحق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة ، وسلام ابن مشكم ، ومالك بن الصيف ، ورافع بن حريملة ، فقالوا : يامحمد ، ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ، وتؤمن بما عندنا من التوراة : وتشهد أنها من الله حق ؟ قال : بلى ، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها ، وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس ، فبرئت من إحداثكم ؛ قالوا : فإنا نأخذ بما في أيدينا ، فإنا على الهدى والحق ، ولانؤمن بك ، ولا نتبعك . فأنزل الله تعالى فيهم : « قل يأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل ، وما أنزل إليكم من ربكم ، وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا ، فلا تأس على القوم الكافرين » .

إشراكهم بالله : قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم النحام بن زيد ، وقردم بن كعب ، وبحرى بن عمرو ، فقالوا له : يامحمد ، أما تعلم مع الله إلها غيره ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله لا إله إلا هو ، بذلك بعثت ، وإلى ذلك أدعو . فأنزل الله فيهم وفي قولهم : « قل أي شيء أكبر شهادة ، قل الله شهيد بيني وبينكم ، وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ، أإنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ، قل لا أشهد ، قل إنما هو إله واحد ، وإنني بريء مما تشركون ، الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون » .

نهي الله المؤمنين عن موادتهم : وكان رفاعة بن زيد بن التابوت ، وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ونافقا فكان رجال من المسلمين يوادونهما . فأنزل الله تعالى فيهما : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين » . . . إلى قوله : « وإذا جاءوكم قالوا آمنا ، وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ، والله أعلم بما كانوا يكتمون » .

سؤالهم عن قيام الساعة : وقال جبل بن أبى قشير ، وشمويل بن زيد ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم :يا محمد ، أخبرنا ، متى تقوم الساعة إن كنت نبيا كما تقول ؟ فأنزل الله تعالى فيهما : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل إنما علمها عند ربى ، لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة ، يسألونك كأنك حفى عنها ، قل إنما علمها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

قال ابن هشام : أيان مرساها؛ متى مرساها قال . قيس بن الحدادية الخزاعى :

فجئت ومخفى السر بينى وبينها لأسألها أيان من سار راجع ؟

وهذا البيت فى قصيدة له . ومرساها : منتهاها ، وجمعه : مراس . وقال الكميت ابن زيد الأسدى :

والمصيبين باب ما أخطأ النـا س ومُرسَى قواعد الإسلام

وهذا البيت فى قصيدة له . ومرسى السفينة : حيث تنتهى . وحفىّ عنها — على التقديم والتأخير — يقول : يسألونك عنها كأنك حفى بهم تخبرهم بما لا تخبر به غيرهم . والحفى : البر المتعهد . وفى كتاب الله : « إنه كان بى حفيا » . وجمعه : أحفياء . وقال أعشى بنى قيس بن ثعلبة:

فإن تسألى عنى فيارب سائل حفى عن الأعشى به حيث أصعدا[1]

وهذا البيت فى قصيدة له . والحفى أيضا : المستحفى عن علم الشىء ، المبالغ فى طلبه .

ادعاؤهم أن عزيرا ابن الله : قال ابن إسحاق: وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام ابن مشكم ، ونعمان بن أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، وشأس بن قيس ، ومالك بن الصيف ، فقالوا له : كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا ، وأنت لا تزعم أن عزيرا ابن الله ؟ فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم : « وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنىّ يؤفكون » إلى آخر القصة .

قال ابن هشام : يضاهون : أى يشاكل قولهم قول الذين كفروا ، نحو أن تحدث بحديث ، فيحدث آخر بمثله ، فهو يضاهيك .

---

(١) أصعد : سار فى البلاد .

طلبهم كتابا من السماء : قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود ابن سيحان ، ونعمان بن أضاء ، وبحرى بن عمرو ، وعزير بن أبي عزير ، وسلام بن مشكم ، فقالوا : أحق يا محمد أن هذا الذى جئت به لحق من عند الله ، فإنا لا نراه متسقا كما تتسق التوراة ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله . تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة ، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به ؛ فقالوا عند ذلك ، وهم جميع : فنحاص ، وعبد الله بن صوريا ، وابن صلوبا ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وأشيع ، وكعب بن أسد ، وشمويل بن زيد ، وجبل بن سكينة : يا محمد ، أما يعلمك هذا إنس ولا جن ؟ قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله : تجدون ذلك مكتوبا عندكم فى التوراة ؛ فقالوا : يا محمد ، فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء ويقدره منه على ما أراد ، فأنزل علينا كتابا من السماء نقرؤه ونعرفه ، وإلا جئناك بمثل ما تأتى به . فأنزل الله تعالى فيهم وفيما قالوا : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » .

قال ابن هشام : الظهير : العون . ومنه قول العرب : تظاهروا عليه ، أى تعاونوا عليه . قال الشاعر :

يا سَمِىَّ النبى أصبحت للديـــن قواما وللإمام ظهيرا

أى عونا ؛ وجمعه : ظهراء .

سؤالهم له صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين : قال ابن إسحاق : وقال حيى بن أخطب ، وكعب بن أسد ، وأبو رافع ، وأشيع ، وشمويل بن زيد ، لعبد الله بن سلام حين أسلم : ما تكون النبوة فى العرب ولكن صاحبك ملك . ثم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن ذى القرنين فقص عليهم ماجاءه من الله تعالى فيه ، مما كان قص على قريش ، وهم كانوا ممن أمر قريشا أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، حين بعثوا إليهم النضر ابن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط .

تهجمهم على ذات الله : قال ابن إسحاق : وحدثت عن سعيد بن جبير أنه قال : أتى رهط من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه ، ثم ساورهم غضبا لربه . قال : فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه ، فقال : خفض عليك يا محمد ، وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه : « قل هو الله أحد الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » .

قال : فلما تلاها عليهم،قالوا : صف لنا يامحمد كيف خلقه ؟ كيف ذراعه ؟ كيف عضده . فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الأول ، وساورهم . فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال له مثل ما قال له أول مرة ، وجاءه من الله تعالى بجواب ما سألوه . يقول الله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون » .

قال ابن إسحاق : وحدثني عتبة بن مسلم ، مولى بني تيم ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يوشك الناس أن يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلهم : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا : « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد . ثم ليتفل الرجل عن يساره ثلاثا ، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

قاله ابن هشام: الصمد : الذي يصمد إليه ، ويفزع إليه . قالت هند بنت معبد بن نضلة تبكي عمرو بن مسعود ، وخالد بن نضلة، عميها الأسديين، وهما اللذان قتل النعمان بن المنذر اللخمي ، وبنى الغريين (١) اللذين بالكوفة عليهما :

ألا بكر الناعي بخيري بني أسد ... بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

ذكر نصارى نجران وما نزل الله فيهم

معنى العاقب والسيد والأسقف : قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ، ستون راكبا ، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم ، وفي الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يئول أمرهم : العاقب ، أمير القوم وذو رأيهم ، وصاحب مشورتهم ، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه ، واسمه عبد المسيح ؛ والسيد ، لهم ثمالهم (٢) وصاحب رحلهم ومجتمعهم ، واسمه الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة ، أحد بني بكر بن وائل ، أسقفهم وحبرهم وإمامهم ، وصاحب مدراسهم .

---

(١) الغريان المشهوران بالكوفة وهما بناءان طويلان يقال هما قبر مالك وعقيل نديمي جذيمة الأبرش وسميا الغريين لأن النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله يوم بؤسه . لسان العرب ج ١٩ ص ٣٥٨ .

(٢) ثمال القوم : من يرجعون إليه ويقوم بأمرهم .

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ، ودرس كتبهم ، حتى حسن علمه فى دينهم ، فكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده فى دينهم .

إسلام كوز بن علقمة : فلما رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران ، جلس أبو حارثة على بغلة له موجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى جنبه أخ له ، يقال له : كوز بن علقمة — قال ابن هشام : ويقال : كرز — فعثرت بغلة أبى حارثة ، فقال كوز : تعس الأبعد : يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال له أبو حارثة : بل وأنت تعست ! فقال : ولم يا أخى؟ قال : والله إنه للنبى الذى كنا ننتظر ، فقال له كوز : ما يمنعك منه وأنت تعلم هذا ؟ قال ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا ومولونا وأكرمونا ، وقد أبوا إلا خلافه ، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى . فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة ، حتى أسلم بعد ذلك . فهو كان يحدث عنه هذا الحديث فيما بلغنى .

رؤساء نجران وإسلام ابن رئيس : قال ابن هشام : وبلغنى أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبا عندهم . فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرياسة إلى غيره ، ختم على تلك الكتب خاتما مع الخواتم التى كانت قبله ولم يكسرها ، فخرج الرئيس الذى كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم يمشى فعثر ، فقال له ابنه : تعس الأبعد يريد النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له أبوه : لا تفعل ، فإنه نبى ، واسمه فى الوضائع ، يعنى الكتب . فلما مات لم تكن لابنه همة إلا أن شد فكسر الخواتم ، فوجد فيها ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسلم فحسن إسلامه وحج ، وهو الذى يقول :

إليك تعدو قلقا وضينها معترضا فى بطنها جنينها
مخالفا دين النصارى دينها

قال ابن هشام : الوضين : الحزام ، حزام الناقة . وقال هشام بن عروة : وزاد فيه أهل العراق :

معترضات فى بطنها جنينها

فأما أبو عبيدة فأنشدناه فيه .

صلاتهم إلى جهة المشرق : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر ، عليهم ثياب الحبرات(١) ، جبب وأردية ، فى جمال رجال بنى الحارث بن كعب . قال : يقول

---

(١) برود من اليمن .

بعض من رآهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ : ما رأينا وفداً مثلهم ، وقد حانت صلاتهم ، فقاموا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ دعوهم ؛ فصلوا إلى المشرق .

أسماؤهم ومعتقداتهم : قال ابن إسحاق : فكانت تسمية الأربعة عشر ، الذين يئول إليهم أمرهم . العاقب ، وهو عبد المسيح ؛ والسيد وهو الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة أخو بنى بكر بن وائل ، وأوس ؛ والحارث ، وزيد ، وقيس ، ويزيد ، ونبيه ، وخويلد ، وعمرو ، وخالد ، وعبد الله ، ويُحنس ، فى ستين راكبا . فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة ، والعاقب عبد المسيح ، والأيهم السيد — وهم من النصرانية على دين الملك ، مع اختلاف من أمرهم ، يقولون : هو الله ، ويقولون : هو ولد الله . ويقولون : هو ثالث ثلاثة . وكذلك قول النصرانية .

فهم يحتجون فى قولهم : «هو الله» بأنه كان يحيى الموتى ، ويبرىء الأسقام ، ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً ، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى : « ولنجعله آية للناس » .

ويحتجون فى قولهم : إنه ولد الله بأنهم يقولون : لم يكن له أب يعلم ، وقد تكلم فى المهد وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله .

ويحتجون فى قولهم : « إنه ثالث ثلاثة » بقول الله : فعلنا ، وأمرنا ، وخلقنا ، وقضينا ، فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا فعلت ، وقضيت ، وأمرت ، وخلقت ؛ ولكنه هو وعيسى ومريم . ففى كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن — فلما كلمه الحبران ، قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسلما ؛ قالا : قد أسلمنا ؛ قال : إنكما لم تسلما فأسلما ، قالا : بلى ، قد أسلمنا قبلك : قال : كذبتما ، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً ، وعبادتكما الصليب ، وأكلكما الخنزير ؛ قالا . فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهما .

ما نزل فيهم من القرآن : فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم ، واختلاف أمرهم كله ، صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ، فقال جل وعز : « الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم » . فافتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا ، وتوحيده إياها بالخلق والأمر ، لا شريك له فيه ، رداً عليهم ما ابتدعوا من الكفر ، وجعلوا معه من الأنداد ، واحتجاجا بقولهم عليهم فى صاحبهم ، ليعرفهم بذلك ضلالتهم : فقال : « الم الله لا إله إلا هو » ليس معه غيره شريك

فى أمره « الحى القيوم » الحى الذى لا يموت ، وقد مات عيسى وصلب فى قولهم ؛ والقيوم القائم على مكانه من سلطانه فى خلقه لا يزول ، وقد زال عيسى فى قولهم عن مكانه الذى كان به، وذهب عنه إلى غيره . « نزّل عليك الكتاب بالحق » ، أى بالصدق فيما اختلفوا فيه « وأنزل التوراة والإنجيل » : التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، كما أنزل الكتب على من كان قبله « وأنزل الفرقان » ، أى الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره . « إن الذين كفروا بآيات الله ، لهم عذاب شديد ، والله عزيز ذو انتقام » ، أى أن الله منتقم ممن كفر بآياته ، بعد علمه بها ، ومعرفته بما جاء منه فيها . « إن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء » ، أى قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم فى عيسى ، إذ جعلوه إلها وربا ، وعندهم من علمه غير ذلك ، غِرة بالله ، وكفراً به . « هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء » ، أى قد كان عيسى ممن صور فى الأرحام ، لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه كما صور غيره من ولد آدم ، فكيف يكون إلها وقد كان بذلك المنزل ، ثم قال تعالى إنزاها لنفسه ، وتوحيدا لها مما جعلوا معه : « لا إله إلا هو العزيز الحكيم » ، العزيز فى انتصاره ممن كفر به إذا شاء ، الحكيم فى حجته وعذره إلى عباده . « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب » ، فيهن حجة الرب ، وعصمة العباد ، ودفع الخصوم والباطل ، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه « وأخر متشابهات » لهن تصريف وتأويل ، ابتلى الله فيهن العباد ، كما ابتلاهم فى الحلال والحرام ، ألا يصرفن إلى الباطل ، ولا يحرفن عن الحق .

يقول عز وجل : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ » ، أى ميل عن الهدى « فيتبعون ما تشابه منه » ، أى ما تصرف منه ، ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا ، لتكون لهم حجة ، ولهم على ما قالوا شبهة « ابتغاء الفتنة » ، أى اللبس « وابتغاء تأويله » . ذلك على ما ركبوا من الضلالة فى قولهم : خلقنا وقضينا . يقول : « وما يعلم تأويله » ، أى الذى به أرادوا ما أرادوا « إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » فكيف يختلف وهو قول واحد ، من رب واحد . ثم ردوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المحكمة التى لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد، واتسق بقولهم الكتاب ، وصدّق بعضه بعضاً ، فنفذت به الحجة ، وظهر به العذر ، وزاح به الباطل ، ودمغ به الكفر . يقول الله تعالى فى مثل هذا : « وما يذّكر » فى مثل هذا « إلا أولوا الألباب . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا » : أى لا تمل قلوبنا ، وإن ملنا بأحداثنا . « وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » . ثم قال : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم » بخلاف ما قالوا « قائما بالقسط » ، أى بالعدل فيما يريد « لا إله إلا هو العزيز الحكيم . إن الدين عند الله الإسلام » ، أى ما أنت عليه يا محمد : التوحيد للرب ، والتصديق

للرسل . « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم » ، أى الذى جاءك ، أى أن الله الواحد الذى ليس له شريك « بغيا بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب . فإن حاجوك » ، أى بما يأتون به من الباطل من قولهم : خلقنا وفعلنا وأمرنا ، فإنما هى شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحق « فقل أسلمت وجهى لله » ، أى وحده « ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين » الذين لا كتاب لهم « أأسلمتم ، فان أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد .

ما نزل من القرآن فيما ابتدعه اليهود والنصارى : ثم جمع أهل الكتابين جميعاً ، وذكر ما أحدثوا وما ابتدعوا ، من اليهود والنصارى ، فقال : « إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس » ، إلى قوله : « قل اللهم مالك الملك » أى رب العباد ، والملك الذى لا يقضى فيهم غيره « تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير » ، أى لا إله غيرك « إنك على كل شىء قدير » ، أى لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك . « تولج الليل فى النهار ، وتولج النهار فى الليل ، وتخرج الحى من الميت ، وتخرج الميت من الحى » بتلك القدرة « وترزق من تشاء بغير حساب » لا يقدر على ذلك غيرك ، ولا يصنعه إلا أنت . أى فإن كنت سلطت عيسى على الأشياء التى بها يزعمون أنه إله ، من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام والخلق للطير من الطين ، والإخبار عن الغيوب ، لأجعله به آية للناس ، وتصديقا له فى نبوته التى بعثته بها إلى قومه ، فإن من سلطانى وقدرتى ما لم أعطه تمليك الملوك بأمر النبوة ، ووضعها حيث شئت ، وإيلاج الليل فى النهار ، والنهار فى الليل ، وإخراج الحى من الميت ، وإخراج الميت من الحى ، ورزق من شئت من بر أو فاجر بغير حساب : فكل ذلك لم أسلط عيسى عليه ، ولم أملكه إياه ، أفلم تكن لهم فى ذلك عبرة وبينة ! أن لو كان ذلك كله إليه ، وهو فى علمهم يهرب من الملوك ، وينتقل منهم فى البلاد ، من بلد إلى بلد .

ما نزل من القرآن فى وعظ المؤمنين وتحذيرهم : ثم وعظ المؤمنين وحذرهم ، ثم قال : « قل إن كنتم تحبون الله » ، أى إن كان هذا من قولكم حقاً ، حباً لله وتعظيما له « فاتبعونى يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم » أى ما مضى من كفركم « والله غفور رحيم ، قل أطيعوا الله والرسول » فأنتم تعرفونه وتجدونه فى كتابكم « فإن تولوا » ، أى على كفرهم « فإن الله لا يحب الكافرين » .

ما نزل فى خلق عيسى وخبر مريم وزكريا : ثم استقبل لهم أمر عيسى عليه السلام ، وكيف كان بدء ما أراد الله به ، فقال : « إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم ، وآل عمران

على العالمين . ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم » . ثم ذكر أمر امرأة عمران ، وقولها : «رب إني نذرت لك ما فى بطنى محرراً » ، أى نذرته فجعلته عتيقا ، تعبُّده لله ، لا ينتفع به لشىء من الدنيا « فتقبل منى إنك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى » ، أى ليس الذكر كالأنثى لما جعلتها محرراً لك نذيرة « وإنى سميتها مريم ، وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » . يقول الله تبارك وتعالى: «فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأنبتها نباتا حسنا ، وكفلها زكريا » بعد أبيها وأمها .

قال ابن هشام : كفلها : ضمها .

قال ابن إسحاق : فذكَّرها باليتم ، ثم قص خبرها وخبر زكريا وما دعا به ، وما أعطاه إذ وهب له يحيى . ثم ذكر مريم ، وقول الملائكة لها : « يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين » . يقول الله عز وجل : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم » ، أى ما كنت معهم « إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم » .

قال ابن هشام : أقلامهم : سهامهم ، يعنى قداحهم التى استهموا بها عليها ، فخرج قدح زكريا فضمها ، فيما قال الحسن بن أبى الحسن البصرى .

كفالة جريج لمريم قال ابن إسحاق : كفلها هاهنا جريج الراهب ، رجل من بنى إسرائيل نجار ، خرج السهم عليه بحملها ، فحملها ، وكان زكريا قد كفلها قبل ذلك ، فأصابت بنى إسرائيل أزمة شديدة ، فعجز زكريا عن حملها ، فاستهموا عليها أيهم يكفلها فخرج السهم على جريج الراهب بكفولها فكفلها . « وما كنت لديهم إذ يختصمون » ، أى ما كنت معهم إذ يختصمون فيها . يخبره بخفى ما كتموا منه من العلم عندهم ، لتحقيق نبوته والحجة عليهم بما يأتيهم به مما أخفوا منه .

ثم قال : « إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم » ، أى هكذا كان أمره ، لا كما تقولون فيه « وجيها فى الدنيا والآخرة » ، أى عند الله « ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » يخبرهم بحالاته التى يتقلب فيها فى عمره ، كتقلب بنى آدم فى أعمارهم ، صغاراً وكباراً ، إلا أن الله خصه بالكلام فى مهده آية لنبوته ، وتعريفا للعباد بمواقع قدرته . «قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ؟ قال كذلك الله يخلق

ما يشاء » ، أى يصنع ما أراد « ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر « إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن » مما يشاء وكيف شاء ، « فيكون » كما أراد .

ثم خبرها بما يريد به ، فقال : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة » التى كانت فيهم من عهد موسى قبله « والإنجيل » ، كتابا آخر أحدثه الله عز وجل إليه لم يكن عندهم إلا ذكره أنه كائن من الأنبياء بعده « ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم » ، أى يحقق بها نبوتى ، أنى رسول منه إليكم « أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله » الذى بعثنى إليكم ، وهو وربكم « وأبرىء الأكمه والأبرص » .

قال ابن هشام : الأكمه : الذى يولد أعمى . قال رؤبة بن العجاج :

هرّجت فارتد ارتداد الأكمه

وجمعه : كمه : قال ابن هشام : هرجت : صحت بالأسد ، وجلبت عليه . وهذا البيت فى أرجوزة له .

« وأحيى الموتى بإذن الله ؛ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، إن فى ذلك لآية لكم » أنى رسول الله من الله إليكم « إن كنتم مؤمنين ، ومصدقا لما بين يدىّ من التوراة » ، أى لما سبقنى عنها « ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » ، أى أخبركم به أنه كان عليكم حراما فتركتموه ، ثم أحله لكم تخفيفاً عنكم ، فتصيبون يسره وتخرجون من تباعاته[1] « وجئتكم بآية من ربكم ، فاتقوا الله وأطيعون ، إن الله ربى وربكم » أى تبريا من الذين يقولون فيه ، واحتجاجا لربه عليهم « فاعبدوه هذا صراط مستقيم » ، أى هذا الذى قد حملتكم عليه وجئتكم به.
« فلما أحس عيسى منهم الكفر » والعدوان عليه ، « قال من أنصارى إلى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله » هذا قولهم الذى أصابوا به الفضل من ربهم « واشهد بأنا مسلمون » لا ما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » أى هكذا كان قولهم وإيمانهم .

رفع عيسى عليه السلام : ثم ذكر سبحانه وتعالى رفعه عيسى إليه حين اجتمعوا لقتله ، فقال : « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » . ثم أخبرهم ورد عليهم فيما أقروا لليهود بصلبه ، كيف رفعه وطهره منهم ، فقال : « إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ ،

---

(١) تباعاته : جمع تبعة : الظلامة .

ومطهرك من الذين كفروا » ، إذ هموا منك بما هموا « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » ، ثم القصة ، حتى انتهى إلى قوله : « ذلك نتلوه عليك » يا محمد « من الآيات والذكر الحكيم » القاطع الفاصل الحق ، الذى لا يخالطه الباطل ، من الخبر عن عيسى ، وعما اختلفوا فيه من أمره ، فلا تقبلن خبراً غيره . « إن مثل عيسى عند الله » فاستمع « كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك » ، أى ما جاءك من الخبر عن عيسى « فلا تكن من الممترين » أى قد جاءك الحق من ربك فلا تمترين فيه ، وإن قالوا : خلق عيسى من غير ذكر ، فقد خلقت آدم من تراب ، بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر ، فكان كما كان عيسى لحما ودما ، وشعراً وبشراً ، فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا . « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم » ، أى من بعد ما قصصت عليك من خبره ، وكيف كان أمره ، « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .

قال ابن هشام : قال أبو عبيدة : نبتهل : ندعو باللعنة ، قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

لاتقعدن وقد أكلتها حطبا نعوذ من شرها يوما ونبتهل

وهذا البيت فى قصيدة له . يقول : ندعو باللعنة . وتقول العرب : بهل الله فلانا ، أى لعنه ، وعليه بهلة الله . قال ابن هشام : ويقال : بُهلة الله ، أى لعنة الله ؛ ونبتهل أيضا : نجتهد فى الدعاء .

قال ابن إسحاق : « إن هذا » الذى جئت به من الخبر عن عيسى « لهو القصص الحق » من أمره « وما من إله إلا الله ، وإن الله لهو العزيز الحكيم ، فإن تولوا ، فإن الله عليم بالمفسدين . قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » . فدعاهم إلى النصف ، وقطع عنهم الحجة .

إباؤهم الملاعنة : فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عنه ، والفصل من القضاء بينه وبينهم ، وأمر بما أمر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك ؛ فقالوا له : يا أبا القاسم ، دعنا ننظر فى أمرنا ، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه . فانصرفوا عنه ، ثم خلوا بالعاقب ، وكان ذا رأيهم ، فقالوا : يا عبد المسيح ، ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبى مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ،

ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم ، فوادعوا الرجل ، ثم انصرفوا إلى بلادكم . فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا الا نلاعنك ، وأن نتركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجـــلا من أصحابك ترضاه لنا ، يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضاً .

أبو عبيدة يتولى أمرهم : قال محمد بن جعفر : فقال رسول الله صلى الله عليه وســلم : ائتونى العشية أبعث معكم القوى الأمين . قال : فكان عمر بن الخطاب يقول : ما أحببت الإمارة قط حبى إياها يومئذ ، رجاء أن أكون صاحبها ، فرحت إلى الظهر مهجراً ، فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر سلم ، ثم نظر عن يمينه وعن يساره ، فجعلت أتطاول له ليرانى ، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح ، فدعاه فقال : اخرج معهم ، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه ، قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة .

أخبار عن المنافقين

قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة — كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة — وسيد أهلها عبد الله بن أبىّ بن سلول العوفى ثم أحد بنى الحبلى ، لا يختلف عليه فى شرفه من قومه اثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين - حتى جاء الإسلام - غيره ، ومعه فى الأوس رجل ، هو فى قومه من الأوس شريف مطاع ، أبو عامر عبد عمرو بن صيفى بن النعمان ، أحد بنى ضبيعة بن زيد ، وهو أبو حنظلة الغسيل يوم أحد ، وكان قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح ، وكان يقال له : الراهب . فشقيا بشرفهما وضرهما .

فأما عبد الله بن أبى فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم ، فجاءهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم ، وهم على ذلك . فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن ، ورأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه ملكا . فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارها مصراً على نفاق وضغن .

وأما أبو عامر فأبى إلا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام ، فخرج منهم إلى مكة ببضعة عشر رجلا مفارقا للإسلام ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم - كما حدثنى محمد بن أبى أمامة عن بعض آل حنظلة بن أبى عامر - : لاتقولوا : الراهب ، ولكن قولوا : الفاسق .

قال ابن إسحاق : وحدثنى جعفر بن عبد الله بن أبى الحكم ، وكان قد أدرك وسمع ، وكان راوية : أن أبا عامر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة ، قبل أن يخرج إلى مكة فقال : ما هذا الدين الذى جئت به ؟ فقال : جئت بالحنيفية دين إبراهيم ، قال : فأنا عليها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك لست عليها ، قال . بلى قال : إنك أدخلت يا محمد فى الحنيفية ما ليس منها قال . ما فعلتُ ، ولكنى جئت بها بيضاء نقية ، قال : الكاذب أماته الله طريداً غريبا وحيداً — يعرّض برسول الله صلى الله عليه وسلم — أى أنك جئت بها كذلك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل ، فمن كذب ففعل الله تعالى ذلك به ؛ فكان هو ذلك عدو الله ، خرج إلى مكة ، فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة خرج إلى الطائف . فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام . فمات بها طريداً غريبا وحيداً .

وكان قد خرج معه علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وكنانة ابن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفى ، فلما مات اختصما فى ميراثه إلى قيصر ، صاحب الروم . فقال قيصر : يرث أهلُ المدر أهلَ المدر [1] ، ويرث أهل الوبر أهل الوبر [2] ، فورثه كنانة بن عبد ياليل بالمدر دون علقمة .

قال كعب بن مالك لأبى عامر فيما صنع :

معاذ الله من عمـــل خبيث ... كسعيك فى العشيرة عبد عمرو

فإما قلتَ لى شرف ونخـــل ... فقـــدما بعت إيمانا بكفر

قال ابن هشام ويروى :

فإما قلت لى شرف ومال

قال ابن إسحاق : وأما عبد الله بن أبى فأقام على شرفه فى قومه متردداً حتى غلبه الإسلام ، فدخل فيه كارها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن مسلم الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن أسامة بن زيد

---

(١) أهل المدر : من يسكنون المدن .

(٢) أهل الوبر : من يسكنون الخيام .

ابن حارثة ، يخب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن عبادة يعوده من شكو أصابه على حمار عليه إكاف [١] ، فوقه قطيفة فدكية [٢] ، مختطمه [٣] بحبل من ليف ، وأردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه : قال : فمر بعبد الله ابن أبى ، وهو فى ظل مزاحم أطمه [٤].

قال ابن هشام : مزاحم : اسم الأطم .

قال ابن إسحاق : وحوله رجال من قومه. فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تذمم [٥] من أن يجاوزه حتى ينزل فنزل فسلم ثم جلس قليلا فتلا القرآن ودعا إلى الله عزّ وجل ، وذكر بالله وحذر ، وبشر وأنذر قال : وهو زام لا يتكلم ، حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالته ، قال : ياهذا ، إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقا فاجلس فى بيتك فمن جاءك له فحدثه إياه ، ومن لم يأتك فلا تغتَّه [٦] به ، ولا تأته فى مجلسه بما يكره منه : قال : فقال عبد الله بن رواحة فى رجال كانوا عنده من المسلمين : بلى ، فاغشنا به ، وائتنا فى مجالسنا ودورنا وبيوتنا ، فهو والله مما نحب ، ومما أكرمنا الله به وهدانا له ، فقال عبد الله بن أبى حين رأى من خلاف قومه ما رأى :

متى مايكن مولاك خصمك لاتزل تذل ويصرعك الذين تصارع

وهل ينهض البازى بغير جناحه وإن جذ يوما ريشه فهو واقع

قال ابن هشام : البيت الثانى عن غير ابن اسحاق .

قال ابن اسحاق : وحدثنى الزهرى، عن عروة بن الزبير ، عن أسامة ، قال وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على سعد بن عبادة ، وفى وجهه ماقال عدو الله ابن أبى ، فقال : والله يارسول الله إنى لأرى فى وجهك شيئا ، لكأنك سمعت شيئا تكرهه ؛ قال أجل ، ثم أخبره بما قال ابن أبى : فقال سعد : يارسول الله . ارفق به . فوالله لقد جاءنا الله بك . وإنا لننظم له الخرز لنتوجه . فوالله إنه ليرى أن قد سلبته ملكا .

(١) الإكاف : برذعة الحمار (٢) منسوبة إلى فدك قرية بالحجاز .
(٣) الخطام حبل يجعل على أنف الدابة تمسك به . (٤) الأطم : الحصن .
(٥) تذمم : استحيا . (٦) غته : ثقل عليه .

ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة . وعمر بن عبد الله بن عروة . عن عروة بن الزبير . عن عائشة رضى الله عنها . قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . قدمها وهى أوبأ أرض الله من الحمى . فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم . فصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم . قالت فكان أبو بكر . وعامر بن فهيرة . وبلال . موليا أبى بكر . مع أبى بكر فى بيت واحد . فأصابتهم الحمى . فدخلت عليهم أعودهم . وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدة الوعك . فدنوت من أبى بكر . فقلت له : كيف تجدك يا أبت ؟ فقال :

كل امرىء مصبح فى أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

قالت : فقلت . والله مايدرى أبى ما يقول : قالت : ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت له كيف تجدك ياعامر ؟ فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه ... إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرىء مجاهد بطوقه ... كالثور يحمى جلده بروقه[1]

بطوقه يريد : بطاقته . فيما قال ابن هشام : قالت : فقلت والله مايدرى عامر ما يقول ! قالت : وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بفخ وحولى إذخر وجليل[2]

وهل أردن يوما مياه مجنة ... وهل يبدون لى شامة وطفيل[3]

قال ابن هشام : شامة وطفيل : جبلان بمكة .

دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم بنقل وباء المدينة إلى مهيعة : قالت عائشة رضى الله عنها : فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم . فقلت : إنهم ليهذون ومايعقلون من شدة الحمى . قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت

---

(١) روقه : قرنه . (٢) فخ : موضع خارج مكة والإذخر نبات يظهر بمكة طيب الرائحة والجليل نوع من النبات وهو ما يسمونه الثمام .

(٣) المجنة : اسم سوق للعرب فى الجاهلية .

إلينا مكة . أو أشد . وبارك لنا فى مدها وصاعها وانقل وباءها إلى مهيعة ، ومهيعة . الجحفة .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى . عن عبد الله بن عمرو بن العاص : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة . حتى جهدوا مرضا . وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم . حتى كانوا ما يصلون إلا وهم قعود . قال : فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يصلون كذلك . فقال لهم : اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم . قال: فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماسَ الفضل .

بدء قتال المشركين : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيأ لحربه قام فيما أمره الله به من جهاد عدوه . وقتال من أمره الله به ممن يليه من المشركين . مشركى العرب . وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة .

تاريخ الهجرة

بالإسناد المتقدم عن عبد الملك بن هشام . قال . حدثنا زياد بن عبد الله البكائى . عن محمد ابن إسحاق المطلبى . قال . قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين . حين اشتد الضحاء . وكادت الشمس تعتدل . لثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول . وهو التاريخ . فيما قال ابن هشام .

قال ابنَ إسحاق . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة . وذلك بعد أن بعثه الله عز وجل بثلاث عشرة سنة . فأقام بها بقية شهر ربيع الأول . وشهر ربيع الآخر . وجمادَيين . ورجبا . وشعبان ، وشهر رمضان ؛ وشوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة — وولى تلك الحجة المشركون — والمحرم ، ثم خرج غازيا فى صفر على رأس اثنى عشر شهرا من مقدمه المدينة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعد بن عبادة .

غزوة ودان

وهى أول غزواته عليه الصلاة والسلام

قال بن إسحاق : حتى بلغ ودان ، وهى غزوة الأبواء ، يريد قريشا وبنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادعته فيها بنو ضمرة وكان الذى وادعه منهم عليهم مخشى بن عمرو الضمرى

وكان سيدهم فى زمانه ذلك . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ولم يلق كيداً فأقام بها بقية صفر ، وصدراً من شهر ربيع الأول .

قال ابن هشام : وهى أول غزوة غزاها .

سرية عبيدة بن الحارث
وهى أول راية عقدها عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى فى ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز ، بأسفل ثنية المرة ، فلقى بها جمعا عظيما من قريش فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمى به فى الإسلام .

ثم انصرف القوم عن القوم ، وللمسلمين حامية . وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد ابن عمرو البهرانى ، حليف بنى زهرة ، وعتبة بن غزوان بن جابر المازنى ، حليف بنى نوفل بن عبد مناف ، وكانا مسلمين ، ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار . وكان على القوم عكرمة بن أبى جهل .

قال ابن هشام : حدثنى ابن أبى عمرو بن العلاء ، عن أبى عمرو المدنى : أنه كان عليهم مكرز ابن حفص بن الأخيف ، أحد بنى معيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر .

قال ابن إسحاق : فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فى غزوة عبيدة بن الحارث . قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لأبى بكر[1] رضى الله عنه — :

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث ... ارقت وأمر فى العشيرة حادث[2]

ترى من لؤى فرقة لا يصدها ... عن الكفر تذكير ولا بعث باعث

---

(١) ويشهد لصحة من أنكر أن تكون له ، ماروى عبدالرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : «كذب من أخبركم أن أبا بكر قال بيت شعر فى الإسلام» ، رواه البخارى عن أبى المتوكل عن عبد الرزاق .

(٢) الدمائث : ما لان من الرمل .

رسول أتاهم صادق فتكذبوا عليه وقالوا : لست فينا بماكث

إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا وهروا هرير المجحرات اللواهث(١)

فكم قد متتنا فيهم بقرابة وترك التقى شىء لهم غير كارث(٢)

فإن يرجعوا عن كفرهم وعقوقهم فما طيبات الحل مثل الخبائث

وإن يركبوا طغيانهم وضلالهم فليس عذاب الله عنهم بلابث

ونحن أناس من ذؤابة غالب لنا العز منها فى الفروع الأثائث(٣)

فأولى برب الراقصات عشية حراجيج تحدى فى السريح الرثائث(٤)

كأدم ظباء حول مكة عكف يردن حياض البئر ذات النبائث(٥)

لئن لم يفيقوا عاجلا من ضلالهم ولست إذا آليت قولا بحانث

لتبتدرنهم غارة ذات مصدق تحرم أطهار النساء الطوامث

تغادر قتلى تعصب الطير حولهم ولا ترأف الكفار رأف ابن حارث(٦)

فابلغ بنى سهم لديك رسالة وكل كفور يبتغى الشر باحث

فإن تشعثوا عرضى على سوء رأيكم فإنى من أعراضكم غير شاعث(٧)

فأجابه عبد الله بن الزبعرى السهمى ، فقال :

أمن رسم دار أقفرت بالعثاعث بكيت بعين دمعها غير لابث(٨)

---

(١) هروا : وثبوا . والمجحرات : الملجئات إلى مواضعها .

(٢) متتنا : اتصلنا ، والكارث : المحزن .

(٣) الأثائث : المجتمعة .

(٤) أولى : أحلف ، والراقصات الإبل الراقصة وهو نوع من المشى لها ، والحراجيج الطوال . والسريح ما يربط فى أخفاف الإبل مخافة أن تصيبها الحجارة . والرثائث : البالية .

(٥) الظباء الأدم : التى ظهورها سود وبطونها بيض ، والنبائث مايخرج من تراب البئر عند حفره .

(٦) تعصب : تجتمع ، وابن حارث : هو عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب .

(٧) تشعثوا : تفرقوا . (٨) العثاعث : أقاع لاتنبت شيئاً .

ومن عجب الأيام والدهر كله ... له عجب من سابقات وحادث

لجيش أتانا ذى عرام يقوده ... عبيدة يُدعى فى الهياج ابن حارث[١]

لنترك أصناما بمكة عُكفا ... مواريث موروث كريم لوارث

فلما لقيناهم بسمر رُدينية ... وجُرد عتاق فى العجاج لواهث[٢]

وبيض كأن الملح فوق متونها ... بأيدى كماة كالليوث العوائث[٣]

نقيم بها إصعار من كان مائلا ... ونشفى الذحول عاجلا غير لابث[٤]

فكفوا على خوف شديد وهيبة ... وأعجبهم أمر لهم أمر رائث[٥]

ولو أنهم لم يفعلوا ناح نسوة ... أيامى لهم ، من بين نسء وطامث[٦]

وقد غودرت قتلى يخبِّر عنهم ... حفى بهم أو غافل غير باحث[٧]

فأبلغ أبا بكر لديك رسالة ... فما أنت عن أعراض فهر بماكث

ولما تجب منى يمين غليظة ... تجدد حربا حلفة غير حانث

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحداً ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابن الزبعرى .

قال ابن إسحاق : وقال سعد بن أبى وقاص فى رميته تلك فيما يذكرون :

ألا هل أتى رسول الله أنى ... حميت صحابتى بصدور نبلى

أذود بها أوائلهم ذياداً ... بكل حزونة وبكل سهل[٨]

---

(١) ذو عرام : ذو شدة .

(٢) السمر الردينية : الرماح المنسوبة إلى ردينة امرأة كانت تثقف الرماح . والجرد : السريعة ، والعجاج : الغبار .

(٣) العوائث . المفسدات .

(٤) الإصعار . الميل . والذحول . طلب الثأر .

(٥) الرائث . المتمهل فى الأمور .

(٦) النسء . التى تأخر حيضها مظنة الحمل .   (٧) الحفى : المهتم .

(٨) الحزونة . الأرض الوعرة : والسهل ما انبسط من سطح الأرض .

فما يعتدْ رامٍ فى عدو ... بسهم يارسول الله قبلى
وذلك أن دينك دين صدق ... وذو حق أتيت به وعدل
يُنجى المؤمنون به ، ويجزى ... به الكفار عند مقام مَهل(١)
فهلا قد غويت فلا تعبنى ... غوىّ الحى ويحك يابن جهل(٢)

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد .

قال ابن إسحاق : فكانت راية عبيدة بن الحارث — فيما بلغنى — أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الإسلام ، لأحد من المسلمين . وبعض العلماء يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء ، قبل أن يصل إلى المدينة .

سرية حمزة إلى سيف البحر

وبعث فى مقامه ذلك ، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، إلى سيف البحر ، من ناحية العيص فى ثلاثين راكبا من المهاجرين ، وليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل فى ثلاث مئة راكب من أهل مكة . فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى . وكان موادعا للفريقين جميعا ، فانصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال .

وبعض الناس يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين . وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معا ، فشبه ذلك على الناس . وقد زعموا أن حمزة قد قال فى ذلك شعراً يذكر فيه أن رايته أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان حمزة قد قال ذلك ، فقد صدق إن شاء الله ، لم يكن يقول إلا حقاً ، فالله أعلم أى ذلك كان ، فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا . فعبيدة بن الحارث أول من عقد له . فقال حمزة فى ذلك ، فيما يزعمون :

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لحمزة رضى الله عنه :

ألا يالقومى للتحلم والجهل ... وللنقص من رأى الرجال وللعقل

---

(١) مهل . تثبّت .

(٢) ابن جهل . يريد عكرمة بن أبى جهل .

والراكبينا بالمظالم لم نطأ ... لهم حرمات من سوام ولا أهل[1]

كأنا تبلناهم ولا تَبْلُ عندنا ... لهم غير أمر بالعفاف وبالعدل[2]

وأمر بإسلام فلا يقبلونه ... وينزل منهم مثل منزلة الهزل

فما برحوا حتى انتدبتُ لغارة ... لهم حيث حلوا ابتغى راحة الفضل

بأمر رسول الله ، أول خافق ... عليه لواء لم يكن لاح من قبلى

لواء لديه النصر من ذى كرامة ... إله عزيز فعله أفضل الفعل

عشية ساروا حاشدين وكلنا ... مراجله من غيظ أصحابه تغلى[3]

فلما تراءينا أناخوا فعقّلوا ... مطايا وعقلنا مدى غرض النّبل[4]

فقلنا لهم : حبل الإله نصيرنا ... وما لكم إلا الضلالة من حبل

فثارَ أبو جهل هنالك باغيا ... فخاب ورد الله كيد أبى جهل

وما نحن إلا فى ثلاثين راكبا ... وهم مئتان بعد واحدة فضل

فيالَلؤى لاتطيعوا غواتكم ... وفيئوا إلى الإسلام والمنهج السهل

فإنى أخاف أن يصب عليكم ... عذاب فتدعوا بالندامة والثكل

فأجابه أبو جهل بن هشام ، فقال :

عجبت لأسباب الحفيظة والجهل ... وللشاغبين بالخلاف وبالبُطل

وللتاركين ما وجدنا جدودنا ... عليه ذوى الأحساب والسؤدد الجزل

أتونا بإفك كى يضلوا عقولنا ... وليس مضلا إفكهُم عقلَ ذى عقل

فقلنا لهم : يا قومنا لا تخالفوا ... على قومكم إن الخلاف مدى الجهل

فإنكم إن تفعلوا تدع نسوة ... لهن بواك بالرزية والثُّكل

---

(١) السوام : الإبل السائمة وهى المتروكة فى المرعى .

(٢) تبلناهم : عاديناهم . (٣) المراجل : قدور النحاس .

(٤) أى أناخوا إبلهم بالقرب من بعض فأصبحت المسافة بينهما مرمى النبل .

وإن ترجعوا عما فعلتم فإننا ... بنو عمكم أهل الحفائظ والفضل

فقالوا لنا : إنا وجدنا محمداً ... رضاً لذوى الأحلام منا وذى العقل

فلما أبوا إلا الخلاف وزينوا ... جماع الأمور بالقبيح من الفعل

تيممتهم بالساحلين بغارة ... لأتركهم كالعصف ليس بذى أصل[1]

فورعنى مجدى عنهم وصحبتى ... وقد وازرونى بالسيوف وبالنبل[2]

لإلٍّ علينا واجب لا نضيعه ... أمين قواه غير منتكث الحبل[3]

فلولا ابن عمرو كنت غادرت منهم ... ملاحم للطير العكوف بلا تبل

ولكنه آلى بإلٍّ فقلصت ... بأيماننا حد السيوف عن القتل

فإن تبقنى الأيام أرجع عليهم ... ببيض رقاق الحد محدثة الصقل

بأيدى حماة من لؤى بن غالب ... كرام المساعى فى الجدوبة والمحل

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لأبى جهل .

غزوة بواط

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول يريد قريشا

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بواط[4] ، من ناحية رضوى ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى .

غزوة العشيرة[5]

ثم غزا قريشا ، فاستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، فيما قال ابن هشام .

---

(١) العصف : ورق الزرع الأصفر ، أو القطع الدقيقة من التبن ونحوه .

(٢) ورعنى : كفنى ومنعنى . ومجدى هو : ابن عمرو الجهنى .

(٣) الإل : العهد . (٤) بواط : جبلان فرعان لأصل واحد ، أحدهما : جلسى ، والآخر غورى وفى الجلسى بنو دينار ، ينسبون إلى دينار مولى عبد الملك بن مروان .

(٥) ويقال فيها أيضاً العسيرة والعسيراء وفى البخارى أن قتادة سئل عنها فقال العشير .

قال ابن إسحاق: فسلك على نقب بنى دينار، ثم على فيفاء الخبار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر، يقال لها: ذات الساق، فصلى عندها. فثم مسجده صلى الله عليه وسلم، وصنع له عندها طعام، فأكل منه، وأكل الناس معه، فموضع أثافى البرمة معلوم هنالك، واستقى له من ماء به، يقال له: المشترب، ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فترك الخلائق بيسار، وسلك شعبة يقال لها: شعبة عبد الله، وذلك اسمها اليوم، ثم صب لليسار حتى هبط يليل، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة، واستقى من بئر بالضبوعة، ثم سلك الفرش: فرش ملل، حتى لقى الطريق بصحيرات اليمام، ثم اعتدل به الطريق، حتى نزل العشيرة من بطن ينبع. فأقام بها جمادى الأولى وليالى من جمادى الآخرة، وادع فيها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.

وفى تلك الغزوة قال لعلىّ بن أبى طالب عليه السلام ما قال.

قال ابن إسحاق: فحدثنى يزيد بن محمد بن خثيم المحاربى، عن محمد بن كعب القرظىّ عن محمد بن خيثم أبى يزيد، عن عمار بن ياسر، قال: كنت أنا وعلىّ بن أبى طالب رفيقين فى غزوة العشيرة؛ فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بها؛ رأينا أناسا من بنى مدلج يعملون فى عين لهم وفى نخل فقال لى على بن أبى طالب: يا أبا اليقظان، هل لك فى أن تأتى هؤلاء القوم، فننظر كيف يعملون؟ قال: قلت: إن شئت؛ قال: فجئناهم، فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشينا النوم. فانطلقت أنا وعلى حتى اضطجعنا فى صور من النخل[1]، وفى دقعاء[2] من التراب فنمنا، فوالله ما أهبنا[3] إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركنا برجله. وقد تتربنا من تلك الدقعاء التى نمنا فيها، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب: مالك يا أبا تراب؟ لما يرى عليه من التراب، ثم قال: ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟ قلنا: بلى يا رسول الله؛ قال: أحيمر ثمود[4] الذى عقر الناقة، والذى يضربك يا على على هذه — ووضع يده على قرنه — حتى يبل منها هذه. وأخذ بلحيته.

قال ابن إسحاق: وقد حدثنى بعض أهل العلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما سمى

---

(١) صور من النخل: صغار منها. (٢) الدقعاء: مالان من التراب.

(٣) أهبنا: أيقظنا.

(٤) هو قدار أو قذار بن سالف وأمه قديرة وهو من التسعة رهط الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون المذكورين فى سورة النمل.

عليا أبا تراب : أنه كان إذا عتب على فاطمة فى شىء لم يكلمها ، ولم يقل لها شيئاً تكرهه ، إلا أنه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه . قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عليه التراب عرف أنه عاتب على فاطمة ، فيقول مالك : يا أبا تراب ؟ فالله أعلم أى ذلك كان .

سرية سعد بن أبى وقاص

قال ابن إسحاق : وقد كان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين ذلك من غزوة سعد ابن أبى وقاص ، فى ثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرّار من أرض الحجاز ، ثم رجع ولم يلق كيداً .

قال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة .

غزوة سفوان

وهى غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق : ولم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة إلا ليالى قلائل لا تبلغ العشر ، حتى أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه ، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة ، فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحاق : حتى بلغ واديا ، يقال له : سفوان ، من ناحية بدر ، وفاته كرز بن جابر ، فلم يدركه ، وهى غزوة بدر الأولى . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأقام بها بقيه جمادى الآخرة ورجبا وشعبان .

سرية عبد الله بن جحش

ونزول : « يسئلونك عن الشهر الحرام »

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدى فى رجب ، مقفله من بدر الأولى ، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ، فيمضى لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحداً .

وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين . ثم من بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ؛ ومن حلفائهم : عبد الله بن جحش ، وهو أمير القوم ، وعكاشة بن محصن بن حرثان ، أحد بنى أسد بن خزيمة ، حليف لهم . ومن بنى نوفل ابن عبد مناف : عتبة بن غزوان بن جابر ، حليف لهم . ومن بنى زهرة بن كلاب : سعد بن أبى وقاص . ومن بنى عدى بن كعب: عامر بن ربيعة ، حليف لهم من عنز بن وائل ، وواقد ابن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع ، أحد بنى تميم ، حليف لهم ، وخالد ابن البكير ، أحد بنى سعد بن ليث ، حليف لهم . ومن بنى الحارث بن فهر : سهيل بن بيضاء .

فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب ، فنظر فيه فإذا فيه : إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم . فلما نظر عبد الله بن جحش فى الكتاب ، قال : سمعا وطاعة ؛ ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضى إلى نخلة ، أرصد بها قريشاً ، حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهانى أن أستكره أحداً منكم . فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ؟ فأما أنا فماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمضى ومضى معه أصحابه ، لم يتخلف عنه منهم أحد .

وسلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمعدن ، فوق الفرع ، يقال له : بحران ، أضل سعد بن أبى وقاص ، وعتبة بن غزوان بعيراً لهما ، كانا يعتقبانه . فتخلفا عليه فى طلبه . ومضى عبد الله ابن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وأدما ، وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو بن الحضرمى .

قال ابن هشام : واسم الحضرمى : عبد الله بن عبّاد ، ويقال : مالك بن عباد أحد الصدف ، واسم الصدف : عمرو بن مالك ، أحد السّكون بن أشرس بن كندة ، ويقال : كندى .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان ، والحكم بن كيسان ، مولى هشام بن المغيرة .

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عكاشة بن محصن ، وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقالوا : عمّار ، لا بأس عليكم منهم . . وتشاور القوم فيهم وذلك فى آخر يوم من رجب فقال القوم والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم ، فليمتنعن منكم به ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام ؛ فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم . فرمى واقد بن عبد الله

التميمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان؛ وأفلت القوم نوفلُ بن عبد الله فأعجزهم . وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير وبالأسيرين، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش : أن عبد الله قال لأصحابه : إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما غنمنا الخمس وذلك قبل أن يفرض الله تعالى الخمس من المغانم — فعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس العير ، وقسم سائرها بين أصحابه .

قال ابن إسحاق ؛ فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ قال : ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام . فوقف العير والأسيرين . وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً ؛ فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط فى أيدى القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا . وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال ؛ فقال من يرد عليهم من المسلمين ، ممن كان بمكة : إنما أصابوا فى شعبان .

وقالت يهود — تفاءلُ بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم — عمرو بن الحضرمى قتله واقد ابن عبدالله ، عمرو ، عمرت الحرب . والحضرمى : حضرت الحرب ، وواقد بن عبدالله وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم .

فلما أكثر الناس فى ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : « يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عندالله » أى إن كنتم قتلتم فى الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله ، أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم « والفتنة أكبر من القتل » أى قد كانوا يفتنون المسلم فى دينه ، حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عندالله من القتل « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » : أى ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه ، غير تائبين ولا نازعين . فلما نزل القرآن بهذا من الأمر ، وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين ، وبعثت إليه قريش فى فداء عثمان بن عبدالله والحكم بن كيسان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا نفديكموها حتى يقدم صاحبانا — يعنى سعد بن أبى وقاص ، وعتبة بن غزوان — فإنا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما ، نقتل صاحبيكم . فقدم سعد وعتبة فأفداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم .

فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى

قتل يوم بئر معونة شهيدا . وأما عثمان بن عبدالله فلحق بمكة ، فمات بها كافراً .

فلما تجلى عن عبدالله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن ، طمعوا فى الأجر ، فقالوا : يارسول الله : أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله عز وجل فيها : « إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم » ، فوضعهم الله عز وجل من ذلك على أعظم الرجاء .

والحديث فى هذا عن الزهرى ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير .

قال ابن إسحاق : وقد ذكر بعض آل عبدالله بن جحش : أن الله عز وجل قسم الفىء حين أحله ، فجعل أربعة أخماس لمن أفاءه الله ، وخمسا إلى الله ورسوله ، فوقع على ما كان عبدالله ابن جحش صنع فى تلك العير .

قال ابن هشام : وهى أول غنيمة غنمها المسلمون . وعمرو بن الحضرمى أول من قتله المسلمون ، وعثمان بن عبدالله ، والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون .

قال ابن إسحاق : فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى غزوة عبدالله بن جحش ، ويقال : بل عبدالله بن جحش قالها ، حين قالت قريش : قد أحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال ، وأسروا فيه الرجال - قال ابن هشام : هى لعبد الله بن جحش :

تعدون قتـلا فى الحرام عظيمة ... وأعظم منـه لو يرى الرشد راشد

صدودكم عمـا يقول محمد ... وكفر به والله راء وشاهد

وإخراجكم من مسجد الله أهله ... لئلا يرى لله فى البيت ساجد

فإنا وإن عيرتمونا بقتله ... وأرجف بالإسلام باغ وحاسد

سقينا من ابن الحضرمى رماحنا ... بنخلة لما أوقـد الحرب واقد

دما وابن عبدالله عثمان بيننا ... ينازعه غل من القـد عاند[1]

صرف القبلة إلى الكعبة

قال ابن إسحاق : ويقال : صرفت القبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

---

(١) القد : شرك من جلد ، والعاند : السائل بالدم غير المنقطع .

غزوة بدر الكبرى[1]

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبى سفيان بن حرب مقبلا من الشأم فى عير لقريش عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم وفيها ثلاثون رجلا من قريش أوأربعون ، منهم مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ،وعمرو ابن العاص بن وائل بن هشام .

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن مسلم الزهرى ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبدالله بن أبى بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس ، كل قد حدثنى بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقته من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى سفيان مقبلا من الشام ، ندب المسلمين إليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجو إليها لعل الله ينفلكموها . فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس[2] الأخبار ويسأل من لقى من الركبان تخوفا على أمر الناس . حتى أصاب خبرا من بعض الركبان : أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك . فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتى قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها فى أصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة .

رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب : قال ابن إسحاق : فأخبرنى من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قالا : وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب ، قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال ، رؤيا أفزعتها . فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب

---

(١) بدر : اسم بئر حفرها رجل من غفار ، ثم من بنى النار منهم ، اسمه : بدر ، وقيل : هو بدر بن قريش بن يخلد الذى سميت قريش به . وروى يونس عن ابن أبى زكريا عن الشعبى قال بدر : اسم رجل كانت له بدر .

(٢) التحسس بالحاء . أن تتسمع الأخبار بنفسك ، والتجسس بالجيم : هو أن تفحص عنها بغيرك ، وفى الحديث « لا تجسسوا ، ولا تحسسوا » .

فقالت له : يا أخى ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتنى ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاكتم عنى ما أحدثك به ؛ فقال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا لغُدر لمصارعكم فى ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مثل به[١] بعيره على ظهر الكعبة ، صرخ بمثلها : ألا انفروا يا لغدر لمصارعكم فى ثلاث : ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس ، فصرخ بمثلها . ثم أخذ صخرة فأرسلها . فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت[٢] ، فما بقى بيت من بيوت مكة ، ولا دار إلا دخلتها منها فلقة ؛ قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنت فاكتميها ، ولا تذكريها لأحد .

ثم خرج العباس ، فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان له صديقا ، فذكرها له ، واستكتمه إياها . فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث بمكة ، حتى تحدثت به قريش فى أنديتها .

قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رآنى أبو جهل قال : يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا ؛ فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم ، فقال لى أبو جهل : يا بنى عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ قال . قلت : وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التى رأت عاتكة ؛ قال : فقلت : وما رأت ؟ قال : يا بنى عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ، قد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال : انفروا فى ثلاث ، فسنتربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقا ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شىء ، نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت فى العرب . قال العباس : فوالله ما كان منى إليه كبير ، إلا أنى جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأت شيئاً . قال : ثم تفرقنا .

فلما أمسيت ، لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب ألا أتتنى ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غير لشىء مما سمعت ، قال : قلت : قد والله فعلت ، ما كان منى إليه من كبير . وايم الله لأتعرضن له ، لأكفينكنه .

قال : فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضب أرى أنى قد فاتنى منه

---

(١) مثل به : قام به   (٢) ارفضت : تفتتت .

أمر أحب أن أدركه منه . قال : فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إنى لأمشى نحوه أتعرضه ، ليعود لبعض ما قال فأقع به ، وكان رجلا خفيفاً ، حديد الوجه ، حديد اللسان ، حديد النظر . قال : إذ خرج نحو باب المسجد يشتد . قال : فقلت فى نفسى : ماله لعنه الله ، أكل هذا فَرَق منى أن أشاتمه ! قال : وإذا هو قد سمع ما لم أسمع : صوت ضمضم بن عمرو الغفارى ، وهو يصرخ ببطن الوادى واقفاً على بعيره ، قد جدّع بعيره[1] ، وحول رحله ، وشق قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة[2] أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث . قال : فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الأمر .

قريش تتجهز للخروج : فتجهز الناس سراعا ، وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى ، كلا والله ليعلمن غير ذلك . فكانوا بين رجلين ، إما خارج وإما باعث مكانه رجلا . وأوعبت قريش ، فلم يتخلف من أشرافها أحد .

إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلف ، وبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة وكان قد لاط[3] له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها ، فاستأجره بها على أن يجزئ عنه بعثه فخرج عنه ، وتخلف أبو لهب .

قال ابن إسحاق . وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح : أن أمية بن خلف كان أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلا جسيما ثقيلا ، فأتاه عقبة بن أبى معيط ، وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى قومه ، بمجمرة يحملها ، فيها نار ومجمر ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا على ، استجمر فإنما أنت من النساء ؛ قال : قبحك الله وقبح ما جئت به ؛ قال : ثم تجهز فخرج مع الناس .

ماوقع بين قريش وكنانة من الحرب : قال ابن إسحاق : ولما فرغوا من جهازهم ، وأجمعوا المسير ، ذكروا ما كان بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا ، وكانت الحرب التى كانت بين قريش وبين بنى بكر — كما حدثنى بعض بنى عامر بن لؤى ، عن محمد بن سعيد بن المسيب — فى ابن لحفص بن الأخيف ، أحد بنى

---

(١) جدع بعيره : قطع أنفه .

(٢) اللطيمة : الإبل التى تحمل البز والطيب .

(٣) لاط : احتبس .

مَعيص بن عامر بن لؤى ، خرج يبتغى ضالة له بضجنان ، وهو غلام حدث فى رأسه ذؤابة ، وعليه حلة له ، وكان غلاما وضيئا نظيفا ، فمر بعامر بن يزيد بن عامر بن الملوح ، أحد بنى يعمر ابن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وهو بضجنان ، وهو سيد بنى بكر يومئذ ، فرآه فأعجبه ؛ فقال : من أنت يا غلام ؟ قال : أنا ابن لحفص بن الأخيف القرشى . فلما ولى الغلام ، قال عامر بن زيد : يا بنى بكر ، مالكم فى قريش من دم ؟ قالوا : بلى والله ، إن لنا فيهم لدماء ؛ قال : ماكان رجل ليقتل هذا الغلام برجله إلا كان قد استوفى دمه . قال : فتبعه رجل من بنى بكر ، فقتله بدم كان له فى قريش ؛ فتكلمت فيه قريش ، فقال عامر بن يزيد : يا معشر قريش قد كانت لنا فيكم دماء ، فما شئتم . إن شئتم فأدوا علينا مالنا قبلكم ، ونؤدى مالكم قبلنا ، وإن شئتم فإنما هى الدماء : رجل برجل ، فتجافوا عما لكم قِبلنا ، ونتجافى عما لنا قبلكم ، فهان ذلك الغلام على هذا الحى من قريش ، وقالوا : صدق ، رجل برجل . فلهوا عنه ، فلم يطلبوا به .

قال : فبينما أخوه مكرز بن حفص بن الأخيف يسير بمر الظهران ، إذ نظر إلى عامر بن يزيد ابن الملوح على جمل له ، فلما رآه أقبل إليه حتى أناخ به ، وعامر متوشح سيفه ، فعلاه مكرز بسيفه حتى قتله ، ثم خاض بطنه بسيفه ؛ ثم أتى به مكة ، فعلقه من الليل بأستار الكعبة . فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد بن عامر معلقا بأستار الكعبة ، فعرفوه ؛ فقالوا : إن هذا لسيف عامر بن يزيد ، عدا عليه مكرز بن حفص فقتله ، فكان ذلك من أمرهم . فبينما هم فى ذلك من حربهم ، حجز الإسلام بين الناس ؛ فتشاغلوا به ، حتى أجمعت قريش المسير إلى بدر ، فذكروا الذى بينهم وبين بنى بكر فخافوهم .

وقال مكرز بن حفص فى قتله عامراً :

لما رأيت أنه هو عامر	تذكرت أشلاء الحبيب الملحَّب[1]
وقلت لنفسى : إنه هو عامر	فلا ترهبيه ، وانظرى أى مركب
وأيقنت أنى إن أُجَلِّله ضربة	متى ما أصبه بالفرافر يعطب
خفضت له جأشى وألقيت كلكلى	على بطل شاكى السلاح مجرب[2]

(١) الملحب : الذى ذهب لحمه ، وأصل اللحب تقطيع اللحم طولا .

(٢) الكلكل : الصدر .

ولم أك لما التف روعى وروعه عصارة هجن من نساء ولا أب
حلت به وترى ولم أنس ذحله إذا ما تناسى ذحله كل عيهب(١)

قال ابن هشام : الفرافر في غير هذا الموضع : الرجل الأضبط ، « وفي هذا الموضع » : السيف ، والعيهب : الذى لاعقل له ، ويقال لتيس الظباء وفحل النعام : العيهب . قال الخليل : العيهب : الرجل الضعيف عن إدراك وتره .

قال ابن إسحاق وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروه بن الزبير ، قال : لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذى كان بينها وبين بنى بكر ، فكاد ذلك يثنيهم ، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى ، وكان من أشراف بنى كنانة ، فقال لهم : أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه ، فخرجوا سراعا .

خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه — قال ابن هشام : خرج يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان — واستعمل عمرو بن أم مكتوم — ويقال اسمه : عبد الله ابن أم مكتوم أخا بنى عامر بن لؤى ، على الصلاة بالناس ، ثم رد أبا لبابة من الروحاء ، واستعمله على المدينة .

اللواء والرايتان : قال ابن إسحاق : ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . قال ابن هشام : وكان أبيض .

قال ابن إسحاق : وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان ، إحداهما مع على بن أبى طالب ، يقال لها : العقاب ، والأخرى مع بعض الأنصار .

عدد إبل المسلمين إلى بدر : قال ابن إسحاق : وكانت إبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيراً ، فاعتقبوها ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى بن أبى طالب ، ومرثد بن أبى مرثد الغنوى يعتقبون بعيرا ، وكان حمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو كبشة ، وأنسة ، مولیا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقبون بعيراً ، وكان أبو بكر ، وعمر ، وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيراً .

---

(١) الذحل : الثأر .

قال ابن إسحاق : وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجار . وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ ، فيما قال ابن هشام .

الطريق الى بدر : قال ابن إسحاق : فسلك طريقه من المدينة إلى مكة ، على نقب المدينة، ثم على العقيق ، ثم على ذى الحليفة ، ثم على أولات الجيش .

قال ابن هشام : ذات الجيش .

قال ابن إسحاق : ثم مر على تربان ، ثم على ملل ، ثم غميس الحمام من مريين ، ثم على صخيرات اليمام ، ثم على السيالة ، ثم على فج الروحاء ، ثم على شنوكة ، وهى الطريق المعتدلة ؛ حتى إذا كان بعرق الظبية — قال ابن هشام : الظبية : عن غير ابن إسحاق — لقوا رجلا من الأعراب ، فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبرا ؛ فقال له الناس : سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أوفيكم رسول الله ؟ قالوا : نعم ، فسلم عليه ؛ ثم قال : إن كنت رسول الله فأخبرني عما فى بطن ناقتى هذه . قال له سلمة بن سلامة بن وقش لاتسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل علىّ فأنا أخبرك عن ذلك . نزوت عليها ، ففى بطنها منك سخلة[١] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مه ، أفحشت على الرجل ؛ ثم أعرض عن سلمة .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم سجسج ، وهى بئر الروحاء ، ثم ارتحل منها ، حتى إذا كان بالمنصرف ، ترك طريق مكة بيسار ، وسلك ذات اليمين على النازية ، يريد بدراً ، فسلك فى ناحية منها ، حتى جزع واديا[٢] ، يقال له رحقان ، بين النازية وبين مضيق الصفراء ، ثم على المضيق ، ثم انصب منه ، حتى إذا كان قريبا من الصفراء ، بعث بسبس بن الجهنى ، حليف بنى ساعدة ، وعدى بن أبى الزغباء الجهنى ، حليف بنى النجار ، إلى بدر يتحسسان له الأخبار، عن أبى سفيان بن حرب وغيره . ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قدمها . فلما استقبل الصفراء ، وهى قرية بين جبلين ، سأل عن جبليهما ما اسماهما ؟ فقالوا : يقال لأحدهما، هذا مسلح وللآخر : هذا مخزىء ، وسأل عن أهلهما فقيل : بنو النار وبنو حراق ، بطنان من بنى غفار فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما ، وتفاءل بأسمائهما وأسماء[٣] أهلهما : فتركهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والصفراء بيسار ، وسلك ذات اليمين على واد يقال له : ذفران ، فجزع فيه ، ثم نزل .

---

(١) السخلة فى الأصل : الصغير من الضأن واستعارها لولد الناقة .

(٢) قطعه عرضا .

(٣) ليس هذا من باب الطيرة والتشاؤم فقد كان ينهى عنه صلى الله عليه وسلم ، ولكن هذا من باب كراهية الاسم القبيح .

وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم؟ فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش: فقام أبو بكر الصديق، فقال وأحسن. ثم قام عمر بن الخطاب، فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ههنا قاعدون». ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد[1] لجالدنا معك من دونه، حتى تبلغه؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً، ودعا له به.

استشارة الأنصار: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشيروا على أيها الناس. وإنما يريد الأنصار؛ وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة، قالوا: يا رسول الله: إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يارسول الله؟ قال أجل: قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء. لعل الله يريك منا ماتقر به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد، ونشطه ذلك؛ ثم قال: سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم.

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران، فسلك على ثنايا. يقال لها الأصافر؛ ثم انحط منها إلى بلد يقال له: الدّبة، وترك الحنان بيمين وهو كثيب عظيم كالجبل العظيم؛ ثم نزل قريبا من بدر، فركب هو ورجل من أصحابه.

قال ابن هشام: الرجل هو أبو بكر الصديق.

قال ابن إسحاق كما حدثني محمد بن يحيى بن حبان: حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله

---

(١) موضع بناحية اليمن، وقيل إنها مدينة بالحبشة.

عن قريش ، وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ؛ فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك . قال : أذاك بذاك ؟ قال : نعم ، قال الشيخ فإنه بلغنى أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذى أخبرنى ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى فيه قريش . فلما فرغ من خبره ، قال : ممن أنتما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ، ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : مامن ماء ، أمن ماء العراق ؟

قال ابن هشام : يقال : ذلك الشيخ : سفيان الضمرى .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث على بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، فى نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر ، يلتمسون الخبر له عليه — كما حدثنى يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير — فأصابوا راوية[1] لقريش فيها أسلم ، غلام بنى الحجاج ، وعريض أبو يسار ، غلام بنى العاص بن سعيد ، فأتوا بهما فسألوهما ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، فقالا : نحن سقاة قريش ، بعثونا نسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبى سفيان ، فضربوهما . فلما أذلقوهما [2] قالا : نحن لأبى سفيان ، فتركوهما . وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتيه ، ثم سلم ، وقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ، صدقا ، والله إنهما لقريش ، أخبرانى عن قريش ؟ قالا هم والله وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعُدْوة القُصوى — والكثيب : العقنقل — فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : كم القوم ؟ قالا : كثير ؛ قال : ماعدتهم ؟ قالا : لاندرى ؛ قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوما تسعا ، ويوما عشرا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم فيما بين التسع مئة والألف . ثم قال لهما : فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البخترى بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدى بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونبيه ، ومنبه ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد ود . فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، فقال : هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ [3] كبدها .

---

(١) الراوية الإبل التى يستق الماء عليها . (٢) أذلقه : بالغ فى ضربه .

(٣) أفلاذ قطع . انظر ما فى هذا الحديث من البلاغة فى كتاب المجازات النبوية للشريف الرضى طبعة مصطفى الحلبى بتحقيقنا .

قال ابن إسحاق : وكان بسبس بن عمرو ، وعدى بن الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدراً ، فأناخا إلى تل قريب من الماء ، ثم أخذا شنا لهما (١) يستقيان فيه ، ومجدى بن عمرو الجهنى على الماء . فسمع عدى وبسبس جاريتين من جوارى الحاضر (٢) ، وهما يتلازمان (٣) على الماء ، والملزومة (٤) تقول لصاحبتها : إنما تأتى العير غداً أو بعد غد ، فأعمل لهم ، ثم أقضيك الذى لك . قال مجدى : صدقت ، ثم خلص بينهما . وسمع ذلك عدى وبسبس ، فجلسا على بعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبروه بما سمعا .

نجاة أبى سفيان بالعير : وأقبل أبو سفيان بن حرب ، حتى تقدم العير حذراً ، حتى ورد الماء ؛ فقال لمجدى بن عمرو : هل أحسست أحداً ؟ فقال : ما رأيت أحداً أنكره ، إلا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا فى شن لهما ، ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخهما ، فأخذ من أبعار بعيريهما ، ففته ، فإذا فيه النوى ؛ فقال : هذه والله علائف يثرب . فرجع إلى أصحابه سريعا ، فضرب وجه عيره عن الطريق ، فساحل بها (٥) ، فترك بدراً بيسار وانطلق حتى أسرع .

قال : وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة ، رأى جُهيم بن الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب ابن عبد مناف رؤيا ، فقال : إنى رأيت فيما يرى النائم ، وإنى لبين النائم واليقظان . إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ، ومعه بعير له ؛ ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة ابن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، وفلان وفلان ، فعدد رجالا ممن قتل يوم بدر ، من أشراف قريش ، ثم رأيته ضرب فى لبة بعيره ، ثم أرسله فى العسكر ، فما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه .

قال : فبلغت أبا جهل ؛ فقال : وهذا أيضا نبى آخر من بنى المطلب ، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا .

قال ابن إسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله ، فارجعوا ؛ فقال أبو جهل بن هشام : والله لانرجع حتى نرد بدراً — وكان بدر موسما من مواسم العرب ، يجتمع لهم به

---

(١) الشن : الزق البالى .
(٢) الحاضر : النازلون على الماء .
(٣) التلازم : تعلق الغريم بغريمه .
(٤) الملزومة : المدينة .
(٥) أخذ بها طريق الساحل .

سوق كل عام — فنقيم عليه ثلاثا ، فننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها ، فامضوا .

وقال الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى : وكان حليفا لبنى زهرة وهم بالجحفة : يابنى زهرة ، قد نجى الله لكم أموالكم ، وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا لى جبنها وارجعوا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا فى ضيعة ، لاما يقول هذا ، يعنى أبا جهل . فرجعوا ، فلم يشهدها زهرى واحد ، أطاعوه وكان فيهم مطاعا . ولم يكن بقى من قريش بطن إلا وقد نفر منهم ناس ، إلا بنى عدى بن كعب ، لم يخرج منهم رجل واحد ، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس بن شريق ، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد ، ومشى القوم . وكان بين طالب بن أبى طالب — وكان فى القوم — وبين بعض قريش محاورة ، فقالوا : والله لقد عرفنا يابنى هاشم ، وإن خرجتم معنا ، أن هواكم لمع محمد . فرجع طالب إلى مكة مع من رجع . وقال طالب بن أبى طالب :

لا هُمَّ إما يغـــزونّ طالبْ ... فى عصبة محـــالف محـــارب
فى مقنب من هـــذه المقانب ... فليكن المسلوب غير السالب (١)
وليكن المغلوب غير الغالب

قال ابن هشام : قوله « فليكن المسلوب » ، وقوله « وليكن المغلوب » عن غير واحد من الرواة للشعــر .

قريش تنزل بالعدوة والمسلمون ببدر : قال ابن إسحاق : ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادى ، خلف العقنقل وبطن الوادى ، وهو يليل ، بين بدر وبين العقنقل الكثيب الذى خلفه قريش ، والقُلُب (٢) ببدر فى العدوة الدنيا من بطن يليل إلى المدينة . وبعث الله السماء ، وكان الوادى دهسا (٣) ، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لبّد لهم الأرض ولم يمنعهم عن السير ، وأصاب قريشا منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به .

---

(١) المقنب : الجماعة من الخيل .
(٢) القلب : جمع قليب : البئر القديم مذكر وقد يؤنث .
(٣) الدهس : المكان اللين السهل الذى ليس برمل ولا تراب .

قال ابن إسحاق : فحدثت عن رجال من بنى سلمة ، أنهم ذكروا : أن الحباب بن المنذر ابن الجموح قال : يارسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال يارسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم ، فننزله ، ثم نغوّر ما وراءه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى . فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فغورت ، وبنى حوضا على القلب الذى نزل عليه فملىء ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث : أن سعد بن معاذ قال : يانبى الله ، ألا نبنى لك عريشا تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى ، جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا ، فقد تخلف عنك أقوام ، يانبى الله ، ما نحن بأشد لك حباً منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك . فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ، ودعا له بخير . ثم بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش ، فكان فيه .

قال ابن إسحاق : وقد ارتحلت قريش حين أصبحت ، فأقبلت ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل — وهو الكثيب الذى جاءوا منه إلى الوادى — قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادّك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم أحنهم [1] الغداة .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — وقد رأى عتبة بن ربيعة فى القوم على جمل له أحمر — إن فى يكن فى أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يرشدوا .

وقد كان خُفاف بن أيماء بن رَحَضة الغفارى ، أو أبوه أيماء بن رحضة الغفارى ، بعث إلى قريش ، حين مروا به ، ابنا له بجزائر [2] أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا . قال : فأرسلوا إليه مع ابنه : أن وصلتك رحم ، قد قضيت الذى عليك فلعمرى لئن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا من ضعف عنهم ، ولئن كنا إنما نقاتل الله ، كما يزعم محمد ، فما لأحد بالله من طاقة .

---

(١) أحنهم : أهلكهم .

(٢) الجزائر : الذبائح .

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حكيم بن حزام ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم . فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل ، إلا ما كان من حكيم بن حزام ، فإنه لم يقتل ، ثم أسلم بعد ذلك ، فحسن إسلامه . فكان إذا جهد فى يمينه ، قال : لا والذى نجانى من يوم بدر .

قال ابن إسحاق: وحدثنى أبى إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا ، لما اطمأن القوم ، بعثوا عمير بن وهب الجمحى فقالوا : احزروا لنا أصحاب محمد ، قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاث مئة رجل ، يزيدون قليلا أو ينقصون ، ولكن أمهلونى حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد ؟ قال : فضرب فى الوادى حتى أبعد ، فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم فقال : ما وجدت شيئا ، ولكنى قد رأيت ، يامعشر قريش ، البلايا [1] تحمل المنايا ، نواضح [2] يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم ، حتى يقتل رجلا منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ؟ فرُوا رأيكم .

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى فى الناس ، فأتى عتبة بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ، إنك كبير قريش وسيدها ، والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمى ؛ قال : قد فعلت ، أنت على بذلك ، إنما هو حليفى ، فعلىّ عقله وما أصيب من ماله ، فأت ابن الحنظلية .

الحنظلية ونسبها : قال ابن هشام : والحنظلية أم أبى جهل ، وهى أسماء بنت مُخرّبة ، أحد بنى نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم — فإنى لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره ، يعنى أبا جهل بن هشام . ثم قام عتبة بن ربيعة خطيبا ، فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ماتصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه أو ابن خاله ، أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذاك الذى أردتم وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرّضوا منه ما تريدون .

---

(١) النوق التى تربط على قبر الأموات لا تعلف ولا تسقى حتى تموت كان يفعلها بعض العرب الذى يقر بالبعث لأجل أن يحشر عليها الميت وقت بعثه .

(٢) النواضح : الإبل التى يستقى الماء عليها .

قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل ، فوجدته قد نثل [١] درعا له من جرابها ، فهو يهنئها [٢]. — قال : ابن هشام يهيئها — فقلت له يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا ، للذى قال ؛ فقال : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه ، فقد تخوفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمى ، فقال : هذا يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك ، فقم فأنشد خفرتك ، ومقتل أخيك .

فقام عامر بن الحضرمى فاكتشف ثم صرخ : واعمراه . واعمراه ، فحميت الحرب ، وحقب [٣] الناس ، واستوسقوا على ما هم عليه من الشر . وأفسد على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عتبة .

فلما بلغ عتبة قول أبى جهل « انتفخ والله سحره » ، قال : سيعلم مصفر استه [٤] من انتفخ سحره ، أنا أم هو ؟ .

قال ابن هشام : السحر : الرئة وما حولها مما يعلق بالحلقوم من فوق السرة . وما كان تحت السرة ، فهو القصب ، ومنه قوله : رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار : قال ابن هشام : حدثنى بذلك أبو عبيدة .

ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها فى رأسه ، فما وجد فى الجيش بيضة تسعه من عظم هامته : فلما رأى ذلك اعتجر [٥] على رأسه ببرد له .

مقتل الأسود بن عبد الأسد المخزومى : قال ابن إسحاق : وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومى ، وكان رجلا شرسا سيئ الخلق ، فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ، أو لأهدمنه ، أو لأموتن دونه ؛ فلما خرج ، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن [٦] قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد أن يبر يمينه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض .

---

(١) نثل : أخرج . (٢) يهنئها : يطليها بعكر الزيت . (٣) حقب الناس : اشتدوا

(٤) كناية عن الدعة فقد كان الإنسان البعيد عن الحرب يتطيب بالخلوق وقد قصد المبالغة لإهانته بذكر استه وإنما هو تطييب البدن

(٥) اعتجر : تعمم . (٦) أطن : أطار

دعاء عتبة إلى المبارزة : قال : ثم خرج بعد عتبة بن ربيعة ، بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة ، وهم : عوف ، ومعوذ ، ابنا الحارث - وأمهما عفراء - ورجل آخر ، يقال : هو عبد الله ابن رواحة ؛ فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : رهط من الأنصار ؛ قالوا . مالنا بكم من حاجة ، ثم نادى مناديهم يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي ، فلما قاموا ودنوا منهم ، قالوا من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علي : علي ؛ قالوا : نعم ، أكفاء كرام ، فبارز عبيدة ، وكان أسن القوم ، عتبة بن ربيعة ؛ وبارز حمزة شيبة بن ربيعة ؛ وبارز علي الوليد ابن عتبة . فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ؛ وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه[1] ، وكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذففا[2] عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا : أكفاء كرام ، إنما نريد قومنا .

التقاء الفريقين : قال ابن إسحاق : ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ، معه أبو بكر الصديق .

فكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان .

قال ابن إسحاق : كما حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين .

ضرب الرسول لابن غزية : قال ابن إسحاق : وحدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قدح[3] يعدل به القوم ، فمر بسواد بن غزية ، حليف بني عدي بن النجار - قال ابن هشام : يقال ، سواد ، مثقلة ، وسواد في الأنصار غير هذا ، مخفف - وهو مستنتل[4] من الصف - قال ابن هشام : ويقال : مستنصل[5] من الصف - فطعن في بطنه بالقدح ، وقال : استو يا سواد فقال : يا رسول الله ، أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل ، قال : فأقدني[6] . فكشف رسول الله

---

(١) أثبته . جرحه جراحة بالغة (٢) ذففا عليه : أسرعا قتله (٣) قدح : سهم .
(٤) مستنتل : متقدم . (٥) مستنصل : خارج . (٦) أقدني : اقتص لي من نفسك .

صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، وقال : استقد ، قال : فاعتنقه فقبل بطنه : فقال : ماحملك على هذا ياسواد ؟ قال : يارسول الله ، حضر ماترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقاله له .

الرسول يناشد ربه النصر : قال بن إسحاق : ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ، ورجع إلى العريش فدخله ، ومعه فيه أبو بكر الصديق ، ليس معه فيه غيره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ماوعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد ، وأبو بكر يقول : يانبى الله : بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجز لك ماوعدك . وقد خفق[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو فى العريش ، ثم انتبه فقال : أبشر ياأبابكر ، أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده ، على ثناياه النقع .

أول شهيد من المسلمين : قال ابن إسحاق : وقد رُمى مهجع ، مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل ، فكان أول قتيل من المسلمين ؛ ثم رمى حارثة بن سراقة ، أحد بنى عدى بن النجار ، وهو يشرب من الحوض ، بسهم فأصاب نحره ، فقتل .

قال ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس لحرضهم ، وقال : والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر ، إلاأدخله الله الجنة . فقال عمير بن الحمام أخو بنى سلمة ، وفى يده تمرات يأكلهن : بخ بخ[2] ، أفما بينى وبين أن أدخل الجنة إلاأن يقتلنى هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن عوف بن الحارث ، وهو ابن عفراء قال : يارسول الله ، مايضحك[3] الرب من عبده ؟ قال غمسه يده فى العدو حاسرا . فنزع درعا كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عبدالله بن ثعلبة بن صُعير العذرى ، حليف بنى زهرة ، أنه حدثه : لما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قال أبو جهل ابن هشام : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لايعرف ، فأحنه[4] الغداة . فكان هو المستفتح[5] .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشا بها ، ثم قال : شاهت الوجوه ، ثم نفحهم بها ، وأمر أصحابه فقال : شدوا ؛ فكانت الهزيمة ، فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم . فلما وضع

---

(١) خفق : أخذته سنة خفيفة من النوم . (٢) كلمة تقال فى حالة الإعجاب .
(٣) أى يرضيه غاية الرضا مع تبشير وإظهار كرامة .
(٤) أحنه : أهلكه . (٥) المستفتح : المبتدىء لنفسه .

القوم أيديهم يأسرون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش : وسعد بن معاذ قائم على باب العريش ، الذى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : متوشح السيف ، فى نفر من الأنصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخافون عليه كرة العدو : ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذكر لى — فى وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لكأنك ياسعد تكره ما يصنع القوم ؛ قال : أجل والله يارسول الله ، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك . فكان الإثخان فى القتل بأهل الشرك أحب إلى من استبقاء الرجال .

قال ابن إسحاق : وحدثنى العباس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ : إنى قد عرفت أن رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها ، ولا حاجة لهم بقتالنا : فمن لقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ومن لقى أبا البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله : فإنه إنما أخرج مستكرها . قال : فقال أبو حذيفة : أنقتل آباءنا وأبناءنا وأخواتنا وعشيرتنا . ونترك العباس : والله لئن لقيته لألحمنه السيف — قال ابن هشام : ويقال لألجمنه السيف — قال : فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص — قال عمر : والله إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى حفص — أيضرب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ؟ فقال عمر : يارسول الله ، دعنى فلأضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عنى الشهادة . فقتل يوم اليمامة شهيداً .

قال ابن إسحاق : وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبى البخترى لأنه كان أكف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وكان لا يؤذيه ، ولا يبلغه عنه شىء يكرهه ، وكان ممن قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم وبنى المطلب . فلقيه المجذر ابن ذياد البلوى ، حليف الأنصار ، ثم من بنى سالم بن عوف ، فقال المجذر لأبى البخترى : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك — ومع أبى البخترى زميل [1] له ، قد خرج معه من مكة ، وهو جنادة بن مُليحة بنت زهير بن الحارث بن أسد ، وجنادة رجل من بنى ليث واسم أبى البخترى : العاص — قال : وزميلى ؟ فقال له المجذر : لا والله ، ما نحن بتاركى زميلك

(١) الزميل : من يزامله فيركب معه على بعير واحد .

ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك ؛ فقال : لا والله ، إذن لأموتن أنا وهو جميعاً ، لاتتحدث عنى نساء مكة أنى تركت زميلى حرصاً على الحياة . فقال أبو البخترى حين نازله المجذر وأبى إلا القتال ، يرتجز :

لن يُسلم ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سبيله

فاقتتلا ، فقتله المجذر بن ذياد . وقال المجذر بن ذياد فى قتله أبا البخترى :

إمّا جهلت أو نسيت نسبى فأثبت النسبة أنى من بَلِى
الطاعنين برماح اليزنى والضاربين الكبش حتى ينحنى
بشِّر بيتم من أبوه البخترى أو بشرن بمثلها منى بنى
أنا الذى يقال أصلى من بلى أطعن بالصعدة حتى تنثنى[1]
وأعبط القرن بعضب مشرَفى أرزم للموت كإرزام المرِى[2]
فلا ترى مجذراً يفرى فرى[3]

قال ابن هشام : « المرى » عن غير ابن إسحاق . والمرى : الناقة التى يستنزل لبنها على عسر .

قال ابن إسحاق : ثم إن المجذر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال . والذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به ، فأبى إلا أن يقاتلنى ، فقاتلته فقتلته .

قال ابن هشام : أبو البخترى : العاص بن هشام بن الحارث بن أسد .

مقتل أمية بن خلف قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال ابن إسحاق : وحدثنيه أيضاً عن عبد الله بن أبى بكر وغيرهما ، عن عبد الرحمن بن عوف قال : كان أمية بن خلف لى صديقاً بمكة ، وكان اسمى عبد عمرو ، فتسميت ، حين أسلمت ، عبد الرحمن ، ونحن بمكة ، فكان يلقانى إذ نحن بمكة فيقول : يا عبد عمرو ، أرغبت عن اسم سماكه أبواك ؟ فأقول نعم ، فيقول : فإنى لا أعرف الرحمن ، فاجعل بينى وبينك شيئاً أدعوك

---

(١) الصعدة: فى الأصل عصا الرمح ، وقد أطلق هنا على الرمح صعده .
(٢) أعبط : أقتل ، والعضب : السيف القاطع ، وأرزم : أحن .
(٣) فرى : عمل عملا أتى فيه بأمر عجيب .

به ، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف ، قال : فكان إذا دعاني : يا عبد عمرو ، لم أجبه . قال : فقلت له : يا أبا علي ، اجعل ما شئت ، قال : فأنت عبد الإله ، قال : فقلت : نعم ، قال : فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الإله فأجيبه ، فأتحدث معه حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه ، علي بن أمية ، آخذ بيده ومعي أدراع قد استلبتها ، فأنا أحملها فلما رآني قال لي : يا عبد عمرو ، فلم أجبه ، فقال : يا عبد الإله ؟ فقلت نعم ، قال : هل لك فيّ ، فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك ؟ قال : قلت نعم ، ها الله ذا[1] . قال : فطرحت الأدراع من يدي ، وأخذت بيده ويد ابنه ، وهو يقول : ما رأيت كاليوم قط ، أما لكم حاجة في اللبن ؟ قال : ثم خرجت أمشي بهما .

قال ابن هشام : يريد باللبن ، أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن سعد بن إبراهيم عن عبد الرحمن ابن عوف ، قال : قال لي أمية بن خلف ، وأنا بينه وبين ابنه ، آخذ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره ؟ قال : قلت ذاك حمزة بن عبد المطلب ، قال ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل ، قال عبد الرحمن : فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي — وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على ترك الإسلام ، فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت ، فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول : لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد ، فيقول بلال : أحد أحد . قال : فلما رآه ، قال رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا قال : قلت : أي بلال ، أبأسيري قال : لا نجوت إن نجا . قال : قلت : أتسمع يا بن السوداء ، قال : لا نجوت إن نجا . قال : ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا . قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة[2] وأنا أذب عنه . قال : فأخلف[3] رجل السيف ، فضرب رجل ابنه فوقع ، وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط . قال : فقلت انج بنفسك ولا نجاء بك فوالله ما أغني عنك شيئاً . قال فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالا ، ذهبت أدراعي وفجعني بأسيري .

الملائكة تشهد وقعة بدر : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله أبي بكر أنه حدث عن

---

(١) ها : حرف تنبيه ، وذا : اسم إشارة يشير به إلى نفسه .

(٢) المسكة : الحلقة .　　(٣) أخلف : سل .

ابن عباس قال : حدثنى رجل من بنى غفار ، قال : أقبلت أنا وابن عم لى حتى أصعدنا فى جبل يشرف بنا على بدر ، ونحن مشركان ، ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة[1] ، فننتهب مع من ينتهب . قال : فبينا نحن فى الجبل إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا فيها حمحمة الخيل ، فسمعت قائلا يقول : أقدم حيزوم[2] ، فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه ، فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ، ثم تماسكت .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن بعض بنى ساعدة عن أبى أسيد مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدراً ، قال ، بعد أن ذهب بصره : لو كنت اليوم ببدر ومعى بصرى لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة ، لا أشك فيه ولا أتمارى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن رجال من بنى مازن بن النجار ، عن أبى داود المازنى ، وكان شهد بدراً ، قال : إنى لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه ، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفى ، فعرفت أنه قد قتله غيرى .

قال ابن إسحاق وحدثنى من لا أتهم عن مقسم ، مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله ابن عباس ، قال . كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرسلوها على ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمرا .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن على بن أبى طالب قال . العمائم تيجان العرب وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرخوها على ظهورهم ، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن مِقسم ، عن ابن عباس ، قال ولم تقاتل الملائكة فى يوم سوى بدر من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومددا لا يضربون .

مقتل أبى جهل : قال بن إسحاق : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز ، وهو يقاتل ويقول :

ما تنقم الحرب العوان منى بازل عامين حديث سنى[3]

لمثل هذا ولدتنى أمى

---

(١) الدبرة : الدائرة .

(٢) أقدم : كلمة تزجر بها الخيل . وحيزوم هو فرس جبريل عليه السلام .

(٣) الحرب العوان جمع عون : الحرب الشديدة التى قوتل فيها مرة بعد أخرى ، والبازل من الإبل الذى خرج سنه فهو فى ذلك يصل لذروة مرحلة الشباب .

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : أحد أحد .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، أمر بأبى جهل أن يلتمس فى القتلى .

وكان أول من لقى أبا جهل ، كما حدثنى ثور بن يزيد عن عكرمة ، عن ابن عباس ، وعبد الله ابن أبى بكر أيضاً قد حدثنى ذلك قالا : قال معاذ بن عمرو بن الجموح ، أخو بنى سلمة : سمعت القوم وأبو جهل فى مثل الحرجة — قال ابن هشام : الحرجة : الشجر الملتف . وفى الحديث عن عمر بن الخطاب : أنه سأل أعرابياً عن الحرجة ؛ فقال : هى شجرة من الأشجار لا يوصل إليها — وهم يقولون : أبو الحكم لا يخلص إليه . قال : فلما سمعتها جعلته من شأنى ، فصمدت نحوه ، فلما أمكننى حملت عليه ، فضربته ضربة أطنت قدمه[١] بنصف ساقه ، فوالله ماشبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها[٢] . قال : وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى ، فطرح يدى ، فتعلقت بجلدة من جنبى ، وأجهضنى[٣] القتال عنه ، فلقد قاتلت عامة يومى ، وإنى لأسحبها خلفى ، فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها .

قال ابن إسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمان عثمان .

ثم مر بأبى جهل وهو عقير ، معوذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبته ، فتركه وبه رمق . وقاتل معوذ حتى قتل ، فمر عبد الله بن مسعود بأبى جهل ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتمس فى القتلى ، وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — انظروا - إن خفى عليكم فى القتلى - إلى أثر جرح فى ركبته ، فإنى ازدحمت يوما أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جدعان ، ونحن غلامان ، وكنت أشف منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبتيه ، فجحش[٤] فى إحداهما جحشا لم يزل أثره به . قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بآخر رمق فعرفته ، فوضعت رجلى على عنقه — قال : وقد كان ضبث بى مرة بمكة ، فآذانى ولكزنى ، ثم قلت له : هل

---

(١) أطنت قدمه : أطارتها .

(٢) مرضخة النوى : التى يدق بها النوى .

(٣) أجهضنى : غلبنى .

(٤) جحش : خدش .

أخزاك الله يا عدو الله ؟ قال : وبماذا أخزانى أعمد من رجل قتلتموه[1] ، أخبرنى لمن الدائرة اليوم ؟ قال : قلت : لله ولرسوله .

قال ابن هشام : ضبث : قبض عليه ولزمه . قال ضابىء بن الحارث البرجمى :

فأصبحت مما كان بينى وبينكم من الود مثل الضابث الماء باليد

قال ابن هشام : ويقال : أعار على رجل قتلتموه ، أخبرنى لمن الدائرة اليوم ؟

قال ابن إسحاق : وزعم رجال من بنى مخزوم ، أن ابن مسعود كان يقول : قال لى : لقد ارتقيت مرتقى صعبا يارويعى الغنم قال : ثم احتززت رأسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه سلم ، فقلت : يارسول الله ، هذا رأس عدو الله أبى جهل ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آلله الذى لا إله غيره — قال : وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال قلت نعم ، والله الذى لا إله غيره ، ثم ألقيت رأسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمد الله .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازى : أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص ، ومر به : إنى أراك كأن فى نفسك شيئاً ، أراك تظن أنى قتلت أباك ، إنى لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله ولكنى قتلت خالى العاص بن هشام بن المغيرة ، فأما أبوك فإنى مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه[2] فحدت عنه ، وقصد له ابن عمه علىّ فقتله .

حديث عكاشة بن محصن : قال ابن إسحاق : وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدى حليف بنى عبد شمس بن عبد مناف يوم بدر بسيفه حتى انقطع فى يده ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جذلا[3] من حطب ، فقال : قاتل بهذا ياعكاشة فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه ، فعاد سيفا فى يده طويل القامة ، شديد المتن ، أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمى : العون . ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل فى الردة ، وهو عنده، قتله طليحة بن خويلد الأسدى ، فقال طليحة فى ذلك :

فما ظنكم بالقوم إذ تقتلونهم أليسوا وأن لم يُسلموا برجال

---

(١) أى ليس على عار فلن أبعد أن أكون رجلا قتله قومه .

(٢) الروق : القرن . (٣) الجذل : أصل الشجرة .

فإن تك أذاود أصبن ونسوة   فلن تذهبوا فِرغاً بقتل حِبال[1]

نصبت لهم صدر الحمالة إنها   معاودة قيل الكماة نزال[2]

فيوما تراها فى الجلال مصونة   ويوما تراها غير ذات جلال[3]

عشية غادرت ابن أقرم ثاويا   وعُكَّاشة الغنمى عند حجال

قال ابن هشام حبال : ابن طليحة[4] بن خويلد . وابن أقرم : ثابت بن أقرم الأنصارى .

قال ابن إسحاق : وعكاشة بن محصن الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدخل الجنة سبعون ألفا من أمتى على صورة القمر ليلة البدر . قال : يارسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم ، قال : إنك منهم ، أو اللهم اجعله منهم ، فقام رجل من الأنصار . فقال : يارسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة وبردت الدعوة[5] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنا عن أهله : منا خير فارس فى العرب ، قالوا ومن هو يارسول الله ؟ قال : عكاشة بن محصن ، فقال ضرار بن الأزور الأسدى : ذاك رجل منا يارسول الله ، قال : ليس منكم ولكنه منا للحلف .

قال ابن هشام : ونادى أبو بكر الصديق ابنه عبد الرحمن ، وهو يومئذ مع المشركين ، فقال : أين مالى ياخبيث ؟ فقال عبد الرحمن :

لم يبق غير شكة ويعبوب   وصارم يقتل ضلال الشيب[6]

فيما ذُكر لى عن عبد العزيز بن محمد الدراوردى .

طرح المشركين فى القليب : قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن

---

(١) الأذواد : جمع ذود — مابين الثلاثة إلى العشرة من الإبل . والفرغ ألا يطلب بثأر الدم .

(٢) الحمالة : اسم فرس . ونزال : اسم فعل أمر بمعنى انزل .

(٣) الجلال ما يلبسه الفرس لصيانته .

(٤) هو ابن أخيه لا ابنه وهو : حبال بن مسلمة بن خويلد .

(٥) بردت الدعوة : ثبتت .

(٦) الشكة : السلاح . واليعبوب : الفرس الكثير الجرى .

الزبير عن عائشة ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا فى القلب طرحوا فيه ، إلا ما كان من أمية بن خلف ، فإنه انتفخ فى درعه فملأها ، فذهبوا ليحركوه ، فتزايل لحمه ، فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة . فلما ألقاهم فى القليب ، وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . يأهل القليب . هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقاً ؟ فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقاً . قالت : فقال له أصحابه : يارسول الله . أتكلم قوما موتى ؟ فقال لهم : لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقاً .

قالت عائشة : والناس يقولون : لقد سمعوا ماقلتُ لهم ، وإنما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد علموا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حميد الطويل . عن أنس بن مالك ، قال : سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل وهو يقول : يأهل القليب ، يا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام ، فعدد من كان منهم فى القليب : هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؛ فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا ؟ فقال المسلمون : يا رسول الله ، أتنادى قوما قد جيفوا ؟ قال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لايستطيعون أن يجيبونى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم هذه المقالة : يأهل القليب ، بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم ، كذبتمونى وصدقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس ، ثم قال : هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا ؟ للمقالة التى قال .

شعر حسان فى ذلك : قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

عرفت ديار زينب بالكثيب ... كخط الوحى فى الورق القشيب

تداولها الرياح وكل جوْن ... من الوْسمىّ منهمر سكوب[1]

فأمسى رسمها خلقا وأمست ... يبابا بعد ساكنها الحبيب

فدع عنك التذكر كل يوم ... ورُدَّ حرارة الصدر الكئيب

---

(١) الوسمى : مطر الخريف .

وخبر بالذى لا عيب فيه ... بصدق غير إخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر ... لنا فى المشركين من النصيب
غداة كأن جمعهم حراء ... بدت أركانه جنح الغروب
فلاقيناهم منا بجمع ... كأسد الغاب مردان وشيب
أمام محمد قد وازروه ... على الأعداء فى لفح الحروب
بأيديهم صوارم مرهفات ... وكل مجرب خاظى الكعوب[١]
بنو الأوس الغطارف وازرتها ... بنو النجار فى الدين الصليب[٢]
فغادرنا أبا جهل صريعا ... وعتبة قد تركنا بالجبوب[٣]
وشيبة قد تركنا فى رجال ... ذوى حسب إذا نسبوا حسيب
يناديهم رسول الله لما ... قذفناهم كباكب فى القليب[٤]
ألم تجدوا كلامى كان حقا ... وأمر الله يأخذ بالقلوب ؟
فما نطقوا ، ولو نطقوا لقالوا : ... صدقت وكنت ذا رأى مصيب

قال ابن إسحاق : ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقوا فى القليب ، أخذ عتبة ابن ربيعة ، فسحب إلى القليب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — فى وجه أبى حذيفة بن عتبة ، فاذا هو كئيب قد تغير لونه ، فقال : يا أبا حذيفة ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شىء ؟ أو كما قال صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : لا ، والله يا رسول الله ، ماشككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكننى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر ، بعد الذى كنت أرجو له ، أحزننى ذلك ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقال له خيرا .

الفتية الذين نزل فيهم « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » : وكان الفتية

---

(١) الخاظى : المكتنز .
(٢) الغطارف : السادة . والصليب : القوى .
(٣) الجبوب : وجه الأرض .
(٤) الكباكب : الجماعات .

الذين قُتلوا ببدر ، فنزل فيهم من القرآن ، فيما ذكر لنا : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً » فتية مسمين . من بني أسد بن عبد العزى ابن قصي : الحارث بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد .

ومن بني مخزوم : أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأبو قيس ابن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بني جمح : عليّ بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح .

ومن بني سهم : العاص بن منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم .

وذلك أنهم كانوا أسلموا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا به جميعاً .

فيء بدر : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بما في العسكر ، مما جمع الناس ، فجمع ، فاختلف المسلمون فيه ، فقال من جمعه : هو لنا ؛ وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه : والله لولا نحن ما أصبتموه لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم ؛ وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يخالف إليه العدو : والله ما أنتم بأحق به منا ، والله لقد رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله تعالى أكتافه ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ولكنا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرة العدو ، فقمنا دونه ، فما أنتم بأحق به منا .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا عن سليمان بن موسى عن مكحول ، عن أبي أمامة الباهلي — واسمه صُدَيّ بن عجلان فيما قال ابن هشام — قال : سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال ؛ فقال : فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسوله ، فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بواء . يقول : على السواء .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدالله بن أبي بكر ، قال : حدثني بعض بني ساعدة عن أبي أسيد الساعدي مالك بن ربيعة ، قال : أصبت سيف بني عائذ المخزوميين الذي يسمى المرزبان يوم

بدر، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يردوا ما فى أيديهم من النفل، أقبلت حتى ألقيته فى النفل. قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيئا سئله، فعرفه الأرقم ابن أبى الأرقم، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطاه إياه.

بشرى الفتح: قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الفتح عبد الله ابن رواحة بشيرا إلى أهل العالية، بما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة. قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر — حين سوينا التراب على رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، التى كانت عند عثمان بن عفان. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفنى عليها مع عثمان — أن زيد بن حارثة قد قدم. قال: فجئته وهو واقف بالمصلى قد غشيه الناس، وهو يقول: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وزمعة بن الأسود، وأبو البخترى العاص بن هشام، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج. قال: قلت: يا أبت، أحق هذا؟ قال: نعم، والله يا بنى.

الرجوع إلى المدينة: ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا إلى المدينة، ومعه الأسارى من المشركين، وفيهم عقبة بن أبى معيط، والنضر بن الحارث، واحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه النفل الذى أصيب من المشركين، وجعل على النفل عبد الله بن كعب ابن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار؛ فقال راجز من المسلمين — قال ابن هشام: يقال: إنه عدى بن أبى الزغباء:

أقم لها صدورها يا بسبس ... ليس بذى الطلح لها معرس
ولا بصحراء غمير محبس ... إن مطايا القوم لا تخيس[1]
فحملها على الطريق أكيس ... قد نصر الله وفر الأخنس

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم — حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية — يقال له: سير — إلى سرحة به. فقسم هنالك النفل الذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء، ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين، فقال لهم سلمة ابن سلامة — كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، ويزيد بن رومان —: ما الذى تهنئوننا به؟

(١) لا تخيس: لا تحبس.

فوالله إن لقينا إلا عجائز صلعا كالبدن المعقلة ، فنحرناها ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أى ابن أخى ، أولئك الملأ !!

قال ابن هشام : الملأ : الأشراف والرؤساء .

مقتل النضر وعقبة : قال ابن إسحاق : حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء قتل النضر بن الحارث ، قتله على بن أبى طالب ، كما أخبرنى بعض أهل العلم من أهل مكة .

قال ابن إسحاق : ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبى معيط .

قال ابن هشام : عرق الظبية عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : والذى أسر عقبة : عبد الله بن سلمة أحد بنى العجلان .

قال ابن إسحاق : فقال عقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله : فمن للصبية يا محمد؟ قال : النار . فقتله عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارى ، أخو بنى عمرو بن عوف ، كما حدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر .

قال ابن هشام : ويقال قتله على بن أبى طالب فيما ذكر لى ابن شهاب الزهرى وغيره من أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ولقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الموضع أبو هند ، مولى فروة ابن عمرو البياضى بحميت مملوء حيسا[1] .

قال ابن هشام : الحميت : الزق ، وكان قد تخلف عن بدر ، ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو كان حجام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما هو أبو هند امرؤ من الأنصار فأنكحوه ، وأنكحوا إليه ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم .

قال ابن إسحاق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد ابن زرارة ، قال : قدم بالأسارى حين قدم بهم ، وسودة بنت زمعة زوج النبى صلى الله عليه وسلم عند آل عفراء ، فى مناحتهم على عوف ومعوذ ابنى عفراء ، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب .

---

(١) الحيس : السمن يخلط بالتمر والدقيق ويعجن .

قال : تقول سودة : والله إنى لعندهم إذ أُتينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى ، قد أتى بهم . قالت : فرجعت إلى بيتى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو فى ناحية الحجرة ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل قالت : فلا والله ما ملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت : أى أبا يزيد : أعطيتم بأيديكم ، ألا متم كراما ، فو الله ما أنبهنى إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت : يا سودة ، أعلى الله ورسوله تحرضين؟! قالت : قلت : يارسول الله ، والذى بعثك بالحق ، ماملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نبيه بن وهب ، أخو بنى عبد الدار . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه ، وقال : استوصوا بالأسارى خيراً . قال : وكان أبو عزيز بن عُمير بن هاشم ، أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه فى الأسارى .

قال : فقال أبو عزيز : مر بى أخى مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرنى ، فقال : شد يديك به ، فإن أمه ذات متاع ، لعلها تفديه منك ، قال وكنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر ، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصونى بالخبز ، وأكلوا التمر ، لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا ، ما تقع فى يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها . قال : فأستحيى فأردها على أحدهم ، فيردها علىّ مايمسها .

بلوغ مصاب قريش فى رجالها الى مكة : قال ابن هشام : وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث ، فلما قال أخوه مصعب بن عمير لأبى اليسر ، وهو الذى أسره ، ما قال ، قال له أبو عزيز : يا أخى ، هذه وصاتك بى ، فقال له مصعب : إنه أخى دونك . فسألت أمه عن أغلى مافدى به قرشى ، فقيل لها : أربعة آلاف درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم ، ففدته بها .

قال ابن إسحاق : وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسُمان بن عبد الله الخزاعى ، فقالوا : ماوراءك ؟ قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية ابن خلف ، وزمعة بن الأسود ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وأبو البخترى بن هشام ، فلما جعل يعدد أشراف قريش ؛ قال صفوان بن أمية ، وهو قاعد فى الحجر : والله إن يعقل هذا فاسئلوه عنى ؛ فقالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : ها هو ذاك جالساً فى الحجر ، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قُتلا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه ، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر ، فبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا ، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلا ، فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش ، كبته الله وأخزاه ، ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزا . قال : وكنت رجلا ضعيفاً ، وكنت أعمل الأقداح . أنحتها فى حجرة زمزم ، فو الله إنى لجالس فيها أنحت أقداحى ، وعندى أم الفضل جالسة ، وقد سرنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر ، حتى جلس على طنب الحجرة[1] ، فكان ظهره إلى ظهرى ؛ فبينما هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب — قال ابن هشام : واسم أبى سفيان المغيرة — قد قدم قال : فقال له أبو لهب : هلم إلى ، فعندك لعمرى الخبر ، قال : فجلس إليه والناس قيام عليه ، فقال : يا ابن أخى ، أخبرنى كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا ، وايم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالا بيضا ، على خيل بلق . بين السماء والأرض ، والله ما تليق شيئاً[2] ، ولا يقوم لها شىء . قال أبو رافع : فرفعت طنب الحجرة بيدى ، ثم قلت : تلك والله الملائكة ؛ قال : فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهى ضربة شديدة . قال : وثاورته[3] فاحتملنى فضرب بى الأرض ، ثم برك على يضربنى ، وكنت رجلا ضعيفاً ، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة ، فأخذته فضربته فلعت[4] فى رأسه شجة منكرة ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده ؟ فقام مولياً ذليلا ، فو الله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة (٥) فقتلته .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه ، فيشمتوا بكم ؛ ولا تبعثوا فى

---

(١) طنب الحجرة : طرفها . (٢) لا تبقى شيئا .

(٣) ثاورته : وثبت إليه . (٤) لعت : شقت .

(٥) العدسة : بثرة خطارة تخرج فى الجسم تشبه الطاعون تقتل صاحبها سريعاً .

أسراكم حتى تستأنوا بهم لا يأرب[1] عليكم محمد وأصحابه فى الفداء . قال : وكان الأسود ابن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده ، زمعة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث ابن زمعة ، وكان يحب أن يبكى على بنيه ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له : وقد ذهب بصره : أنظر هل أحل النَّحْب ؛ هل بكت قريش على قتلاها ؟ لعلى أبكى على أبى حكيمة ، يعنى زمعة ، فإن جوفى قد احترق . قال : فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته . قال : فذاك حين يقول الأسود :

أتبكى أنْ يضل لها بعــير ... ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكى على بكر ولكن ... على بدر تقاصرت الجدود
على بدر سراة بنى هصيص ... ومخزوم ورهط أبى الوليد
وبكّى إن بكيت على عقيل ... وبكى حارثا أسد الأسود
وبكيهم ولا تَسَمّى جميعاً ... وما لأبى حكيمة من نديد[2]
ألا قد ساد بعدهم رجال ... ولولا يوم بدر لم يسودوا

قال ابن هشام : هـذا إقواء ، وهى مشهورة من أشعارهم ، وهى عندنا إكفاء[3] . وقد أسقطنا من رواية ابن إسحاق ما هو أشهر من هذا .

قال ابن إسحاق : وكان فى الأسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن له بمكة ابنا كيساً تاجراً ذا مال ، وكأنكم به قد جاءكم فى طلب فداء أبيه ؛ فلما قالت قريش لا تعجلوا بفداء أسرائكم ، لا يأرب عليكم محمد وأصحابه ، قال المطلب بن أبى وداعة — وهو الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى — : صدقتم ، لا تعجلوا ، وانسل من الليل فقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، فانطلق به .

فداء سهيل بن عمرو : قال ؛ ثم بعثت قريش فى فداء الأسارى ، فقدم مكرز بن حفص ابن الأخيف فى فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذى أسره مالك بن الدخشم ، أخو بنى سالم بن عوف ، فقال :

---

(١) أى تأخروا فى فداء أسراكم حتى لا يشتد عليكم فى الفداء .
(٢) تسمى : تسامى . والنديد : الشبيه .
(٣) الإقواء والإكفاء : عيوب فى قافية الشعر .

أسرت سهيلا فلا أبتغى أسيراً به من جميع الأمم
وخندف تعلم أن الفتى فتاها سهيل إذا يظلم
ضربت بذى الشفر حتى انثنى وأكرهت نفسى على ذى العلم

وكان سهيل رجلا أعلم من شفته السفلى[1] .

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لمالك بن الدخشم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن عمرو بن عطاء ، أخو بنى عامر بن لؤى : أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو ، ويدلع[2] لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً فى موطن أبداً ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أمثل به فيمثل الله بى وإن كنت نبيا .

قال ابن إسحاق : وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر فى هذا الحديث : إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه .

قال ابن هشام : وسأذكر حديث ذلك المقام فى موضعه إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : فلما قاولهم فيه مكرز وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هات الذى لنا ، قال : اجعلوا رجلى مكان رجله ، وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه ، فخلوا سبيل سهيل ، وحبسوا مكرزا مكانه عندهم ، فقال مكرز :

فديت بأذواد ثمان سبا فتى ينال الصميم غرمها لا المواليا
رهنت يدى والمال أيسر من يدى على ولكنى خشيت المخازيا
وقلت سهيل خيرنا فاذهبوا به لأبنائنا حتى ندير الأمانيا

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا لمكرز .

أسر عمرو بن أبى سفيان : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، قال : كان عمرو بن أبى سفيان بن حرب ، وكان لبنت عقبة بن أبى معيط - قال ابن هشام : أم عمرو بن أبى

---

(١) الأعلم : مشقوق الشفة العليا وليس السفلى . (٢) يدلع : يخرج .

سفيان بنت أبي عمرو ، وأخت أبي معيط بن أبي عمرو ـ أسيراً في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أسرى بدر .

قال ابن هشام : أسره علي بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : فقيل لأبي سفيان : افد عمرا ابنك ؛ قال : أيجمع عليّ دمي ومالي ؟! قتلوا حنظلة ، وأفدي عمرا ! دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم .

قال : فبينا هو كذلك ، محبوس بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال ، أخو بني عمرو بن عوف ثم أحد بني معاوية معتمراً ومعه مرية له ، وكان شيخاً مسلماً ، في غنم له بالنقيع[1] ، فخرج من هنالك معتمراً ، ولا يخشى الذي صنع به ، لم يظن أنه يحبس بمكة ، إنما جاء معتمراً . وقد كان عهد قريشاً لا يعرضون لأحد جاء حاجاً أو معتمراً إلا بخير ؛ فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو ، ثم قال أبو سفيان :

أرهط ابن أكال أجيبوا دعاءه ‏ تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا

فإن بني عمرو لئام أذلة ‏ لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

لو كان سعد يوم مكة مطلقا ‏ لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلا

بعضب حسام أو بصفراء نبعة ‏ تحن إذا ما أنبضت تحفز النبلا[2]

ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم ، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فخلى سبيل سعد .

قصة زينب بنت الرسول وزوجها أبي العاص : قال ابن إسحاق : وقد كان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج ابنته زينب .

---

(١) موضع قرب المدينة .

(٢) العضب : السيف القاطع . والصفراء النبعة : القوس المصنوعة من شجرة النبع . وتحن : يصوت وترها . وأنبضت : تحرك وتر القوس استعدادا للانطلاق . وتحفز النبلا : ترميه .

قال ابن هشام : أسره خراش بن الصمة ، أحد بني حرام .

قال ابن إسحاق ، وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين ، مالا ، وأمانة ، وتجارة ، وكان لهالة بنت خويلد ، وكانت خديجة خالته . فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالفها ، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي ، فزوجه ، وكانت تعـــده بمنزلة ولدها . فلما أكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بنبوته آمنت به خديجة وبناته ، فصدقته ، وشهدن أن ماجاء به الحق ، ودن بدينه ، وثبت أبو العاص على شركه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوج عتبة بن أبي لهب رقية ، أو أم كلثوم[1] . فلما بادى قريشا بأمر الله تعالى وبالعداوة ، قالوا : إنكم قد فرغتم محمداً من همه ، فردوا عليه بناته ، فاشغلوه بهن . فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له : فارق صاحبتك ونحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت ؛ قال : لا والله ، إنى لاأفارق صاحبتى ، وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثنى عليه فى صهره خيراً ، فيما بلغنى . ثم مشوا إلى عتبة بن أبي لهب ، فقالوا له : طلق بنت محمد ونحن ننكحك أى امرأة من قريش شئت ؛ فقال : إن زوجتمونى بنت أبان بن سعيد بن العاص ، أو بنت سعيد بن العاص فارقتها . فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها ، ولم يكن أدخل بها ؛ فأخرجها الله من يده كرامة لها ، وهوانا له ، وخلف عليها عثمان بن عفان بعده .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل بمكة ولا يحرم ، مغلوبا على أمره ؛ وكان الإسلام قد فرق بين زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلمت وبين أبي العاص بن الربيع ، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدر أن يفرق بينهما ، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه ، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صارت قريش إلى بدر ، صار

---

(١) كانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عتبة بن أبي لهب ، وأم كلثوم تحت عتيبة ، فطلقاهما بعزم أبيهما وأمهما حين نزلت « تبت يدا أبي لهب » فأما عتيبة فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يسلط الله عليه كلباً من كلابه فافترسه الأسد من بين أصحابه ، وهم نيام حوله ، وأما عتبة ومعتب ابنا أبي لهب ، فأسلما ولهما عقب . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٣ ص ٦٨ .

فيهم أبو العاص بن الربيع فأصيب فى الأسارى يوم بدر ، فكان بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة قالت لما بعث أهل مكة فى فداء أسرائهم ، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء أبى العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى عليها ؛ قالت : فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها مالها ، فافعلوا ؛ فقالوا : نعم يا رسول الله . فأطلقوه ، وردوا عليها الذى لها .

خروج زينب إلى المدينة

قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه ، أو وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، أن يخلى سبيل زينب ، أو كان فيما شرط عليه فى إطلاقه ، ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيُعلم ماهو ، إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخلى سبيله ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار مكانه ، فقال : كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب ، فتصحباها حتى تأتيانى بها . فخرجا مكانهما ، وذلك بعد بدر بشهر أو شيعه (١) ، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها ، فخرجت تجهز .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، قال : حدثت عن زينب أنها قالت : بينا أنا أتجهز بمكة للحوق بأبى لقيتنى هند بنت عتبة ، فقالت : يابنت محمد ، ألم يبلغنى أنك تريدين اللحوق بأبيك ؟ قالت : ما أردت ذلك ، فقالت : أى ابنة عمى ، لاتفعلى ، إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك فى سفرك ، أو بمال تتبلغين به إلى أبيك ، فإن عندى حاجتك ، فلا تضطنى (٢) منى فإنه لايدخل بين النساء ما بين الرجال . قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، قالت : ولكنى خفتها ، فأنكرت أن أكون أريد ذلك ، وتجهزت .

فلما فرغت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهازها قدم لها حموها كنانة بن الربيع أخو زوجها بعيراً ، فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهارا يقود بها ، وهى فى هودج

---

(١) شيعة : قريب منه

(٢) أى لاتستحى .

لها . وتحدث بذلك رجال من قريش ، فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طوى ، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى ، والفهرى ، فروعها هبار بالرمح وهى فى هودجها ، وكانت المرأة حاملا — فيما يزعمون — فلما ريعت طرحت ذا بطنها ، وبرك حموها كنانة ، ونثر كنانته ، ثم قال : والله لايدنو منى رجل إلا وضعت فيه سهما ، فتكركر[1] الناس عنه . وأتى أبو سفيان فى جلة من قريش فقال : أيها الرجل ، كف عنا نبلك حتى نكلمك فكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال : إنك لم تصب ، خرجت بالمرأة على رءوس الناس علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذا خرجت بابنته إليه علانية على رءوس الناس من بين أظهرنا ، أن ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا التى كانت ، وأن ذلك منا ضعف ووهن ، ولعمرى مالنا بحبسها عن أبيها من حاجة ، ومالنا فى ذلك من ثؤرة[2] ، ولكن ارجع بالمرأة ، حتى إذا هدأت الأصوات ، وتحدث الناس أن قد رددناها، فسُلها سراً ، وألحقها بأبيها ، قال : ففعل . فأقامت ليالى ، حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدما بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فقال عبد الله بن رواحة ، أو أبو خيثمة ، أخو بنى سالم بن عوف، فى الذى كان من أمر زينب — قال ابن هشام : هى لأبى خيثمة — :

أتانى الذى لايقدر الناس قدره ... لزينب فيهم من عقوق ومأثم
وإخراجها لم يخز فيها محمد ... على مأقط وبيننا عطر منشم[3]
وأمسى أبو سفيان من حلف ضمضم ... ومن حربنا فى رغم أنف ومندم
قرنا ابنه عمرا ومولى يمينه ... بذى حلق جلد الصلاصل محكم[4]
فأقسمت لاتنفك منا كتائب ... سراة خميس فى لهام مسوم[5]
نزوع قريش الكفر حتى نعلها ... بخاطمة فوق الأنوف بميسم[6]

---

(١) تكركر : رجع . (٢) الثؤرة : طلب الثأر .

(٣) المأقط : معترك الحرب ومنشم امرأة كانت تبيع العطر فتحالف قوم على الموت فى قتال عدوهم وغمسوا أيديهم فى عطرها فماتوا جميعاً فضرب به المثل فى الشؤم .

(٤) ذى حلق : السلاسل . والصلاصل : صوت الحديد .

(٥) السراة : السادة . والخميس : الجيش . واللهام : الكثير . والمسوم : المعلم .

(٦) نزوع : نسوق نعلها : نعيد عليهم الكرة .

نزلهم أكناف نجــد ونخلة — وإن يتهموا بالخيل والرجل نتهم(١)

يد الدهر حتى لا يعوج سربنا — ونلحقهم آثار عاد وجرهم(٢)

ويندم قوم لم يطيعوا محمداً — على أمرهم وأى حين تندم

فأبلغ أبا سفيان إما لقيته — لئن أنت لم تخلص سجوداً وتسلم

فأبشر بخزى فى الحياة معجل — وسربال نار خالداً فى جهنم

قال ابن هشام : ويروى : وسربال نار .

قال ابن إسحاق : ومولى يمين أبى سفيان ، الذى يعنى : عامر بن الحضرمى: كان فى الأسارى، وكان حلف الحضرمى إلى حرب بن أمية .

قال ابن هشام : مولى يمين أبى سفيان ، الذى يعنى : عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمى ، فأما عامر بن الحضرمى فقتل يوم بدر .

ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب لقيتهم هند بنت عتبة . فقالت لهم :

أفى السلم أعيار جفاء وغلظة — وفى الحرب أشباه النساء العوارك(٣)

وقال كنانة بن الربيع فى أمر زينب ، حين دفعها إلى الرجلين :

عجبت لهبار وأوباش قومه — يريدون إخفارى ببنت محمد

ولست أبالى ماحييت عديدهم — وما استجمعت قبضا يدى بالمهند

قال ابن إسحاق حدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن بكير بن عبد الله بن الأشج ، عن سليمان ابن يسار ، عن أبى إسحاق الدوسى . عن أبى هريرة . قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أنا فيها. فقال لنا: إن ظفرتم بهبار بن الأسود . أو الرجل الآخر الذى سبق معه إلى زينب

---

(١) الأكناف : النواحى . نجد ما ارتفع من أرض الحجاز . ونخلة موضع قريب من مكة وأتهم : أتى تهامة وهى ما انخفض من أرض الحجاز .

(٢) يد الدهر : أى أبد الدهر . والسرب الطريق .

(٣) الأعيار : الحمير . والعوارك : الحيض .

قال ابن هشام : وقد سمى ابن إسحاق الرجل فى حديثه وقال : هو نافع بن عبد قيس - فحرقوهما بالنار : قال ؛ فلما كان الغد بعث إلينا . فقال : إنى كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما . ثم رأيت أنه لا ينبغى لأحد أن يعذب بالنار إلا الله . فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما .

إسلام أبى العاص بن الربيع

قال ابن إسحاق : وأقام أبو العاص بمكة . وأقامت زينب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة . حين فرق بينهما الإسلام . حتى إذا كان قبيل الفتح ، خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام ، وكان رجلا مأمونا ، بمال له وأموال لرجال من قريش ، أبضعوها معه ، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلا ، لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابوا مامعه ، وأعجزهم هاربا ، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستجار بها ، فأجارته ، وجاء فى طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح - كما حدثنى يزيد بن رومان - فكبر وكبر الناس معه ، صرخت زينب من صفة النساء : أيها الناس ، إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع قال : فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ! هل سمعتم ماسمعت ؟ قالوا : نعم ؛ قال : والذى نفس محمد بيده ماعلمت بشىء من ذلك حتى سمعت ماسمعت ، إنه يجير على المسلمين أدناهم . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على ابنته ، فقال : أى بنية ، أكرمى مثواه ، ولا يخلصن إليك ، فإنك لا تحلين له .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبى العاص ، فقال لهم : إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، أصبتم له مالا ، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذى له ، فإنا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو فىء الله الذى أفاء عليكم ، فأنتم أحق به ؛ فقالوا : يارسول الله ، بل نرده عليه ، فردوه عليه ، حتى إن الرجل ليأتى بالدلو ، ويأتى الرجل بالشنة وبالإداوة[1] حتى إن أحدهم ليأتى بالشظاظ[2] ، حتى ردوا عليه ماله بأسره : لا يفقد منه شيئا . ثم احتمله إلى مكة ، فأدى إلى كل ذى مال من قريش ماله ، ومن كان أبضع معه ، ثم قال : يامعشر قريش ، هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه

(١) الشنة : السقاء البالى ، والإداوة : الإناء الصغير من الجلد .

(٢) الشظاظ : خشبة عقفاء تدخل فى عروتى الكيس ، والجمع : أشظة .

قالوا : لا . فجزاك الله خيرا ، فقد وجدناك وفيا كريما قال : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، والله مامنعني من الإسلام عنده إلا تخوفي أن تظنوا أني أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب على النكاح الأول لم يحدث شيئا[1] بعد ست سنين .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة : أن أبا العاص بن الربيع لما قدم من الشام ومعه أموال المشركين ، قيل له : هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال ، فإنها أموال المشركين ؟ فقال أبو العاص : بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي .

قال ابن هشام : وحدثني عبد الوارث بن سعيد التنوري ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر الشعبي ، بنحو من حديث أبي عبيدة عن أبي العاص .

قال ابن إسحاق : فكان ممن سمي لنا من الأسارى ممن من عليه بغير فداء ، من بني عبد شمس بن عبد مناف : أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفدائه . ومن بني مخزوم ابن يقظة : المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيدة بن عمر بن مخزوم ، كان لبعض بني الحارث ابن الخزرج ، فترك في أيديهم حتى خلوا سبيله . فلحق بقومه .

قال ابن هشام : أسره خالد بن زيد ، أبو أيوب الأنصاري ، أخو بني النجار .

قال ابن إسحاق : وصيفي بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ترك في أيدي أصحابه ، فلما يأت أحد في فدائه أخذوا عليه ليبعثن إليهم بفدائه ، فخلوا سبيله ، فلم يف لهم بشيء ؛ فقال حسان بن ثابت في ذلك :

وما كان صيفي ليوفي ذمة ... قفا ثعلب أعيا ببعض الموارد .

قال ابن هشام : وهذا البيت في أبيات له .

---

(١) ويعارضه حديث عمرو بن شعيب أنه ردها عليه بنكاح جديد ، ويمكن الجمع بينهما أنه ردها عليه على مثل النكاح الأول في الصداق مثلا .

قال ابن إسحاق : وأبو عزة ، عمرو بن عبدالله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمح ، كان محتاجا ذا بنات ، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله لقد عرفت مالى من مال ، وإنى لذوحاجة ، وذوعيال ، فامنن على ؛ فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذ عليه ألا يظاهر عليه أحدا . فقال أبو عزة فى ذلك ، يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر فضله فى قومه :

من مبلغ عنى الرسول محمدا	بأنك حق والمليك حميد
وأنت امرؤتدعو إلى الحق والهدى	عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بُوِّئت فينا مباءة	لها درجات سهلة وصعود[1]
فإنك من حاربته لمحارب	شقى ومن سالمته لسعيد
ولكن إذا ذُكرت بدرا وأهله	تأوب مابى : حسرة وقعود[2]

ثمن الفداء : قال ابن هشام : كان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل ، إلى ألف درهم ، إلا من لاشىء له ، فمنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه .

إسلام عمير بن وهب وتحريض صفوان له على قتل الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير قال : جلس عمير ابن وهب الجمحى مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش - فى الحجر - بيسير ، وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش ، وممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير فى أسارى بدر .

قال ابن هشام : أسره رفاعة بن رافع أحد بنى زريق .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : فذكر أصحاب القليب ومصابهم ، فقال صفوان : والله إنْ فى العيش بعدهم خيرٌ ؛ قال له عمير : صدقت والله ، أما والله لولا دين على ليس له عندى قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لى قبلهم علة : ابنى أسير فى أيديهم : قال : فاغتنمها صفوان

(١) بوئت : نزّلت .

(٢) تأوب : رجع .

وقال : عليّ دينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا ، لا يسعنى شىء ويعجز عنهم ؛ فقال له عمير : فاكتم شأنى وشأنك ؛ قال : أفعل .

قال : ثم أمر عمير بسيفه ، فشحذ له وسم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ؛ فبينا عمر بن الخطاب فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم من عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحا السيف ، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ، والله ما جاء إلا لشر . وهو الذى حرش بيننا ، وحزرنا[1] للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه : قال : نأدخله على ، قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلببه بها ، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون ؛ ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه ، قال : أرسله يا عمر ، ادن يا عمير ؛ فدنا ثم قال : انعموا صباحا ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام : تحية أهل الجنة : فقال : أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد : قال : فما جاء بك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه ؛ قال : فما بال السيف فى عنقك ؟ قال : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئاً ؟ قال : أصدقنى ، ما الذى جئت له ؟ قال : ماجئت إلا لذلك ؛ قال . بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت ؛ لولا دين على وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك ، على أن تقتلنى له ، والله حائل بينك وبين ذلك ؛ قال عمير أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحى ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام ، وساقنى هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحق . فقال

---

(١) حرش : أفسد، والحزر : تقدير العدد تخميناً .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقهوا أخاكم فى دينه . وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره ، ففعلوا .

ثم قال : يا رسول الله ، إنى كنت جاهدا على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل ، وأنا أحب أن تأذن لى ، فأقدم مكة ، فأدعوهم إلى الله تعالى ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم؟ فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلحق بمكة . وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير ابن وهب ، يقول : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن فى أيام ، تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه ، فحلف أن لا يكلمه أبدا ، ولا ينفعه بنفع أبداً .

قال ابن إسحاق : فلما قدم عمير مكة ، أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤذى من خالفه أذى شديداً ، فأسلم على يديه ناس كثير .

قال ابن إسحاق : وعمير بن وهب ، أو الحارث بن هشام ، قد ذكر لى أحدهما ، الذى رأى إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر ، فقال : أين ، أى سراق ؟ ومثل[1] عدو الله فذهب ، فأنزل الله تعالى فيه . « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس ، وإنى جار لكم » . فذكر استدراج إبليس إياهم ، وتشبهه بسراقة بن مالك بن جعشم لهم ، حين ذكروا ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة فى الحرب التى كانت بينهم . يقول الله تعالى : « فلما تراءت الفئتان » ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة ، قد أيد الله بهم رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على عدوهم « نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون » . وصدق عدو الله ، رأى ما لم يروا ، وقال : « إنى أخاف الله ، والله شديد العقاب » . فذكر لى أنهم كانوا يرونه فى كل منزل فى صورة سراقة لا ينكرونه ، حتى إذا كان يوم بدر ، والتقى الجمعان نكص على عقبيه ، فأوردهم ثم أسلمهم .

قال ابن هشام : نكص : رجع . قال أوس بن حجر ، أحد بنى أسد بن عمرو بن تميم :

نكصتم على أعقابكم يوم جئتم ... تزجون أنفال الخميس العرمرم

وهذا البيت فى قصيدة له .

---

(١) مثل : ذهب فى الأرض واختفى .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

قومى الذين هم آووا نبيهم ... وصدقوه وأهل الأرض كفار
إلا خصائص أقوام هم سلف ... للصالحين مع الأنصار أنصار
مستبشرين بقَسْمِ الله قولهم ... لما أتاهم كريم الأصل مختار :
أهلا وسهلا ففى أمن وفى سعة ... نِعم النبي ونعم القسم والجار
فأنزلوه بدار لا يخاف بها ... من كان جارهم داراً هى الدار
وقاسموه بها الأموال إذ قدموا ... مهاجرين وقسم الجاحد النار
سرنا وساروا إلى بدر لحينهم ... لو يعلمون يقين العلم ماساروا
دلاهم بغرور ثم أسلمهم ... إن الخبيث لمن والاه غرّار
وقال إنى لكم جار فأوردهم ... شر الموارد فيه الخزى والعار
ثم التقينا فولوا عن سراتهم ... من منجدين ومنهم فرقة غاروا [١]

قال ابن هشام أنشدنى قوله : « لما أتاهم كريم الأصل مختار » أبو زيد الأنصارى .

المطعمون من قريش

قال ابن إسحاق : وكان المطعمون[٢] من قريش ، ثم من بنى هاشم بن عبد مناف : العباس ابن عبد المطلب بن هاشم .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : الحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدى بن نوفل ، يعتقبان ذلك .

ومن بنى أسد بن عبد العزى : أبا البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد . وحكيم بن حزام ابن خويلد بن أسد : يعتقبان ذلك .

(١) السراة : الخيار . وغاروا : تفرقوا .
(٢) من يطعمون الحجيج أيام الموسم .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار .

قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار.

قال ابن إسحاق : ومن بنى مخزوم بن يقظة : أبا جهل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم .

ومن بنى جمح : أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح .

ومن بنى سهم بن عمرو : نبيها ومنبها ابنى الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم ، يعتقبان ذلك .

ومن بنى عامر بن لؤى : سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر .

أسماء خيل المسلمين يوم بدر

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم : أنه كان مع المسلمين يوم بدر من الخيل ، فرس مرثد بن أبى مرثد الغنوى ، وكان يقال له : السَّبَل ؛ وفرس المقداد بن عمرو البهرانى ، وكان يقال له : بَعْزجة ، ويقال : سَبْحة ؛ وفرس الزبير بن العوام ، وكان يقال له : اليعسوب .

قال ابن هشام : ومع المشركين مائة فرس .

نزول سورة الأنفال تصف أحداث بدر

قال ابن إسحاق : فلما انقضى أمر بدر ، أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأسرها، فكان مما نزل منها فى اختلافهم فى النفل حين اختلفوا فيه : « يسئلونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » .

فكان عبادة بن الصامت — فيما بلغنى — إذا سئل عن الأنفال ، قال : فينا معشر أهل بدر نزلت ، حين اختلفنا فى النفل يوم بدر ، فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقنا ؛ فرده على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقسمه بيننا عن بواء - يقول : على السواء - وكان فى ذلك تقوى الله وطاعته ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وصلاح ذات البين .

ثم ذكر القوم ومسيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرف القوم أن قريشا

قد ساروا إليهم ، وإنما خرجوا يريدون العير طمعا فى الغنيمة ، فقال : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يُساقون إلى الموت وهم ينظرون » : أى كراهية للقاء القوم ، وإنكاراً لمسير قريش ، حين ذكروا لهم « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » : أى الغنيمة دون الحرب « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين » : أى بالوقعة التى أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر « إذ تستغيثون ربكم » : أي لدعائهم حين نظروا إلى كثرة عدوهم ، وقلة عددهم « فاستجاب لكم » بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم « أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين . إذ يغشيكم النعاس أمَنَة منه » : أى أنزلت عليكم الأمنة حين نمتم لا تخافون « وينزل عليكم من السماء ماء » للمطر الذى أصابهم تلك الليلة ، فحبس المشركين أن يسبقو إلى الماء ، وخلى سبيل المسلمين إليه « ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » : أى ليذهب عنكم شك الشيطان ، لتخويفه إياهم عدوهم ، واستجلاد[1] الأرض لهم ، حتى انتهوا إلى منزلهم الذى سبقوا إليه عدوهم .

ثم قال تعالى : « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا » : أى آزروا الذين آمنوا « سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الأعناق ، واضربوا منهم كل بنان . ذلك بأنهم شاقُّوا الله ورسوله ، ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب » ، ثم قال : « يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا مُتحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة ، فقد باء بغضب من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير » : أى تحريضا لهم على عدوهم لئلا ينكلوا عنهم إذا لقوهم ، وقد وعدهم الله فيهم ما وعدهم .

ثم قال تعالى فى رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بالحصباء من يده . حين رماهم : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » : أى لم يكن ذلك برميتك ، لولا الذى جعل الله فيها من نصرك ، وما ألقى فى صدور عدوك منها حين هزمهم الله « وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا » : أى ليعرف المؤمنين من نعمته عليهم فى إظهارهم على عدوهم ، وقلة عددهم ، ليعرفوا بذلك حقه ، ويشكروا بذلك نعمته .

---

(١) الاستجلاد : الشدة .

ثم قال : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » : أى لقول أبى جهل : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا يعرف ، فأحنه الغداة . والاستفتاح : الإنصاف فى الدعاء .

يقول الله جل ثناؤه : « وإن تنتهوا » : أى لقريش « فهو خير لكم وإن تعودوا نعد » : أى بمثل الوقعة التى أصبناكم بها يوم بدر « ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين » : أى أن عددكم وكثرتكم فى أنفسكم لن تغنى عنكم شيئا ، وإنى مع المؤمنين ، أنصرهم على من خالفهم .

ثم قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ، ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون » . أى لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله ، وتزعمون أنكم منه ، « ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » : أى كالمنافقين الذين يظهرون له الطاعة ، ويُسرون له المعصية « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » : أى المنافقين الذين نهيتكم أن تكونوا مثلهم ، بكم عن الخير ، صم عن الحق ، لا يعقلون : لا يعرفون ما عليهم فى ذلك من النقمة والتباعة[1] « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم[2] » ، أى لأنفذ لهم قولهم الذى قالوا بألسنتهم ، ولكن القلوب خالفت ذلك منهم ، ولو خرجوا معكم « لتولوا وهم معرضون » ، ماوفوا لكم بشىء مما خرجوا عليه . « يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » : أى للحرب التى أعزكم الله بها بعد الذل ، وقواكم بها بعد الضعف ، ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم ، « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون . يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » أى لا تظهروا له من الحق مايرضى به منكم ، ثم تخالفوه فى السر إلى غيره ، فإن ذلك هلاك لأماناتكم ، وخيانة لأنفسكم . « يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ، ويكفر عنكم سيئاتكم ، ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » : أى فصلا بين الحق والباطل ، ليظهر الله به حقكم ، ويطفىء به باطل من خالفكم .

ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعمته عليه ، حين مكر به القوم ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه « ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » : أى فمكرت بهم بكيدى المتين حتى خلصتك منهم .

---

(١) التباعة : طلب الشخص بما ارتكب من المظالم .
(٢) لم يأت بجزء من الآية وهو « ولو أسمعهم »

ثم ذكر غرة قريش واستفتاحهم على أنفسهم ، إذ قالوا : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك » أى ما جاء به محمد « فأمطر علينا حجارة من السماء » كما أمطرتها على قوم لوط «أو ائتنا بعذاب أليم » أى بعض ماعذبت به الأمم قبلنا ، وكانوا يقولون : إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفره ، ولم يعذب أمة ونبيها معها حتى يخرجه عنها . وذلك من قولهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على أنفسهم ، حين نعى سوء أعمالهم : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » أى لقولهم : إنا نستغفر ومحمد بين أظهرنا ، ثم قال « وما لهم ألا يعذبهم الله » وإن كنت بين أظهرهم ، وإن كانوا يستغفرون كما يقولون « وهم يصدون عن المسجد الحرام » : أى من آمن بالله وعبده : أى أنت ومن اتبعك ، « وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون » الذين يحرّمون حرمته ويقيمون الصلاة عنده : أى أنت ومن آمن بك « ولكن أكثرهم لا يعلمون . وما كان صلاتهم عند البيت » التى يزعمون أنه يدفع بها عنهم « إلا مُكاء وتصدية » .

قال ابن هشام : المكاء : الصفير . والتصدية : التصفيق قال عنترة بن عمرو بن شداد العبسى:

ولرب قِرْنٍ قد تركت مجدلا تمكو فريصته كشدق الأعلم[1]

يعنى : صوت خروج الدم من الطعنة ، كأنه الصفير : وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الطرماح بن حكيم الطائى .

لها كلما ريعت صَداة وركدة بمُصدان أعلى ابنى شمام البوائن[2]

وهذا البيت فى قصيدة له . يعنى الأروية ، يقول : إذا فزعت قرعت بيدها الصفاة ثم ركدت تسمع صدى قرعها بيدها الصفاة مثل التصفيق . والمصدان : الحرز وابنا شمام جبلان .

---

(١) مجدلا . واقع على الأرض . والفريصة : جزء فى مرجع الكتف . والأعلم مشقوق الشفة العليا ، ويريد به الجمل .

(٢) صداة : تصفير . والركدة : السكون ، والمصدان الجذران وابن شمام هضبتان بجبل شمام ، والبوائن : المبتعدة .

قال ابن إسحاق : وذلك ما لا يُرضى الله عز وجل ولا يحبه ، ولا ما افترض عليهم ، ولا ما أمرهم به « فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » : أى لما أوقع بهم يوم بدر من القتل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة قالت : ما كان بين نزول : « يأيها المزمل » ، وقول الله تعالى فيها : « وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا . إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما » إلا يسير ، حتى أصاب الله قريشا بالوقعة يوم بدر .

قال ابن هشام : الأنكال : القيود ؛ واحدها : نكل . قال رؤبة بن العجاج :

يكفيك نكلى بغى كل نكل

وهذا البيت فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : ثم قال الله عز وجل : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » ، يعنى النفر الذين مشوا إلى أبى سفيان ، وإلى من كان له مال من قريش فى تلك التجارة ، فسألوهم أن يقووهم بها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعلوا .

ثم قال : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا » لحربك « فقد مضت سنة الأولين » أى من قتل منهم يوم بدر .

ثم قال تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » : أى حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ، ويكون التوحيد لله خالصا ليس له فيه شريك ، ويخلع ما دونه من الأنداد « فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير . وإن تولوا » عن أمرك إلى ما هم عليه من كفرهم « فاعلموا أن الله مولاكم » الذى أعزكم ونصركم عليهم يوم بدر فى كثرة عددهم وقلة عددكم « نعم المولى ونعم النصير » .

ثم أعلمهم مقاسم الفىء وحكمه فيه ، حين أحله لهم ، فقال « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير » أى يوم فرقت فيه بين الحق والباطل بقدرتى يوم التقى الجمعان منكم ومنهم « إذ أنتم بالعدوة الدنيا » من الوادى « وهم بالعدوة القصوى » من الوادى إلى مكة « والركب أسفل منكم » :

أى عير أبى سفيان التى خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم « ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد » أى ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم ، وقلة عددكم ماالقيتموهم « ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا » أى ليقضى ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الكفر وأهله عن غير بلاء منكم ففعل ما أراد من ذلك بلطفه ، ثم قال « ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حىَّ عن بينة ، وإن الله لسميع عليم » أى ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآية والعبرة ، ويؤمن من آمن على مثل ذلك .

ثم ذكر لطفه به وكيده له ، ثم قال : « إذ يريكهم الله فى منامك قليلا ، ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور » ، فكان ما أراك من ذلك نعمة من نعمه عليهم ، شجعهم بها على عدوهم ، وكف بها عنهم ما تخوّف عليهم من ضعفهم ، لعلمه بما فيهم .

ــ قال ابن هشام : تخوف : مبدلة من كلمة ذكرها ابن إسحاق ولم أذكرها (١)

« وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولا » : أى ليؤلف بينهم على الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه ، والإنعام على من أراد إتمام النعمة عليه ، من أهل ولايته .

ثم وعظهم وفهمهم وأعلمهم الذى ينبغى لهم أن يسيروا به فى حربهم، فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة » تقاتلونهم فى سبيل الله عز وجل « فاثبتوا واذكروا الله كثيراً » الذى له بذلتم أنفسكم ، والوفاء له بما أعطيتموه من بيعتكم « لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا » : أى لا تختلفوا فيتفرق أمركم « وتذهب ريحكم » أى وتذهب حدتكم « واصبروا إن الله مع الصابرين » أى إنى معكم إذا فعلتم ذلك « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس » : أى لا تكونوا كأبى جهل وأصحابه ، الذين قالوا : لا نرجع حتى نأتى بدرا فننحر بها الجزر ونسقى بها الخمر ، وتعزف علينا فيها القيان ، وتسمع العرب : أى لا يكون أمركم رياء ، ولا سمعة ، ولا التماس ما عند الناس وأخلصوا لله النية والحسبة فى نصر دينكم ، وموازرة نبيكم ، لا تعملوا إلا لذلك ولا تطلبوا غيره .

---

(١) يقال : إنها « تخوّنت » ، ولذلك أصلح ابن هشام اللفظ .

ثم قال تعالى : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس ، وإنى جار لكم » .

قال ابن هشام : وقد مضى تفسير هذه الآية .

قال ابن إسحاق : ثم ذكر الله تعالى أهل الكفر ، وما يلقون عند موتهم، ووصفهم بصفتهم وأخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عنهم ، حتى انتهى إلى أن قال « فإما تثقفنهم فى الحرب فشرّد بهم مَن خلفهم لعلهم يذكرون » أى فنكل بهم من ورائهم لعلهم يعقلون « وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . إلى قوله تعالى : « وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوفّ إليكم ، وأنتم لاتظلمون » أى لايضيع لكم عند الله أجره فى الآخرة ، وعاجل خلفه فى الدنيا ثم قال تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها »: أى إن دعوك إلى السلم على الإسلام فصالحهم عليه « وتوكل على الله » إن الله كافيك « إنه هو السميع العليم » .

قال ابن هشام : جنحوا للسلم : مالوا إليك للسلم . الجنوح : الميل . قال لبيد بن ربيعة :

جنوح الهالِكى على يديه مكبا يجتلى نقب النصال (١)

وهذا البيت فى قصيدة له والسلم أيضا : الصلح ، وفى كتاب الله عز وجل : « فلا تهنوا وتدعوا إلى السَّلم وأنتم الأعلون » ، ويقرأ : « إلى السِّلم »، وهو ذلك المعنى . قال زهير بن أبى سلمى :

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا بمال ومعروف من القول نسلم

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن هشام : وبلغنى عن الحسن بن أبى الحسن البصرى ، أنه كان يقول : « وإن جنحوا للسِّلم » للإسلام . وفى كتاب الله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السِّلم كافة » ، ويقرأ « فى السَّلم » ، وهو الإسلام . قال أمية بن أبى الصلت :

فما أنابوا لسلم حين تنذرهم رسل الإله وما كانوا له عضداً

وهذا البيت فى قصيدة له . وتقول العرب لدلو تُعمل مستطيلة : السَّلم . قال طرفة بن العبد أحد بنى قيس بن ثعلبة ، يصف ناقة له :

---

(١) الهالكى : الحداد والصيقل نسبة إلى أول من عمل الحدادة وهو الهالك بن أسد . ونقب النصال : جرب الحديد .

لها مرفقان أفتلان كأنما تمر بسلمَىْ دالج متشدد (١)

وهذا البيت فى قصيدة له :

« وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » هو من وراء ذلك . « هو الذى أيدك بنصره » بعد الضعف « وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم » على الهدى الذى بعثك الله به إليهم « لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم » بدينه الذى جمعهم عليه « إنه عزيز حكيم » .

ثم قال تعالى : « يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين . يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكن عشرون صابرون يغلبوا مئتين ، وإن يكن منكن مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقون » : أى لا يقاتلون على نية ولا حق ولا معرفة بخير ولا شر .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن عطاء بن أبى رباح ، عن عبد الله بن عباس قال : لما نزلت هذه الآية اشتد على المسلمين ، وأعظموا أن يقاتل عشرون مئتين ، ومئة ألفا ، فخفف الله عنهم ، فنسختها الآية الأخرى ، الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين » . قال : فكانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم أن يفروا منهم ، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم .

قال ابن إسحاق : ثم عاتبه الله تعالى فى الأسارى ، وأخذ المغانم ، ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مغنما من عدو له .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد أبو جعفر بن على بن الحسين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نصرت بالرعب ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، وأعطيت جوامع الكلم ، وأحلت لى المغانم ولم تحلل لنبى كان قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، خمس لم يؤتهن نبى قبلى .

قال ابن إسحاق : فقال : « ما كان لنبى » : أى قبلك « أن يكون له أسرى » من عدوه « حتى يثخن فى الأرض » ، أى يثخن (٢) عدوه ، حتى ينفيه من الأرض « تريدون عرض الدنيا » : أى المتاع ، الفداء بأخذ الرجال « والله يريد الآخرة » : أى قتلهم لظهور الدين الذى يريد إظهاره ، والذى تدرك به الآخرة « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم » : أى

---

(١) الدالج : الذى يحمل الدلو من البئر إلى الحوض ليفرغها فيه ، فهو يمشى متمهلا

(٢) الإثخان هنا : التضييق .

من الأسارى والمغانم ، عذاب عظيم » : أى لولا أنه سبق منى أنى لا أعذب إلا بعد النهى ولم يك نهاهم ، لعذبتكم فيما صنعتم ، ثم أحلها له ولهم رحمة منه ، وعائدة من الرحمن الرحيم ، «فكلوا مما غنمتم حلالا طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم » ثم قال «يأيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم »

وحض المسلمين على التواصل ، وجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية الدين دون من سواهم وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض ، ثم قال « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » أى إلا يوال المؤمن من دون الكافر ، وإن كان ذا رحم به : « تكن فتنة فى الأرض » أى شبهة فى الحق والباطل ، وظهور الفساد فى الأرض بتولى المؤمن الكافر دون المؤمن .

ثم رد المواريث إلى الأرحام ممن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار دونهم إلى الأرحام التى بينهم ، فقال : « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ، وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » أى بالميراث « إن الله بكل شىء عليم » .

من حضر بدرا من المسلمين

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من شهد بدراً من المسلمين ، ثم من قريش ، ثم من بنى هاشم بن عبد مناف وبنى المطلب بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة :

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ؛ وحمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، أسد الله ، وأسد رسوله ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وزيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى ابن امرىء القيس الكلبى ، أنعم الله عليه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس ابن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله بن رفيدة بن ثور بن كعب بن وبرة .

قال ابن إسحاق : وأنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام « أُنَسَة : حبشى ، وأبو كبشة : فارسى .

قال ابن إسحاق: وأبو مَرثد كناز بن حصن بن يربوع بن عمرو بن يربوع بن خرشة بن سعد بن طريف بن جلان بن غنم بن غني بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان .

قال ابن هشام : كناز بن حصين .

قال ابن إسحاق : وابنه مرثد بن أبي مرثد ، حليفا حمزة بن عبد المطلب ؛ وعبيدة بن الحارث بن المطلب ؛ وأخواه الطفيل بن الحارث ، والحصين بن الحارث ؛ ومسطح ، واسمه عوف بن أثاثة بن عباد بن المطلب . اثنا عشر رجلا

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ، قال : وأجري يارسول الله ، قال : وأجرك، وأبو حذيفة بن ربيعة بن عبد شمس وسالم ، مولى أبي حذيفة .

قال ابن هشام : واسم أبي حذيفة : مهشم .

قال ابن هشام : وسالم ، سائبة لثبيتة بنت يعار بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف ابن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، سيبته فانقطع إلى أبي حذيفة فتبناه : ويقال : كانت ثبيتة بنت يعار تحت أبي حذيفة بن عتبة ، فأعتقت سالما سائبة ، فقيل : سالم مولى أبي حذيفة .

قال ابن إسحاق : وزعموا أن صبيحا مولى أبي العاص بن أمية بن عبد شمس تجهز للخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مرض ، فحمل على بعيره أبا سلمة بن عبد الأسد بن هلال ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ ثم شهد صبيح بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وشهد بدراً من حلفاء بني عبد شمس ، ثم من بني أسد بن خزيمة : عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد وعكاشة بن محصن بن حرثان ابن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد ؛ وشجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد ؛ وأخوه عقبة بن وهب ؛ ويزيد بن رقيش ابن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد ، وأبو سنان بن محصن ابن حرثان بن قيس ، أخو عكاشة بن محصن ، وابنه سنان بن أبي سنان ، ومحرز بن نضلة بن عبد الله ابن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد، وربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر ابن غنم بن دودان بن أسد

ومن حلفاء بنى كبير بن غنم بن دودان بن أسد : ثقف بن عمرو ، وأخواه : مالك بن عمرو ومدلج بن عمرو .

قال ابن هشام : مدلاج بن عمرو .

قال ابن إسحاق : وهم من بنى حجر ، آل بنى سليم . وأبو مخشى ، حليف لهم . ستة عشر رجلا .

قال ابن هشام : أبو مخشى طائى ، واسمه : سويد بن مخشى .

قال ابن إسحاق : ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نُسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ، وخباب ، مولى عتبة بن غزوان — رجلان .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ؛ وحاطب بن أبى بلتعة ، وسعد مولى حاطب . ثلاثة نفر .

قال ابن هشام : حاطب بن أبى بلتعة ، واسم أبى بلتعة : عمرو ، لخمى ، وسعد مولى حاطب ، كلبى .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبد الدار بن قصى : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصى ، وسويبط بن سعد بن حرملة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار ابن قصى . رجلان .

ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، وسعد بن أبى وقاص — وأبو وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة . وأخوه عمير بن أبى وقاص .

ومن حلفائهم : المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو ابن سعد بن زهير بن ثور بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن هزل بن قائش بن دُريم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . قال بن هشام : ويقال : هزل بن قاس بن ذَر — ودَهير بن ثور .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن مسعود بن الحارث بن شَمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، ومسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب بن محلم بن عائذة بن سبيع بن الهون بن خزيمة ، من القارة .

قال ابن هشام : القارة : لقب لهم . ويقال :

قد أنصف القارة من راماها

وكانوا رماة .

قال ابن إسحاق : وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم بن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر ، من خزاعة .

قال ابن هشام : وإنما قيل له : ذو الشمالين ، لأنه كان أعسر ، واسمه عُمير .

قال ابن إسحاق : وخباب بن الأرت ، ثمانية نفر .

قال ابن هشام : خباب بن الأرت ، من بني تميم ، وله عقب ، وهم بالكوفة ، ويقال : خباب من خزاعة .

قال ابن إسحاق : ومن بني تيم من مرة ، أبو بكر الصديق ، واسمه عتيق بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم .

قال ابن هشام : اسم أبي بكر . عبد الله ، وعتيق : لقب ، لحسن وجهه وعتقه .

قال ابن إسحاق : وبلال ، مولى أبي بكر — وبلال مولد من مولّدي بني جُمح ، اشتراه أبو بكر من أمية بن خلف ، وهو بلال بن رباح ، لا عقب له ، وعامر بن فهيرة .

قال ابن هشام : عامر بن فهيرة ، مولد من مولدي الأسد ، أسود ، اشتراه أبو بكر منهم .

قال ابن إسحاق : وصهيب بن سنان ، من النمر بن قاسط .

قال ابن هشام : النمر : ابن قاسط بن هنب بن أقصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ويقال : أفصى بن دُعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، ويقال : صهيب ، مولى عبد الله ابن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ويقال : إنه رومي . فقال بعض من ذكر إنه من النمر بن قاسط : إنما كان أسيراً في الروم فاشتري منهم . وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : صهيب سابق الروم .

قال ابن إسحاق : وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، كان بالشأم ، فقدم بعد أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر ، فكلمه ، فضرب له بسهمه فقال : وأجري يارسول الله ؟ قال : وأجرك . خمسة نفر .

قال ابن إسحاق : ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة : أبو سلمة بن عبد الأسد واسم

أبى سلمة عبدالله بن عبد الأسد بن هلال بن عمر بن مخزوم، وشماس بن عثمان بن الشريد بن سويد ابن هرمى بن عامر بن مخزوم .

قال ابن هشام : واسم شماس : عثمان ، وإنما سمى شماسا ، لأن شماسا من الشمامسة قدم مكة فى الجاهلية ، وكان جميلا ، فعجب الناس من جماله . فقال عتبة بن ربيعة وكان خال شماس ها أنا آتيكم بشماس أحسن منه ، فأتى بابن أخته عثمان فسمى شماسا ، فيما ذكر ابن شهاب الزهرى وغيره .

قال ابن إسحاق : والأرقم بن أبى الأرقم ، واسم أبى الأرقم : عبد مناف بن أسد وكان أسد يكنى : أبا جندب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعمار بن ياسر .

قال ابن هشام : عمار بن ياسر ، عنسى ، من مذحج .

قال ابن إسحاق : ومعتب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب بن حبشية ابن سلول بن كعب بن عمرو ، حليف لهم من خزاعة ، وهو الذى يدعى : عيهامة . خمسة نفر .

ومن بنى عدى بن كعب : عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى وأخوه زيد بن الخطاب ، ومهجع ، مولى عمر بن الخطاب ، من أهل اليمن ، وكان أول قتيل من المسلمين بين الصفين يوم بدر ، رُمى بسهم .

قال ابن هشام : مهجع ، من عك بن عدنان .

قال ابن إسحاق : وعمرو بن سراقة بن المعتمر بن أنس بن أذاة بن عبد الله بن قرط بن رياح ابن رزاح بن عدى بن كعب ، وأخوه عبد الله بن سراقة ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف ابن عمرين ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، حليف لهم ، وخولى بن أبى خولى ، ومالك بن أبى خولى ، حليفان لهم .

قال ابن هشام : أبو خولى ، من بنى عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل

قال ابن إسحاق : وعامر بن ربيعة ، حليف آل الخطاب ، من عنز بن وائل .

قال ابن هشام : عنز بن وائل : ابن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار ، ويقال : أفصى : ابن دعمى بن جديلة .

قال ابن إسحاق : وعامر بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة ، من بنى سعد بن ليث ؛ وعاقل بن البكير ؛ وخالد بن البكير ، وإياس بن البكير ، حلفاء بنى عدى بن كعب ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن عدى بن كعب ، قدم من الشأم بعد ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر ، فكلمه ، فضرب له رسول

الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ، قال : وأجرى يا رسول الله ؟ قال : وأجرك . أربعة عشر رجلا .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة ابن جمح ، وابنه السائب بن عثمان ، وأخواه قدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون ، ومعمر ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح . خمسة نفر .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم . رجل .

قال ابن إسحاق : من بنى عامر بن لؤى ، ثم من بنى مالك بن حسل بن عامر : أبو سبرة ابن أبى رهم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، وعبد الله بن مخرمة بن عبد العزى بن قيس بن عبدود بن نصر بن مالك ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل — كان خرج مع أبيه سهيل بن عمرو ، فلما نزل الناس بدرا فر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهدها معه — وعمير بن عوف ، مولى سهيل بن عمرو ، وسعد بن خولة ، حليف لهم خمسة نفر .

قال ابن هشام : سعد بن خولة من اليمن .

قال ابن إسحاق : ومن بنى الحارث بن فهر : أبو عبيدة بن الجراح ، وهو عامر بن عبد الله ابن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ؛ وسهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أبى أهيب ابن ضبة بن الحارث ؛ وأخوه صفوان بن وهب ، وهما ابنا بيضاء ؛ وعمرو بن أبى سرح بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث . خمسة نفر .

فجميع من شهد بدراً من المهاجرين ، ومن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ، ثلاثة وثمانون رجلا .

قال ابن هشام : كثير من أهل العلم ، غير ابن إسحاق ، يذكرون فى المهاجرين ببدر ، فى بنى عامر بن لؤى : وهب بن سعد بن أبى سرح ، وحاطب بن عمرو ؛ وفى بنى الحارث بن فهر : عياض بن زهير .

قال ابن إسحاق : وشهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ، ثم من

الأنصار ، ثم من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى عبد الأشهل بن جشم ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس ابن زيد بن عبد الأشهل ؛ وعمرو بن معاذ بن النعمان ؛ والحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان والحارث بن أنس بن رافع بن امرىء القيس .

ومن بنى عُبيد بن كعب بن عبد الأشهل : سعد بن زيد بن مالك بن عبيد . ومن بنى زَعُورا ابن عبد الأشهل — قال ابن هشام : ويقال : زعورا — سلمة بن سلامة بن وقش بن زُغبة وعباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعورا ؛ وسلمة بن ثابت بن وقش ؛ ورافع بن يزيد بن كرز بن سكن بن زعورا ؛ والحارث بن خزمة بن عدى بن أبىّ بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو ابن عوف بن الخزرج حليف لهم من بنى عوف بن الخزرج . ومحمد بن مسلمة بن خالد بن عدى ابن مجدعة بن حارثة بن الحارث حليف لهم من بنى حارثة بن الحارث ، وسلمة بن أسلم بن حريش ابن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة بن الحارث .

قال ابن هشام : أسلم : بن حريس بن عدى .

قال ابن إسحاق : وأبو الهيثم بن التيهان ، وعبيد بن التيهان .

قال ابن هشام : ويقال : عتيك بن التيهان .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن سهل . خمسة عشر رجلا .

قال ابن هشام : عبد الله بن سهل : أخو بنى زعورا ؛ ويقال : غسان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ظفر ، ثم من بنى سواد بن كعب ، وكعب : هو ظفَر — قال ابن هشام : ظفر : ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر ابن سواد ؛ وعبيد بن أوس بن مالك بن سواد . رجلان .

قال ابن هشام : عبيد بن أوس الذى يقال له : مقرن ، لأنه قرن أربعة أسرى فى يوم بدر . وهو الذى أسر عقيل بن أبى طالب يومئذ .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبد بن رزاح بن كعب : نصر بن الحارث بن عبد ؛ ومعتب ابن عبد .

ومن حلفائهم ، من بلى : عبد الله بن طارق . ثلاثة نفر .

ومن بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : مسعود بن سعد ابن عامر بن عدى بن جشم بن مجدعة بن حارثة .

قال ابن هشام : ويقال : مسعود بن عبد سعد .

قال ابن إسحاق : وأبو عبس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم بن مجدعة بن حارثة .

ومن حلفائهم ، ثم من بلى : أبو بردة بن نيار ، واسمه : هانىء بن نيار بن عمرو بن عبيد ابن كلاب بن دهمان بن غنم بن ذبيان بن هُميم بن كاهل بن ذهل بن هنى بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . ثلاثة نفر .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ثم من بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : عاصم بن ثابت بن قيس . وقيس أبو الأقلح بن عصمة بن مالك بن أمة بن ضبيعة — ومعتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة؛ وأبو مليل بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة ؛ وعمرو بن معبد بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة .

قال ابن هشام : عُمير بن معبد .

قال ابن إسحاق : وسهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث : ابن عمرو ، وعمرو الذى يقال له : بحزج بن حنش بن عوف بن عمرو بن عوف . خمسة نفر .

ومن بنى أمية بن زيد بن مالك : مبشر بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية ؛ ورفاعة ابن عبد المنذر بن زنبر ؛ وسعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية ، وعويم ابن ساعدة ؛ ورافع بن عنجدة — وعنجدة أمه ، فيما قال ابن هشام — وعبيد بن أبى عبيد ؛ وثعلبة بن حاطب .

وزعموا أن أبا لبابة بن عبد المنذر ؛ والحارث بن حاطب خرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعهما ، وأمّر أبا لبابة على المدينة ، فضربَ لهما بسهمين مع أصحاب بدر . تسعة نفر .

قال ابن هشام : ردهما من الروحاء .

قال ابن هشام : وحاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية واسم أبى لبابة : بشير .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبيد بن زيد بن مالك : أُنيس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن عبيد .

ومن حلفائهم من بلى : مَعن بن عدى بن الجد بن العجلان بن ضبيعة وثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان ، وعبد الله بن سلمة بن مالك بن الحارث بن عدى بن العجلان ؛ وزيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان ؛ وربعى بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجد بن العجلان . وخرج عاصم بن عدى بن الجد بن العجلان ، فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر[1] . سبعة نفر .

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك — واسم البرك : امرؤ القيس بن ثعلبة — وعاصم بن قيس .

قال ابن هشام : عاصم بن قيس : ابن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وأبو ضَيّاح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة ؛ وأبو حنة .

قال ابن هشام : وهو أخو أبى ضياح ؛ ويقال : أبو حبة . ويقال لامرىء القيس : البُرك بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وسالم بن عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة .

قال ابن هشام : ويقال : ثابت : ابن عمرو بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : والحارث بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة ، وخوات بن جُبير بن النعمان ، ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم مع أصحاب بدر . سبعة نفر .

ومن بنى جحجبىّ بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف : منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة ابن الجلاح بن الحريش بن جحجبى بن كلفة .

قال ابن هشام : ويقال : الحريس بن جحجبى .

قال ابن إسحاق : ومن حلفائهم من بنى أنيف : أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة بن بيْحان

---

(١) ورده لأنه بلغه شىء عن أهل مسجد الضرار وكان قد استخلفه على قباء والعالية فرده ينظر فى ذلك .

ابن عامر بن الحارث بن مالك بن عامر بن أنيف بن جشم بن عبد الله بن تيم بن إراش بن عامر بن عميلة بن قسميل بن فاران بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال تميم بن إراشة ، وقسميل بن فاران .

قال ابن إسحاق : ومن بنى غنم بن السلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس : سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم ؛ ومنذر بن قدامة ابن عرفجة ؛ ومالك بن قدامة بن عرفجة .

قال ابن هشام : عرفجة : ابن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم .

قال ابن إسحاق : والحارث بن عرفجة ؛ وتميم ، مولى بنى غنم . خمسة نفر .

قال ابن هشام : تميم : مولى سعد بن خيثمة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : جبر بن عتيك ابن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية ؛ ومالك بن نميلة ، حليف لهم من مزينة ؛ والنعمان بن عصر ، حليف لهم من بلى : ثلاثة نفر .

فجميع من شهد بدراً من الأوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ضرب له بسهمه وأجره ، أحد وستون رجلا .

قال ابن إسحاق : وشهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ، ثم من الأنصار ثم من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى الحارث بن الخزرج ، ثم من بنى امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : خارجة بن زيد بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس ؛ وسعد بن ربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك ابن امرىء القيس ؛ وعبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس ؛ وخلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس . أربعة نفر .

ومن بنى زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد — قال ابن هشام : ويقال : جلاس ، وهو عندنا خطأ — وأخوه سماك بن سعد . رجلان .

ومن بنى عدى بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : سبيع بن قيس بن عيشة ابن أمية بن مالك بن عامر بن عدى ؛ وعباد بن قيس بن عيشة ، أخوه .

قال ابن هشام : ويقال : قيس : ابن عبسة بن أمية .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن عَبس . ثلاثة نفر .

ومن بنى أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر ، وهو الذى يقال له : ابن فُسحم . رجل .

قال ابن هشام : فسحم أمه ، وهى امرأة من القين بن جسر .

قال ابن إسحاق : ومن بنى جُشم بن الحارث بن الخزرج ، وزيد بن الحارث بن الخزرج ، وهما التوءمان : خبيب بن إساف بن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم ؛ وعبد الله ابن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد ؛ وأخوه حريث بن زيد بن ثعلبة ؛ زعموا ، وسفيان بن بشر . أربعة نفر .

قال ابن هشام : سفيان بن نَسْر بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد .

قال ابن إسحاق : ومن بنى جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج : تميم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية بن جدارة ؛ وعبد الله بن عمير من بنى حارثة .

قال ابن هشام : ويقال : عبد الله بن عمير بن عدى بن أمية بن جدارة .

قال ابن إسحاق : وزيد بن المزّين بن قيس بن عدى بن أمية بن جدارة .

قال ابن هشام : زيد بن المرّى .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن عرفطة بن عدى بن أمية بن حدارة ، أربعة نفر .

ومن بنى الأبجر ، وهم بنو خُدرة ، بن عوف بن الحارث بن الخزرج : عبد الله بن ربيع ابن قيس بن عمرو بن عباد بن الأبجر . رجل .

ومن بنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج ، وهم بنو الحبلى — قال ابن هشام : الحبلى : سالم بن غنم بن عوف ، وإنما سمى الحبلى ، لعظم بطنه — : عبد الله بن عبد الله بن أبىّ بن مالك بن الحارث بن عبيد المشهور بابن سلول ، وإنما سلول امرأة ، وهى أم أبى : وأوس بن خولى بن عبد الله بن الحارث بن عبيد . رجلان .

ومن بنى جَزء بن عدى بن مالك بن سالم بن غنم : زيد بن وديعة بن عمرو بن قيس بن جزء ؛ وعقبة بن وهب بن كلدة ، حليف لهم من بنى عبد الله بن غطفان ؛ ورفاعة بن عمرو بن زيد

ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم ، وعامر بن سلمة بن عامر ، حليف لهم من أهل اليمن . قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن سلمة وهو من بلى ، من قضاعة .

قال ابن إسحاق : وأبو حميضة مَعبد بن عباد بن قشير بن المقدم بن سالم بن غنم .

قال ابن هشام : معبد بن عبادة بن قشعر بن المقدم ، ويقال : عبادة بن قيس بن القدم .

وقال ابن إسحاق : وعامر بن البكير ، حليف لهم . ستة نفر .

قال ابن هشام : عامر بن العُكير ، ويقال : عاصم بن العكير .

قال ابن إسحاق : ومن بنى سالم بن عوف بن عمرو بن الخزرج ، ثم من بنى العجلان بن زيد ابن غنم بن سالم : نوفل بن عبد الله بن نضلة بن مالك بن العجلان رجل .

ومن بنى أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غَنم بن سالم بن عوف — قال ابن هشام : هذا غنم ابن عوف ، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وغنم بن سالم ، الذى قبله على ما قال ابن إسحـــاق — : عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم ، وأخوه أوس بن الصامت . رجلان .

ومن بنى دعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم : النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد ، والنعمان الذى يقال له . قوقل . رجل .

ومن بنى قُريوش بن غنم بن أمية بن لوذان بن سالم — قال ابن هشام : ويقال قريوس ابن غنم — ثابت بن هزّال بن عمرو بن قريوش . رجل .

ومن بنى مرضخة بن غنم بن سالم : مالك بن الدخشم بن مرضخة . رجل .

قال ابن هشام : مالك بن الدخشم : ابن مالك بن الدخشم بن مرضخة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى لوذان بن سالم : ربيع بن إياس بن عمرو بن غنم بن أمية بن لوذان ، وأخوه ورقة بن إياس ، وعمرو بن إياس ، حليف لهم من أهل اليمن . ثلاثة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن إياس ، أخو ربيع وورقة .

قال ابن إسحاق : ومن حلفائهم من بلى ، ثم من بنى غُصينة — قال ابن هشام : غصينة أمهم ، وأبوهم عمرو بن عمارة — المجذر بن ذياد بن عمرو بن زمزمة بن عمرو بن عمارة بن مالك بن غصينة بن عمرو بن بتيرة بن مشنوّ بن قسر بن تيم بن إراش بن عامر بن عميلة بن قسميل ابن فران بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

قال ابن هشام : ويقال : قتير بن تميم بن إراشة ، وقسميل بن فاران . واسم المجذر : عبد الله .

قال ابن إسحاق : وعبادة بن الخشخاش بن عمرو بن زمزمة ، ونحاب بن ثعلبة بن حزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة .

قال ابن هشام : ويقال بحاث بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن ثعلبة بن حزمة بن أصرم . وزعموا أن عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية — حليف لهم — من بهراء ، قد شهد بدراً ، خمسة نفر .

قال ابن هشام : عتبة بن بهز ، من بنى سليم .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ، ثم من بنى ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة : أبو دجانة ، سماك بن خرشة .

قال ابن هشام : أبو دجانة : سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان بن عبد ود بن زيد ابن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال : المنذر : ابن عمرو بن خنبش .

قال ابن إسحاق : ومن بنى البدى بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة : أبو أسيد مالك بن ربيعة بن البدى ، ومالك بن مسعود وهو إلى البدى . رجلان .

قال ابن هشام : مالك بن مسعود : ابن البدى ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ومن بنى طريف بن الخزرج بن ساعدة : عبد ربه بن حق بن أوس بن وقش بن ثعلبة بن طريف . رجل .

ومن حلفائهم ، من جهينة : كعب بن حمار بن ثعلبة .

قال ابن هشام : ويقال : كعب : ابن جماز ، وهو من غبشان .

قال ابن إسحاق : وضمرة وزياد وبسبس ، بنو عمرو .

قال ابن هشام : ضمرة وزياد ، ابنا بشر .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن عامر ، من بلى . خمسة نفر .

ومن بنى جشم بن الخزرج ، ثم من بنى سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد ابن جشم بن الخزرج، ثم من بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة : خراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، والحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام ؛ وعمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام : وتميم مولى خراش بن الصمة ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ابن ثعلبه بن حرام ، ومعاذ بن عمرو بن الجموح ؛ ومعوذ بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام، وخلاد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ؛ وعقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام ، وحبيب بن أسود ، مولى لهم ، وثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام . اثناعشر رجلا.

قال ابن هشام : وكل ماكان هاهنا الجموح ، فهو الجموح بن زيد بن حرام ، إلا ماكان من جد الصمة بن عمرو ، فإنه الجموح بن حرام .

قال ابن هشام : عمير بن الحارث : ابن لبدة بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة ، ثم من بنى خنساء بن سنان ابن عبيد : بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن مالك بن خنساء ، والطفيل بن مالك بن خنساء ، والطفيل بن النعمان بن خنساء ، وسنان بن صيفى بن صخر بن خنساء ، وعبد الله بن الجد بن قيس ابن صخر بن خنساء ، وعتبة بن عبد الله بن صخر بن خنساء ، وجبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، وخارجة بن حُمَيِّر ، وعبد الله بن حمير ، حليفان لهم من أشجع ، من بنى دهمان . تسعة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : جبار : بن صخر بن أمية بن خناس .

قال ابن إسحاق : ومن بنى خناس بن سنان بن عبيد : يزيد بن المنذر بن سرح بن خناس ، ومعقل بن المنذر بن سرح بن خناس ، وعبد الله بن النعمان ابن بلدمة .

قال ابن هشام : ويقال : بلذُمة وبلدُمة .

قال ابن إسحاق : والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن عدى ، وسواد بن زريق ابن ثعلبة بن عبيد بن عدى .

قال ابن هشام : ويقال : سوّاد : ابن رزن بن زيد بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : ومعبد بن قيس بن صخر بن حرام بن ربيعة بن عدى بن غنم بن كعب ابن سلمة . ويقال : معبد بن قيس : ابن صيفى بن صخر بن حرام بن ربيعة ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن قيس بن صخر بن حرام بن ربيعة بن عدى بن غنم . سبعة نفر.

ومن بنى النعمان بن سنان بن عبيد : عبد الله بن عبد مناف بن النعمان ، وجابر بن عبد الله

ابن رئاب بن النعمان : وخُليدة بن قيس بن النعمان . والنعمان بن سنان ، مولى لهم . أربعة نفر .

ومن بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة ، ثم من بنى حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد — قال ابن هشام : عمرو بن سواد ، ليس لسواد ابن يقال له غنم — : أبو المنذر ، وهو يزيد بن عامر بن حديدة ؛ وسليم بن عمرو بن حديدة ؛ وقطبة بن عامر بن حديدة ؛ وعنترة مولى سليم ابن عمرو . أربعة نفر .

قال ابن هشام : عنترة ، من بنى سليم بن منصور ، ثم من بنى ذكوان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عدى بن نابى بن عمرو بن سواد بن غنم : عبس بن عامر بن عدى ، وثعلبة بن غنمة بن عدى ، وأبو اليسر ، وهو كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم ابن سواد ، وسهل بن قيس بن أبى كعب بن القين بن كعب بن سواد ، وعمرو بن طلق بن زيد ابن أمية بن سنان بن كعب بن غنم ، ومعاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب بن عدى بن أدى بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبه بن عمرو بن عامر . ستة نفر .

قال ابن هشام : أوس : ابن عباد بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى بن سعد .

قال ابن هشام : وإنما نسب ابن إسحاق معاذ بن جبل فى بنى سواد ، وليس منهم ، لأنه فيهم .

قال ابن إسحاق : والذين كسروا آلهة بنى سلمة : معاذ بن جبل ، وعبد الله بن أنيس وثعلبة ابن غنمة وهم فى بنى سواد بن غنم .

قال ابن إسحاق : ومن بنى زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج ، ثم من بنى مخلد بن عامر بن زريق — قال ابن هشام : ويقال : عامر : ابن الأزرق — قيس بن محصن بن خالد بن مخلد .

قال ابن هشام : ويقال : قيس : ابن حصن .

قال ابن إسحاق : وأبو خالد وهو الحارث بن قيس بن خالد بن مخلد وجبير بن إياس بن خالد ، بن مخلد ، وأبو عبادة ، وهو سعد بن عثمان بن خلدة بن مخلد وأخوه عقبة بن عثمان بن خلدة ، بن مُخلّد وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد ؛ ومسعود بن خلدة ، بن عامر بن مخلد . سبعة نفر .

ومن بنى خالد بن عامر بن زريق : عباد بن قيس بن عامر بن خالد . رجل .

ومن بنى خالدة بن عامر بن زريق : أسعد بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خلدة ، والفاكه ابن بشر بن الفاكه بن زيد بن خلدة .

قال ابن هشام : بُسر بن الفاكه .

قال ابن إسحاق : ومعاذ بن ماعص بن قيس بن خلدة ؛ وأخوه : عائذ بن ماعص بن قيس ابن خلدة ؛ ومسعود بن سعد بن قيس بن خلدة . خمسة نفر .

ومن بنى العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق : رفاعة بن رافع بن العجلان ، وأخوه خلاد ابن رافع بن مالك بن العجلان وعبيد بن زيد بن عامر بن العجلان . ثلاثة نفر .

ومن بنى بياضة بن زريق : زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى بن أمية بن بياضة ؛ وفروة بن عمرو بن وذفة بن عبيد بن عامر بن بياضة .

قال ابن هشام ؛ ويقال : ودفة .

قال ابن إسحاق : وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة : ورجيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة .

قال ابن هشام ؛ ويقال : رخيلة .

قال ابن إسحاق : وعطية بن نويرة بن عامر بن عطية بن بياضة ؛ وخليفة بن عدى بن عمرو ابن مالك بن عامر بن فهيرة بن بياضة . ستة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : عُليفة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج : رافع بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن عدى بن زيد بن ثعلبة بن زيد مناة بن حبيب رجل .

قال ابن إسحاق : ومن بنى النجار ، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، ثم من بنى غنم بن مالك بن النجار ، ثم من بنى ثعلبة بن عبد عوف بن غنم : أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة . رجل .

ومن بنى عُسيرة بن عبد عوف بن غنم : ثابت بن خالد بن النعمان ابن خنساء بن عسيرة . رجل .
قال ابن هشام : ويقال : عُسير ، وعُشيرة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عمرو بن عوف بن غنم : عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو ، وسراقة بن كعب بن عبد العزى بن غزية بن عمرو . رجلان .

ومن بنى عبيد بن ثعلبة بن غنم: حارثة بن النعمان بن زيد بن عبيد، وسليم بن قيس بن قهد؛ واسم قهد: خالد بن قيس بن عبيد. رجلان.

قال ابن هشام: حارثة بن النعمان: ابن نفع بن زيد.

قال ابن إسحاق: ومن بنى عائذ بن ثعلبة بن غنم — ويقال عابد فيما قال ابن هشام —: سهيل ابن رافع بن أبى عمرو بن عائذ وعدى بن الزغباء، حليف لهم من جهينة. رجلان.

ومن بنى زيد بن ثعلبة بن غنم: مسعود بن أوس بن زيد؛ وأبو خزيمة بن أوس بن زيد؛ ابن أصرم بن زيد، ورافع بن الحارث بن سواد بن زيد. ثلاثة نفر.

ومن بنى سواد بن مالك بن غنم: عوف، ومعوذ، ومعاذ، بنو الحارث بن رفاعة بن سواد؛ وهم بنو عفراء.

قال ابن هشام: عفراء بنت عُبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، ويقال: رفاعة: ابن الحارث بن سواد.

قال ابن إسحاق: والنعمان بن عمرو بن رفاعة بن سواد؛ ويقال: نُعيمان فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعامر بن مخلد بن الحارث بن سواد؛ وعبدالله بن قيس ابن خالد بن خلدة بن الحارث بن سواد، وعُصيمة، حليف لهم من أشجع، ووديعة بن عمرو، حليف من جهينة؛ وثابت بن عمرو بن زيد بن عدى بن سواد. وزعموا أن أبا الحمراء، مولى الحارث ابن عفراء، قد شهد بدرا. عشرة نفر.

قال ابن هشام: أبو الحمراء، مولى الحارث بن رفاعة.

قال ابن إسحاق: ومن بنى عامر بن مالك بن النجار — وعامر: مبذول — ثم من بنى عتيك ابن عمرو بن مبذول: ثعلبة بن عمرو بن محصن بن عمرو بن عتيك؛ وسهل بن عتيك بن عمرو ابن النعمان بن عتيك؛ والحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك، كُسر به بالروحاء فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه. ثلاثة نفر.

ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار — وهم بنو حُديلة — ثم من بنى قيس بن عبيد بن زيد ابن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار،

قال ابن هشام: حديلة بنت مالك بن زيد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب ابن جشم بن الخزرج، وهى أم معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، فبنو معاوية ينتسبون إليها.

قال ابن إسحاق : أبي بن كعب بن قيس ، وأنس بن معاذ بن أنس بن قيس . رجلان .

ومن بني عدى بن عمرو بن مالك بن النجار .

قال ابن هشام : وهم بنو مَغالة بنت عوف بن عبد مناة بن عمرو بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، ويقال : إنها من بني زُرَيق ، وهي أم عدى بن عمرو بن مالك بن النجار ، فبنو عدى ينسبون إليها .

أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى ، وأبو شيخ أُبيّ بن ثابت ابن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى .

قال ابن هشام : أبو شيخ بن أُبي بن ثابت ، أخو حسان بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وأبو طلحة ، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد ابن عدى . ثلاثة نفر .

ومن بني عدى بن النجار ، ثم من بني عدى بن عامر بن غنم بن النجار : حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر ، وعمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى ابن مالك بن عدى بن عامر وهو أبو حكيم ، وسليط بن قيس بن عمرو بن عتيك بن مالك بن عدى بن عامر ، وأبو سليط ، وهو أُسيرة بن عمرو ، وعمرو أبو خارجة بن قيس بن مالك بن عدى بن عامر ، وثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر ، وعامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس بن مالك بن عدى بن عامر ، ومحرز بن عامر بن مالك بن عدى بن عامر ، وسواد بن غزية بن أهيب ، حليف لهم من بلى . ثمانية نفر .

قال ابن هشام : ويقال : سوّاد .

قال ابن إسحاق : ومن بني حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار : أبو زيد قيس بن سكن بن قيس بن زعوراء بن حرام ، وأبو الأعور بن الحارث بن ظالم بن عبس بن حرام .

قال ابن هشام : ويقال : أبو الأعور : الحارث بن ظالم .

قال ابن إسحاق : وسُليم بن ملحان ، وحرام بن ملحان ـ واسم ملحان : مالك بن خالد ابن زيد بن حرام . أربعة نفر .

ومن بنى مازن بن النجار، ثم من بنى عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار: قيس بن أبى صعصعة، واسم أبى صعصعة: عمرو بن زيد بن عوف. وعبدالله بن كعب بن عمرو بن عوف؛ وعصيمة، حليف لهم من بنى أسد بن خزيمة: ثلاثة نفر.

ومن بنى خنساء بن مبذول بن عمرو بن مازن: أبو داود عمير بن عامر بن مالك بن خنساء، وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء. رجلان.

ومن بنى ثعلبة بن مازن بن النجار: قيس بن مخلد بن ثعلبة بن صخر بن حبيب بن الحارث ابن ثعلبة. رجل.

ومن بنى دينار بن النجار، ثم من بنى مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار: النعمان بن عبد عمرو بن مسعود، والضحاك بن عبد عمرو بن مسعود، وسليم بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن حارثة بن دينار، وهو أخو الضحاك، والنعمان ابنى عبد عمرو، لأمها، وجابر بن خالد بن عبد الأشهل ابن حارثة، وسعد بن سهيل بن عبد الأشهل: خمسة نفر.

ومن بنى قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دينار بن النجار: كعب بن زيد بن قيس وبجير ابن أبى بجير، حليف لهم. رجلان.

قال ابن هشام: بجير: من عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان، ثم من بنى جذيمة بن رواحة.

قال ابن إسحاق: فجميع من شهد بدرا من الخزرج مئة وسبعون رجلا.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم يذكر فى الخزرج ببدر، فى بنى العجلان بن زيد بن غنم ابن سالم بن عمرو بن عوف بن الخزرج: عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان، ومليل بن وبرة ابن خالد بن العجلان، وعصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان.

وفى بنى حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، وهم فى بنى زريق هلال بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن عدى بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن زيد مناة بن حبيب.

قال ابن إسحاق: فجميع من شهد بدرا من المسلمين، من المهاجرين والأنصار من شهدها منهم، ومن ضرب له بسهمه وأجره، ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلا، من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلا، ومن الأوس واحد وستون رجلا، ومن الخزرج مئة وسبعون رجلا.

من استشهد من المسلمين يوم بدر

واستشهد من المسلمين يوم بدر ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من قريش ، ثم من بني المطلب بن عبد مناف : عبيدة بن الحارث بن المطلب ، قتله عتبة بن ربيعة ، قطع رجله ، فمات بالصفراء . رجل .

ومن بني زهرة بن كلاب . عُمير بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وهو أخو سعد بن أبي وقاص ، فيما قال ابن هشام ، وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة ، حليف لهم من خزاعة ، ثم من بني غبشان . رجلان .

ومن بني عدي بن كعب بن لؤي : عاقل بن البكير ، حليف لهم من بني سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، ومهجع ، مولى عمر بن الخطاب . رجلان .

ومن بني الحارث بن فهر : صفوان بن بيضاء رجل . ستة نفر .

ومن الأنصار ، ثم من بني عمرو بن عوف : سعد بن خيثمة ، ومبشر بن عبد المنذر بن زنبر . رجلان .

ومن بني الحارث بن الخزرج : يزيد بن الحارث ، وهو الذي يقال له . ابن فسُحم . رجل .

ومن بني سلمة ، ثم من بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة عمير بن الُحمام . رجل .

ومن بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم : رافع بن المعلى . رجل .

ومن بني النجار : حارثة بن سراقة بن الحارث . رجل .

ومن بني غنم بن مالك بن النجار : عوف ومعوذ ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد ، وهما ابنا عفراء . رجلان . ثمانية نفر .

من قتل ببدر من المشركين

وقتل من المشركين يوم بدر من قريش ، ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف : حنظلة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، قتله زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ابن هشام ، ويقال : اشترك فيه حمزة وعلي وزيد ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : والحارث بن الحضرمي ، وعامر بن الحضرمي حليفان لهم قتل عامراً :

عمار بن ياسر ، وقتل الحارث : النعمان بن عصر ، حليف للأوس ، فيما قال ابن هشام . وعمير ابن أبي عمير ، وابنه : موليان لهم . قتل عمير بن أبي عمير : سالم ، مولى أبي حذيفة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعبيدة بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، قتله الزبير بن العوام ، والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية قتله على بن أبي طالب . وعقبة بن أبي معيط ابن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، أخو بني عمرو بن عوف ، صبرا [1] .

قال ابن هشام : ويقال : قتله على بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق . وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، قتله عبيدة بن الحارث بن المطلب .

قال ابن هشام : اشترك فيه هو وحمزة وعلى .

قال ابن إسحاق ؛ وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، والوليد بن عتبة بن ربيعة ، قتله على بن أبي طالب ، وعامر بن عبد الله ، حليف لهم من بني أنمار بن بغيض ، قتله على بن أبي طالب . اثنا عشر رجلا .

ومن بني نوفل بن عبد مناف : الحارث بن عامر بن نوفل ، قتله — فيما يذكرون — خبيب بن أبي إساف ، أخو بني الحارث بن الخزرج ، وطُعيمة بن عدى بن نوفل ، قتله على ابن أبي طالب ، ويقال : حمزة بن عبد المطلب . رجلان .

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصى : زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد .

قال ابن هشام : قتله ثابت بن الجذع ، أخو بني حرام ، فيما قال ابن هشام .

ويقال : اشترك فيه حمزة وعلى بن أبي طالب وثابت .

قال ابن إسحاق : والحارث بن زَمعة ، قتله عمار بن ياسر — فيما قال بن هشام — وعقيل بن الأسود بن المطلب ، قتله حمزة وعلى ، اشتركا فيه — فيما قال ابن هشام — وأبو البَختَرى ، وهو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد ، قتله المجذر بن ذياد البلوى .

قال ابن هشام : أبو البخترى : العاص بن هاشم .

---

(١) قتل صبرا شدت يداه ورجلاه ، أو أمسك به أحد ليقتل .

قال ابن إسحاق : ونوفل بن خويلد بن أسد ، وهو ابن العدوية ، عدى خزاعة ، وهو الذى قرن أبا بكر الصديق ، وطلحة بن عبيد الله حين أسلما فى حبل ، فكانا يسميان : القرينين لذلك ، وكان من شياطين قريش — قتله على بن أبى طالب . خمسة نفر .

ومن عبد الدار بن قصى : النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله على بن أبى طالب صبراً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء ، فيما يذكرون .

قال ابن هشام : بالأثيل [1] . قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث : بن علقمة ابن كلدة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : وزيد بن مليص مولى عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . رجلان .

قال ابن هشام : قتل زيد بن مليص بلال بن رباح ، مولى أبى بكر ، وزيد حليف لبنى عبد الدار ، من بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، ويقال : قتله المقداد بن عمرو .

قال ابن إسحاق : ومن بنى تيم بن مرة : عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم .

قال ابن هشام : قتله على بن أبى طالب . ويقال : عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ، قتله صهيب ابن سنان . رجلان .

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : أبو جهل بن هشام — واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم — ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح ، فقطع رجله ، وضرب ابنه عكرمة يد معاذ فطرحها ، ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبته [2] ، ثم تركه وبه رمق : ثم ذفف عليه [3] عبد الله بن مسعود ، واحتز رأسه ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتمس فى القتلى — والعاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، قتله عمر بن الخطاب ، ويزيد بن عبد الله ، حليف لهم من بنى تميم .

---

(١) الأثيل : موضع قريب من المدينة .

(٢) أثبته : جرحه جراحة بالغة لا يقوم معها

(٣) ذفف عليه : أسرع قتله .

قال ابن هشام : ثم أحد بنى عمرو بن تميم ، وكان شجاعا ، قتله عمار بن ياسر .

قال ابن إسحاق : وأبو مسافع الأشعرى ، حليف لهم ، قتله أبو دجانة الساعدى — فيما قال ابن هشام — وحرملة بن عمرو ، حليف لهم .

قال ابن هشام : قتله خارجه بن زيد بن أبى زهير ، أخو بلحارث بن الخزرج ، ويقال : بل على بن أبى طالب — فيما قال ابن هشام — وحرملة ، من الأسد .

قال ابن إسحاق : ومسعود بن أبى أمية بن المغيرة ، قتله على بن أبى طالب — فيما قال ابن هشام — وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة .

قال ابن هشام : قتله بن حمزة بن عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، قتله على بن أبى طالب ، ويقال : قتله عمار بن ياسر ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ورفاعة بن أبى رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قتله سعد بن الربيع ، أخو بلحارث بن الخزرج ، فيما قال ابن هشام : والمنذ بن أبى رفاعة بن عابد قتله معن بن عدى بن الجد بن العجلان حليف بنى عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف فيما قال ابن هشام ، وعبد الله بن المنذر بن أبى رفاعة بن عابد ، قتله على بن أبى طالب ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : والسائب بن أبى السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

قال ابن هشام : السائب بن أبى السائب شريك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جاء فيه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم الشريك السائب لايشارى ولا يمارى ، وكان أسلم فحسن إسلامه — فيما بلغنا — والله أعلم .

وذكر ابن شهاب الزهرى عن عبيدالله بن عتبة ، عن ابن عباس : أن السائب بن أبى السائب ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، وأعطاه يوم الجعرانة من غنائم حنين .

قال ابن هشام : وذكر غير ابن إسحاق : أن الذى قتله الزبير بن العوام .

قال ابن إسحاق : والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، قتله حمزة ابن عبد المطلب ، وحاجب بن السائب بن عويمر بن عمر بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم — قال ابن هشام : ويقال : عائذ : ابن عمران بن مخزوم ، ويقال : حاجز بن السائب — والذى قتل حاجب بن السائب على بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وعويمر بن السائب بن عويمر ، قتله النعمان بن مالك القوقلى مبارزة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعمرو بن سفيان ، وجابر بن سفيان ، حليفان لهم من طيء قتل عمراً يزيد بن رقيش ، وقتل جابراً أبو بُردة بن نيار فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : سبعة عشر رجلا .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى : منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة ابن سعد بن سهم ، قتله أبو اليسر ، أخو بنى سلمة ، وابنه العاص بن منبه بن الحجاج قتله على بن أبى طالب ، فيما قال ابن هشام . ونُبيه بن الحجاج بن عامر قتله حمزة بن عبد المطلب وسعد ابن أبى وقاص اشتركا فيه ، فيما قال ابن هشام ، وأبو العاص بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم . قال ابن هشام : قتله على بن أبى طالب ، ويقال : النعمان بن مالك القوقلى ، ويقال : أبو دجانة .

قال ابن إسحاق : وعاصم بن عوف بن ضبيرة بن سعيد بن سهم ، قتله أبو اليَسر ، أخو بنى سلمة ، فيما قال ابن هشام : خمسة نفر .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى : أمية بن خلف بن وهب بن جمح ، قتله رجل من الأنصار من بنى مازن .

قال ابن هشام : ويقال : بل قتله معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وخبيب بن إساف ، اشتركوا فى قتله .

قال ابن اسحاق : وابنه على بن أمية بن خلف ، قتله عمار بن ياسر ، وأوس بن معير بن لوذان بن سعد بن جمح ، قتله على بن أبى طالب فيما قال ابن هشام ، ويقال : قتله الحصين بن الحارث بن المطلب وعثمان بن مظعون ، اشتركا فيه ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ثلاثة نفر .

ومن بنى عامر بن لؤى : معاوية بن عامر ، حليف لهم من عبد القيس ، قتله على بن أبى طالب ويقال : قتله عكاشة بن محصن ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ومعبد بن وهب ، حليف لهم من بنى كلب بن عوف بن كعب بن عامر ابن ليث ، قتل معبداً خالد وإياس ابنا البُكير ، ويقال : أبو دجانة ، فيما قال ابن هشام . رجلان .

قال ابن هشام : فجميع من أحصى لنا من قتلى قريش يوم بدر . خمسون رجلا .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة ، عن أبى عمرو : أن قتلى بدر من المشركين كانوا سبعين رجلا ، والأسرى كذلك ، وهو قول ابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وفى كتاب الله تبارك وتعالى : « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها » يقوله لأصحاب أحد — وكان من استشهد منهم سبعين رجلا — يقول : قد أصبتم يوم بدر مثلى من استشهد منكم يوم أحد ، سبعين قتيلا وسبعين أسيراً . وأنشدنى أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك :

فأقام بالعَطَن المعطن منهم سبعون ، عتبة منهم والأسود

قال ابن هشام : يعنى قتلى بدر . وهذا البيت فى قصيدة له فى حديث يوم أحد سأذكرها إن شاء الله تعالى فى موضعها .

قال ابن هشام : وممن لم يذكر ابن إسحاق من هؤلاء السبعين القتلى :

من بنى عبد شمس بن عبد مناف : وهب بن الحارث ، من بنى أنمار بن بغيض ، حليف لهم وعامر بن زيد ، حليف لهم من اليمن رجلان .

ومن بنى أسد بن عبد العزى : عقبة بن زيد ، حليف لهم من اليمن ، وعمير مولى لهم . رجلان

ومن بنى عبد الدار بن قصى : نبيه بن زيد بن مليص ، وعبيد بن سليط ، حليف لهم من قيس . رجلان .

ومن بنى تيم بن مرة : مالك بن عبيد الله بن عثمان وهو أخو طلحة بن عبيد الله بن عثمان أسر فمات فى الأسارى ، فعد فى القتلى ، ويقال : وعمرو بن عبد الله بن جُدعان . رجلان .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : حذيفة بن أبى حذيفة بن المغيرة ، قتله سعد بن أبى وقاص وهشام بن أبى حذيفة بن المغيرة ، قتله صهيب بن سنان ، وزهير بن أبى رفاعة ، قتله أبو أسيد مالك بن ربيعة ، والسائب بن أبى رفاعة ، قتله عبد الرحمن بن عوف ، وعائذ بن السائب بن عويمر ، أسر ثم افتدى فمات فى الطريق من جراحة جرحه إياها حمزة بن عبد المطلب ، وعمير حليف لهم من طيىء ، وخيار ، حليف لهم من القارة . سبعة نفر .

ومن بنى جمح بن عمرو : سبرة بن مالك ، حليف لهم . رجل

ومن بنى سهم بن عمرو : الحارث بن منبه بن الحجاج ، قتله صهيب بن سنان ، وعامر بن عوف بن ضبيرة أخو عاصم بن ضبيرة ، قتله عبد الله بن سلمة العجلانى ، ويقال : أبو دجانة رجلان

ذكر أسرى قريش يوم بدر

قال ابن إسحاق : وأسر من المشركين من قريش يوم بدر ، من بنى هاشم بن عبد مناف : عقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ؛ ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم .

ومن بنى المطلب بن عبد مناف السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ؛ ونعمان ابن عمرو بن علقمة بن المطلب . رجلان .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : عمرو بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ؛ والحارث بن أبى وجزة بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس . ويقال : ابن أبى وحرة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، وأبو العاص ابن نوفل بن عبد شمس .

ومن حلفائهم : أبو ريشة بن أبى عمرو ؛ وعمرو بن الأزرق ؛ وعقبة بن عبد الحارث ابن الحضرمى . سبعة نفر .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عدى بن الخيار بن عدى بن نوفل ؛ وعثمان بن عبد شمس ابن أخى غزوان بن جابر ، حليف لهم من بنى مازن بن منصور ؛ وأبو ثور ، حليف لهم . ثلاثة نفر .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، والأسود بن عامر ، حليف لهم . ويقولون : نحن بنو الأسود بن عامر بن عمرو بن الحارث ابن السباق . رجلان .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : السائب بن أبى حبيش بن المطلب بن أسد ، والحويرث بن عباد بن عثمان بن أسد .

قال ابن هشام : هو الحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد .

قال ابن إسحاق : وسالم بن شماخ ، حليف لهم . ثلاثة نفر .

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : خالد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وأمية بن أبى حذيفة بن المغيرة ، والوليد بن الوليد بن المغيرة ؛ وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم وصيفى بن أبى رفاعة ، بن عابد بن عبد الله ؛ وأبو المنذر

ابن أبى رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأبو عطاء عبد الله بن أبى السائب بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، والمطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم ؛ وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ، وهو كان — فيما يذكرون — أول من ولى نارا منهزما ، وهو الذى يقول :

ولسنا على الأدبار تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا يقطر الدم[1]

تسعة نفر .

قال ابن هشام : ويروى : « لسنا على الأعقاب » .

وخالد بن الأعلم ، من خزاعة ؛ ويقال : عقيلى .

قال ابن إسحاق : ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : أبو وداعة بن ضبيرة ابن سعيد بن سعد بن سهم ، كان أول أسير أفتدى من أسرى بدر افتداه ابنه المطلب بن أبى وداعة ؛ وفروة بن قيس بن عدى بن حذافة بن سعد بن سهم ، وحنظلة بن قبيصة بن حذافة ابن سعد بن سهم ، والحجاج بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم . أربعة نفر .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب : عبد الله بن أبى بن خلف بن وهب بن حذافة ابن جمح ، وأبو عزة عمرو بن عبد بن عثمان بن وهيب بن حذافة بن جمح ، والفاكه ، مولى أمية بن خلف ، ادعاه بعد ذلك رباح بن المغترف ، وهو يزعم أنه من بنى شماخ بن محارب ابن فهر - ويقال : إن الفاكه : ابن جرول بن حذيم بن عوف بن غضب بن شماخ بن محارب ابن فهر - ووهب بن عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، وربيعة بن دراج ابن العنبس بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح . خمسة نفر .

ومن بنى عامر بن لؤى : سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، أسره مالك بن الدخشم ، أخو بنى سالم بن عوف ، وعبد بن زمعة بن قيس ابن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، وعبد الرحمن بن مشنوء بن وقدان ابن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن مالك بن حسل بن عامر . ثلاثة نفر .

ومن بنى الحارث بن فهر : الطفيل بن أبى قنيع ، وعتبة بن عمرو بن جحدم . رجلان .

قال ابن إسحاق : فجميع من حفظ لنا من الأسارى ثلاثة وأربعون رجلا .

قال ابن هشام : وقع من جملة العدد رجل لم نذكر اسمه ، وممن لم يذكر ابن إسحاق من الأسارى :

---

(١) الكلوم : الجراحات .

من بنى هاشم بن عبد مناف : عتبة ، حليف لهم من بنى فهر . رجل .

ومن بنى المطلب بن عبد مناف : عقيل بن عمرو ، حليف لهم ، وأخوه تميم بن عمرو ، وابنه . ثلاثة نفر .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن أسيد بن أبى العيص ، وأبو العريض يسار ، مولى العاص بن أمية . رجلان .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : نبهان ، مولى لهم . رجل .

ومن بنى أسد بن عبد العزى عبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث . رجل .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : عقيل ، حليف لهم من اليمن . رجل .

ومن بنى تيم بن مرة : مسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، وجابر بن الزبير ، حليف لهم . رجلان .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : قيس بن السائب . رجل .

ومن بنى جمح بن عمرو : عمرو بن أبىّ بن خلف ، وأبو رهم بن عبد الله ، حليف لهم ، وحليف لهم ذهب عنى اسمه ، ومولیان لأمية بن خلف ، أحدهما نسطاس ، وأبو رافع ، غلام أمية بن خلف ستة نفر

ومن بنى سهم بن عمرو : أسلم ، مولى نبيه بن الحجاج . رجل .

ومن بنى عامر بن لؤى : حبيب بن جابر ، والسائب بن مالك . رجلان .

ومن بنى الحارث بن فهر : شافع وشفيع ، حليفان لهم من أرض اليمن . رجلان[1]

ما قيل من الشعر فى يوم بدر

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم بدر ، وتراد به القوم بينهم لما كان فيه ، قول حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله :

---

(١) راجع أنساب وأخبار من حضر بدرا وشهداء بدر من المسلمين والقتلى من المشركين وأسرى المشركين فى الروض الأنف بتحقيقنا ج ٣ ص ٩٩ وما بعدها .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها ونقيضتها :

ألم تر أمراً كان من عجب الدهر ... وللحَين أسباب مبينة الأمر[1]
وما ذاك إلا أن قوما أفادهم ... فخانوا تواصٍ بالعقوق وبالكفر[2]
عشية راحوا نحو بدر بجمعهم ... فكانوا رهونا للركية من بدر[3]
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرهـا ... فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مثنوية ... لنا غير طعن بالمثقفة السمر[4]
وضرب ببيض يختلى الهام حدها ... مُشَهَّرَة الألوان بينة الأثر[5]
ونحن تركنا عتبة الغى ثاويا ... وشيبة فى القتلى تجرجم فى الجفر[6]
وعمرو ثوى فيمن ثوى من حماتهم ... فشقت جيوب النائحات على عمرو
جيوب نساء من لؤى بن غالب ... كرام تفرعن الذوائب من فهر[7]
أولئك قوم قتلوا فى ضلالهم ... وخلوا لواء غير محتضر النصر
لواء ضلال قاد إبليس أهـله ... فخاس بهم ، إن الخبيث إلى غدر[8]
وقال لهم ، إذ عاين الأمرَ واضحا ... برئت إليكم ما بى اليوم من صبر
فإنى أرى ما لا ترون وإننى ... أخاف عقاب الله والله ذو قسر[9]
فقدمهم للحين حتى تورطوا ... وكان بما لم يخبر القوم ذا خُبر
فكانوا غداة البئر ألفا وجمعنا ... ثلاث مئين كالمسدمة الزهر[10]
وفينا جنود الله حين يمدنا ... بهم فى مقام ثَمَّ مستوضح الذكر
فشد بهم جبريل تحت لوائنا ... لدى مأزق فيه مناياهم تجرى

---

(١) الحين : الهلاك
(٢) أفادهم : أهلكهم .
(٣) الركية : البئر ذات الماء .
(٤) مثنوية : رجوع .
(٥) يختلى : يقطع . والهام : الرءوس والأثر : بضمتين أثر الجرح والجمع آثار وأثور وإذا كان بفتح فسكون فهو جوهر السيف .
(٦) تجرجم : تسقط ، والجفر : البئر المتسعة .
(٧) تفرعن : علون ، والذوائب : الأعالى .
(٨) خاس : غدر
(٩) القسر : الغلبة
(١٠) المسدمة : الفحول من الإبل، والزهر البيض .

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة، فقال :

ألا يا لقومى للصبابة والهجر ... وللحزن منى والحرارة فى الصدر[1]
وللدمع من عينىّ جُودا كأنه ... فريد هوى من سلك ناظمة يجرى
على البطل الحلو الشمائل إذ ثوى ... رهين مقام للركية من بدر
فلا تبعُدن يا عمرو من ذى قَرابة ... ومن ذى نِدام كان ذا خلق غمر[2]
فإن يك قوم صادفوا منك دولة ... فلابد للأيام من دول الدهر
فقد كنت فى صرف الزمان الذى مضى ... تريهم هوانا منك ذا سُبل وعر
فإلا أُمتْ يا عمرو أتركك ثائراً ... ولا أبق بُقيا فى إخاء ولا صهر[3]
وأقطع ظهراً من رجال بمعشر ... كرام عليهم مثل ماقطعوا ظهرى
أغرهم ما جمّعوا من وشيظة ... ونحن الصميم فى القبائل من فهر[4]
فيالّ لؤى ذببوا عن حريمكم ... وآلهة لا تتركوها لذى الفخر
توارثها آباؤكم وورثتم ... أواسيها والبيت ذا السقف والستر[5]
فما لحليم قد أراد هلاككم ... فلا تعذروه آل غالب من عذر
وجدوا لمن عاديتم وتوازروا ... وكونوا جميعا فى التأسى وفى الصبر
لعلكم أن تثأروا بأخيكم ... ولا شىء إن لم تثأروا بذوى عمرو
بمطّردات فى الأكف كأنها ... وميض تطير الهام بينة الأثر[6]
كأن مدب الذر فوق متونها ... إذا جردت يوما لأعدائها الخزر[7]

قال ابن هشام : أبدلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى ابن إسحاق، وهما « الفخر » فى آخر البيت ، و « فما لحليم » ، فى أول البيت ، لأنه نال فيهما من النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الصبابة : رقة الحب أو الحب الشديد .
(٢) الغمر بسكون الميم : الكريم الواسع الخلق ، وهذا المعنى هو الذى يقصده هنا .
(٣) الثائر : صاحب الثأر .
(٤) الوشيظة الأتباع الذين ليسوا من القوم .
(٥) الأواسى : ما تأسس عليها الأبنية .
(٦) المطردات : المهتزة . أى بسيوف مهتزة .
(٧) الذر : صغار النمل . والخزر : الناظرون بمؤخرة عيونهم كبرا .

قال ابن إسحاق : وقال على بن أبى طالب فى يوم بدر :

قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ولا نقيضتها ، وإنما كتبناهما لأنه يقال : إن عمرو بن عبد الله بن جدعان قتل يوم بدر، ولم يذكره ابن إسحاق فى القتلى، وذكره فى هذا الشعر :

ألم تر أن الله أبلى رسوله ... بلاء عزيز ذى اقتدار وذى فضل
بما أنزل الكفار دار مذلة ... فلاقَوْا هوانا من إسار ومن قتل
فأمسى رسول الله قد عز نصره ... وكان رسول الله أرسل بالعدل
فجاء بفرقان من الله مُنزَل ... مبينة آياته لذوى العقل
فآمن أقوام بذاك وأيقنوا ... فأمسوا بحمد الله مجتمعى الشمل
وأنكر أقوام فزاغت قلوبهم ... فزادهم ذو العرش خَبلا على خبل
وأمكن منهم يوم بدر رسولَه ... وقوما غضابا فعلهم أحسن الفعل
بأيديهم بيض خفاف عصوا بها ... وقد حادثوها بالجلاء وبالصقل(١)
فكم تركوا من ناشئ ذى حمية ... صريعاً ومن ذى نجدة منهم كهل
تبيت عيون النائحات عليهم ... تجود بإسبال الرشاش وبالوبل(٢)
نوائح تنعى عتبة الغى وابنه ... وشيبة تنعاه وتنعى أبا جهل
وذا الرِّجل تنعى وابن جدعان فيهم ... مسلبة حرَّى مبينة الثُّكل(٣)
ثوى منهم فى بئر بدر عصابة ... ذوى نجدات فى الحروب وفى المحل
دعا الغى منهم من دعا فأجابه ... وللغى أسباب مُرمقة الوصل(٤)
فأضحوا لدى دار الجحيم بمعزل ... عن الشغب والعدوان فى أشغل الشغل

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة ، فقال :

عجبت لأقوام تغنى سفيههم ... بأمر سفاه ذى اعتراض وذى بُطل

---

(١) عصوا : ضربوا : وحادثوها : تعهدوها .

(٢) الإسبال : الإرسال ، والرشاش : المطر الضعيف ، والوبل : ما كثر من المطر .

(٣) ذا الرِّجل : هو الأسود الذى قطع حمزة رجله عند الحوض ثم قتله فيها . والمسلبة : التى تلبس السلاب وهى خرقة سوداء تلبسها الثكلى .

(٤) المرمقة : الضعيفة .

تغنى بقتلى يوم بدر تتابعوا ... مطاعين فى الهيجا مطاعيم فى المحل

مصاليت بيض من لؤى بن غالب ... مطاعين فى الهيجا مطاعيم فى المحل [١]

أصيبوا كراما لم يبيعوا عشيرة ... بقوم سواهم نازحى الدار والأصل

كما أصبحت غسان فيكم بطانة ... لكم بدلا منا فيالك من فعل

عقوقا وإثما بينا وقطيعة ... يرى جوركم فيها ذوو الرأى والعقل

فإن يك قوم قد مضوا لسبيلهم ... وخير المنايا ما يكون من القتل

فلا تفرحوا أن تقتلوهم فقتلهم ... لكم كائن خبلا مقيما على خبل

فانكم لن تبرحوا بعد قتلهم ... شتيتا هواكم غير مجتمعى الشمل

بفقد ابن جدعان الحميد فعاله ... وعتبة والمدعو فيكم أبا جهل

وشيبة فيهم والوليد وفيهم ... أمية مأوى المعترين وذو الرجل

أولئك فابك ثم لاتبك غيرهم ... نوائح تدعو بالرزية والثكل

وقولوا لأهل المكتين تحاشدوا ... وسيروا إلى آطام يثرب ذى النخل [٢]

جميعا وحاموا آل كعب وذبوا ... بخالصة الألوان محدثة الصقل [٣]

وإلا فبيتوا خائفين وأصبحوا ... أذل لوطء الواطئين من النعل

على أننى واللات يا قوم فاعلموا ... بكم واثق أن لا تقيموا على تبل [٤]

سوى جمعكم للسابغات وللقنا ... وللبيض والبيض القواطع والنبل [٥]

وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس ، أحد بنى محارب بن فهر ، فى يوم بدر :

عجبت لفخر الأوس والحين دائر ... عليهم غدا والدهر فيه بصائر

وفخر بنى النجار إن كان معشر ... أصيبوا ببدر كلهم ثم صابر

فإن تك قتلى غودرت من رجالنا ... فإنا رجال بعدهم سنغادر

وتردى بنا الجرد العناجيج وسطكم ... بنى الأوس حتى يشفى النفس ثائر [٦]

ووسط بنى النجار سوف نكرها ... لها بالقنا والدارعين زوافر

---

(١) المصاليت : الشجعان .

(٢) المكتين : يقصد مكة والطائف . والآطام : جمع أطم . الحصن .

(٣) ذبوا : امنعوا . (٤) التبل : العداوة .

(٥) السابغات صفة لموصوف محذوف أى الدروع السابغات .

(٦) تردى : تسرع . والجرد : الخيل القصيرات الشعر العتاق . والعناجيج : الطوال السراع . والثائر : الطالب ثأره .

فنترك صرعى تعصب الطير حولهم ... وليس لهم إلا الأمانى ناصر[1]
وتبكيهم من أهـــل يثرب نسوة ... لهن بها ليل عن النوم ساهر
وذلك أنا لاتزال سيوفنا ... بهن دم - ممن يحاربن - مائر[2]
فان تظفروا فى يوم بدر فإنمـــا ... بأحمد أمسى جدكم وهو ظاهر
وبالنفر الأخيار هم أولياؤه ... يحامون فى اللأواء والموت حاضر
يعد أبو بكر وحمزة فيهم ... ويدعى علىّ وسط من أنت ذاكر
ويدعى أبو حفص وعثمان منهم ... وسعد إذا ما كان فى الحرب حاضر
أولئك لامن نتّجت فى ديارها ... بنو الأوس والنجار حين تفاخر
ولكن أبوهم من لؤى بن غالب ... إذا عدت الأنساب كعب وعامر
هم الطاعنون الخيل فى كل معرك ... غداة الهياج الأطيبون الأكاثر

فأجابه كعب بن مالك ، أخو بنى سلمة ، فقال :

عجبت لأمر الله والله قادر ... على ما أراد ، ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاق معشراً ... بغوا وسبيل البغى بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم ... من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا ... بأجمعها كعب جميعاً وعامر
وفينا رسول الله والأوس حوله ... له معقل منهم عـــزيز وناصر
وجمع بنى النجار تحت لوائه ... يمشُّون فى الماذِى والنقع ثائر[3]
فلما لقيناهم وكل مجاهـــد ... لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لارب غـــيره ... وأن رسول الله بالحق ظاهر
وقد عرّيت بيض خفاف كأنها ... مقاييس يزهيها لعينيك شاهر[4]
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا ... وكان يلاقى الحَيْنَ من هو فاجر
فكب أبو جهل صريعاً لوجهه ... وعتبة قد غادرنه وهو عاثر

---

(١) تعصب : تجتمع .
(٢) مائر : سائل .
(٣) الماذى : الدرع اللينة السهلة .
(٤) يزهيها : يحركها .

وشيبة والتَّيْمىّ غادرن فى الوغى　　وما منهم إلا بذى العرش كافر
فأمسوا وقود النار فى مستقرها　　وكل كفور فى جهنم صائر
تلظى عليهم وهى قد شب حميها　　بزُبر الحديد والحجارة ساجر[1]
وكان رسول الله قد قال أقبلوا　　فولوا وقالوا : إنما أنت ساحر
لأمر أراد الله أن يهلكوا به　　وليس لأمر حمّه الله زاجر[2]

وقال عبد الله بن الزبعرى السهمى يبكى قتلى بدر :

قال ابن هشام : وتروى للأعشى بن زرارة بن النباش ، أحد بنى أُسَيد بن عمرو بن تميم ، حليف بنى نوفل بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : حليف بنى عبد الدار :

ماذا على بدر وماذا حوله　　من فتية بيض الوجوه كرام
تركوا نُبيها خلفهم ومُنبِّها　　وابنىْ ربيعة خير خصم فئام[3]
والحارث الفياض يبرق وجهه　　كالبدر جلى ليلة الإظلام
والعاصى بن منبه ذا مِرة　　رمحا تميما غير ذى أوصام[4]
تنمى به أعراقه وجدوده　　ومآثر الأخوال والأعمام
وإذا بكى باك فأعول شجوة　　فعلى الرئيس الماجد ابن هشام[5]
حيا الإله أبا الوليد ورهطه　　رب الأنام ، وخصهم بسلام[7]

فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى ، فقال :

ابك بكت عيناك ثم تبادرت　　بدم تُعَلّ غروبها سجّام[6]
ماذا بكيت به الذين تتايعوا　　هلا ذكرت مكارم الأقوام[7]

---

(١) تلظى : تلتهب . وزبر الحديد : قطعه . والساجر المُوقد .
(٢) حمه : قدره .　　(٣) الفئام : الجماعات .
(٤) ذو مرة : صاحب قوة . والأوصام : العيوب .
(٥) الشجوة : الحزن .
(٦) تعل : من العلل وهو الشرب مرة بعد أخرى . والغروب : مجارى الدمع . والسجام : السائل .
(٧) تتايعوا : ألقوا بأنفسهم فى التهلكة .

وذكرتَ منا ماجداً ذا همـــة　　　سمح الخـلائق صادق الإقـدام
أعنى النبي أخا المـكارم والندى　　　وأبر من يولى عـــلى الإقسام[١]
فلمثله ولمثل ما يدعـو له　　　كان الممدح ثم غير كهام[٢]

وقال حسان بن ثابت الأنصارى أيضاً :

تبلت فؤادك فى المنام خـــريدة　　　تسقى الضجيع ببارد بسام[٣]
كالمسك تخلطه بماء سحابة　　　أو عاتق كدم الذبيح مُدام[٤]
نُفج الحقيبة بوصها متنضد　　　بلهاء غـير وشيكة الإقسام[٥]
بنيت على قطن أجم كأنه　　　نضلا إذا قعدت مداكُ رخام[٦]
وتـكاد تكسل أن تجىء فراشها　　　فى جسم خرعبة وحسن قوام[٧]
أما النهـار فلا أفتر ذكرها　　　والليل توزعنى بها أحلامى[٨]
أقسمت أنساها وأترك ذكرها　　　حتى تُغيب فى الضريح عظامى[٩]
يا من لعـــاذلة تلوم سفاهة　　　ولقد عصيت على الهوى الومى
بكرت على بسحرة بعد الكرى　　　وتقارب من حادث الأيام
زعمت بأن المـــرء يكرب عمـره　　　عـــدم لمعتكر من الأصرام[١٠]

---

(١) يولى : يقسم　　　(٢) الـكهام : الضعيف .
(٣) تبلت : أسقمت . والخريدة : الحسنة الناعمة .
(٤) العاتق : الخمر المعتقة .
(٥) النفج : المرتفعة ، والحقيبة وهى ما يجعله الراكب وراءه ، استعارها هنا لردف المرأة . والبوص: الردف . والبلهاء الغافلة . والإقسام : جمع قسم وهو اليمين .
(٦) قطنها : وسطها . والأجم أى لاعظام فيه ، والمداك : الحجر الذى يدق عليه الطيب.
(٧) الخرعبة : حسنة الخلق .　　　(٨) توزعنى : تغرينى .
(٩) أنساها : أى لا أنساها .
(١٠) المعتكر : الإبل الكثيرة التى يرجع بعضها عـــلى بعض . والإصرام : الجماعات من الإبل .

إن كنت كاذبة الذى حدثتنى ... فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرة ولجام[1]
تذر العناجيج الجياد بقفرة ... مر الدموك بمحصد ورجام[2]
ملأت به الفرجين فارمدّت به ... وثوى أحبته بشر مقام[3]
وبنو أبيه ورهطه فى معرك ... نصر الإله به ذوى الإسلام
طحنتهم ، والله ينفذ أمره ... حرب يشب سعيرها بضرام
لولا الإله وجريها لتركنه ... جزر السباع ودسنه بحوامى
من بين مأسور يشد وثاقه ... صقر إذا لاقى الأسنة حامى
ومجدل لا يستجيب لدعوة ... حتى تزول شوامخ الأعلام
بالعار والذل المبين إذا رأى ... بيض السيوف تسوق كل همام
بيدى أغر إذا انتمى لم يخزه ... نسب القصار سميدع مقدام[4]
بيض إذا لاقت حديداً صممت ... كالبرق تحت ظلال كل غمام

فأجابه الحارث بن هشام ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

الله أعلم ما تركت قتالهم ... حتى حبوا مهرى بأشقر مزبد[5]
وعرفت أنى إن أقاتل واحداً ... أقتل ولا ينكى عدوى مشهدى
فصددت عنهم والأحبة فيهم ... طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

قال ابن إسحاق : قالها الحارث يعتذر من فراره يوم بدر .

قال ابن هشام : تركنا من قصيدة حسان ثلاثة أبيات من آخرها ، لأنه أقذع فيها .

---

(١) الطمرة : الفرس كثيرة الجرى .
(٢) العناجيج : الطوال السراع . والدموك : البكرة بآلتها التى تكون عند رأس البئر والحصد : الحبل الشديد الفتل ، والرجام : واحد الرجامين ، وهما الخشبتان اللتان تلقى عليهما البكرة .
(٣) الفرجان : الفراغان اللذان بين يدى الفرس ورجليها . وأرمدت : أسرعت .
(٤) القصار : من قصر سعيهم عن كسب المحامد ، والسميدع : السيد .
(٥) المزبد : ما قذف بالزبد .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

لقد علمت قريش يوم بدر ... غداة الأسر والقتل الشديد
بأنا حين تشتجر العوالى ... حماة الحرب يوم أبى الوليد
قتلنا ابنى ربيعة يوم سارا ... إلينا فى مضاعفة الحديد
وفر بها حكيم يوم جالت ... بنو النجار تخطر كالأسود
وولت عند ذاك جموع فهر ... وأسلمها الحويرث من بعيد
لقد لاقيتمُ ذلا وقتلا ... جهيزاً نافذ تحت الوريد (١)
وكل القوم قد ولوا جميعا ... ولم يلووا على الحسب التليد

وقال حسان بن ثابت أيضا :

يا حار قد عوّلت غير معول ... عند الهياج وساعة الأحساب (٢)
إذ تمتطى سرح اليدين نجيبة ... مرطى الجراء طويلة الأقراب (٣)
والقوم خلفك قد تركت قتالهم ... ترجو النجاة وليس حين ذهاب
ألا عطفت على ابن مالك إذ ثوى ... قعص الأسنة ضائع الأسلاب (٤)
[illegible] له فأهلك جمعه ... بشنار مخزية وسوء عذاب

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحداً أقذع فيه .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

— قال ابن هشام : ويقال : بل قالها عبد الله بن الحارث السهمى :

مُستشعرى حلق الماذى يقدمهم ... جلد النحيزة ماض غير رعديد (٥)
أعنى رسول إله الخلق فضّله ... على البرية بالتقوى وبالجود

---

(١) الجهيز : السريع . والوريد عرق فى صفحة العنق .

(٢) عولت : عزمت .

(٣) سرح اليدين : سريعتهما . ومرطى الجراء : سريعة الجرى. والأقراب : الخواصر

(٤) القعص : القتل بسرعة .

(٥) المستشعر اللابس الثوب على جسده بلا حاجز . والماذى الدروع السهلة اللينة والنحيزة : الطبيعة .

وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم ... وماء بدر زعمتم غير مورود

ثم وردنا ولم نسمع لقولكم ... حتى شربنا رواء غير تصريد[1]

مستعصمين بحبل غير منجذم ... مستحكم من حبال الله ممدود

فينا الرسول وفينا الحق نتبعه ... حتى الممات ونصر غير محدود

واف وماض شهاب يستضاء به ... بدر أنار على كل الأماجيد

قال ابن هشام : بيته : « مستعصمين بحبل غير منجذم » عن أبى زيد الأنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

خابت بنو أسد وآب غزيّهم ... يوم القليب بسوءة وفضوح

منهم أبو العاصى تجدل مقعصا ... عن ظهر صادقة النجاء سبوح[2]

حيْنا له من مانع بسلاحه ... لما ثوى بمقامه المذبوح

والمرء زمعة قد تركن ونحره ... يدمى بعاند معبط مسفوح[3]

متوسدا حر الجبين معفرا ... قد عر مارن أنفه بقبوح[4]

ونجا ابن قيس فى بقية رهطه ... بشفا الرماق موليا بجروح[5]

وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا ليت شعرى هل أتى أهل مكة ... إبارتنا الكفار فى ساعة العسر[6]

قتلنا سراة القوم عند مجالنا ... فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهر[7]

قتلنا أبا جهل وعتبة قبله ... وشيبة يكبو لليدين وللنحر

قتلنا سويداً ثم عتبة بعده ... وطعمة أيضاً عند ثائرة القتر[8]

فكم قد قتلنا من كريم مرزإ ... له حسب فى قومه نابه الذكر

تركناهم للعاويات ينبنهم ... ويصلون ناراً بعد حامية القعر[9]

(١) الرواء التكثر من الماء ، والتصريد : تقليل الشرب .

(٢) المقعص : من قتل بسرعة . والسبوح : سريعة الجرى كأنها تسبح فى الماء لسهولة جريها .

(٣) العاند الذى يجرى بلا انقطاع ، ودم معبط : طرى

(٤) عر : لطخ (٥) الشفا : الحد

(٦) إبارتنا : إهلاكنا (٧) قاصمة الظهر : أى المصيبة التى تقصم الظهور .

(٨) ثائرة القطر : ما ثار من الغبار

(٩) العاويات : الذئاب والسباع . ينوبه : يأتيه مرة بعد أخرى .

لعمرك ماحامت فوارس مالك وأشياعهم يوم التقينا على بدر

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى بيته :

قتلنا أبا جهل وعتبة قبله وشيبة يكبو لليدين وللنحر

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

يجّى حكيما يوم بدر شده كنجاء مهر من بنات الأعوج(١)
لما رأى بدراً تسيل جلاهه بكتيبة خضراء من بلخزرج(٢)
لاينكلون إذا لقوا أعداءهم يمشون عائدة الطريق المنهج
كم فيهم من ماجد ذى منعة بطل بمهلكة الجبان المحرج
ومسوّد يعطى الجزيل بكفه حمّال أثقال الديات مُتوج
زين الندىّ معاود يوم الوغى ضرب الكماة بكل أبيض سلجج(٣)

قال ابن هشام : قوله سلجج ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان أيضاً :

فما نخشى بحول الله قوما وإن كثروا واجمعت الزحوف
إذا ماألبوا جمعا علينا كفانا حدهم رب رءوف
سمونا يوم بدر بالعوالى سراعا ماتضعضعنا الحتوف
فلم ترعصبة فى الناس أنكى لمن عادوْا إذا لقحت كشوف(٤)
ولكنا توكلنا وقلنا مآثرنا ومعقلنا السيوف
لقيناهم بها لما سمونا ونحن عصابة وهمُ ألوف

---

(١) الأعوج : نوع كريم من الخيل .
(٢) الجلاه : ما يستقبلك من جنبات الوادى . وخضراء : سوداء من كثرة الحديد الذى عليها .
(٣) السلجج : الماضى .
(٤) لقحت : حملت . والكشوف : الناقة التى يضربها الفحل فى وقت لاتشتهيه . والمعنى أن الحرب قد هاجت بعد سكون .

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يهجو بنى جمح ومن أصيب منهم :

جمحت بنو جمح لشقوة جدهم	إن الذليل موكل بذليل
قُتلت بنو جمح ببدر عنوة	وتخاذلوا سعيا بكل سبيل
جحدوا الكتاب وكذبوا بمحمد	والله يظهر دين كل رسول
لعن الإله أبا خزيمة وابنه	والخالدين ، وصاعد بن عقيل

قال ابن إسحاق : وقال عبيدة بن الحارث بن المطلب فى يوم بدر ، وفى قطع رجله حين أصيب ، فى مبارزته هو وحمزة وعلى حين بارزوا عدوهم — قال ابن هشام ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعبيدة :

ستبلغ عنا أهل مكة وقعة	يهب لها من كان عن ذاك نائيا(١)
بعتبة إذ ولى وشيبة بعده	وما كان فيها بكر عتبة راضيا(٢)
فإن تقطعوا رجلى فإنى مسلم	أرجى بها عيشا من الله دانيا
مع الحور أمثال التماثيل أخلصت	مع الجنة العليا لمن كان عاليا(٣)
وبعت بها عيشا تعرقت صفوه	وعالجته حتى فقدت الأدانيا(٤)
فأكرمنى الرحمن من فضل منه	بثوب من الإسلام غطى المساويا
وما كان مكروها إلىّ قتالهم	غداة دعا الأكفاء من كان داعيا
ولم يبغ إذ سالوا النبى سواءنا	ثلاثتنا حتى حضرنا المناديا
لقيناهم كالأسد تخطر بالقنا	نقاتل فى الرحمن من كان عاصيا
فما برحت أقدامنا من مقامنا	ثلاثتنا حتى أزيروا المنائيا

قال ابن هشام : لما أصيبت رجل عبيدة قال : أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم العلم أنى أحق منه بما قال حين يقول :

كذبتم وبيت الله يبزى محمد	ولما نطاعن دونه ونناضل(٥)
ونسلمه حتى نصرع حوله	ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وهذان البيتان فى قصيدة لأبى طالب ، وقد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب .

---

(١) يهب : يستيقظ . (٢) بكر عتبه : ابن عتبة البكر .
(٣) التماثيل : الصور المتقنة الصنع والضمير فى أخلصت يعود على الحور العين ، والمعنى خص بها .
(٤) التعرق : المزج . (٥) يبزى : أى لا يبزى والمعنى : لا يقهر .

قال ابن إسحاق : فلما هلك عبيدة بن الحارث من مصاب رجله يوم بدر . قال كعب ابن مالك الأنصارى يبكيه :

أيا عين جودى ولا تبخلى بدمعك حقا ولا تنزرى
على سيد هدّنا هلكه كريم المشاهد والعنصر
جرىء المقدم شاكى السلاح كريم الثنا طيب المكسر[١]
عبيدة أمسى ولا نرتجيه لعرف عرانا ولا منكر
وقد كان يحمى غداة القتا ل حامية الجيش بالمبتر

وقال كعب بن مالك أيضا ، فى يوم بدر :

ألا هل أتى غسان فى نأى دارها وأخبرُ شىء بالأمور عليمها
بأن قد رمتنا عن قسى عداوة معد معا جُهالها وحليمها
لأنا عبدنا الله لم نرج غيره رجاء الجنان إذ أتانا زعيمها
نبى له فى قومه إرث عزة وأعراق صدق هذبتها أرومها[٢]
فساروا وسرنا فالتقينا كأننا أسود لقاء لا يُرجى كليمها[٣]
ضربناهم حتى هوى فى مكرّنا لمنحر سوء من لؤى عظيمها
فولّوا ودسناهم ببيض صوارم سواء علينا حلفها وصميمها[٤]

وقال كعب بن مالك أيضا :

لعمر أبيكما يابنى لؤى على زهو لديكم وانتخاء[٥]
لما حامت فوارسكم ببدر ولا صبروا به عند اللقاء[٦]
وردناه بنور الله يجلو دجى الظلماء عنا والغطاء
رسول الله يقدمنا بأمر من امر الله أحكم بالقضاء
فما ظفرت فوارسكم ببدر وما رجعوا إليكم بالسواء
فلا تعجل أبا سفيان وارقب جياد الخيل تطلع من كداء[٧]

---

(١) الثنا : ما يتحدث به عن الشخص من خير أو شر . وطيب المكسر : خال من العيب.
(٢) الأروم : الأصول . (٣) الكليم : الجريح .
(٤) حلفها : حليفها ، والصميم : الخالص . (٥) الانتخاء : الإعجاب .
(٦) حامت : من الحماية وهى الامتناع . (٧) كداء : مكان بمكة .

بنصر الله روح القدس فيها ومِيكالُ ، فياطيب الملاء[١]

وقال طالب بن أبي طالب ، يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبكي أصحاب القليب من قريش يوم بدر :

ألا إن عيني أنفدت دمعها سَكْبا تبكي على كعب وما إن ترى كعبا
ألا إن كعبا في الحروب تخاذلوا وأرداهم ذا الدهر واجترحوا ذنبا
وعامر تبكي للملمات غُدوة فياليت شعري هل أرى لهما قربا
هما أخواي لن يعدا لغَيّة تعد ولن يستام جارهما غصبا[٢]
فيا أخوينا عبد شمس ونوفلا فدًا لكما لا تبعثوا بيننا حربا
ولا تُصبحوا من بعد ود وألفة أحاديث فيها كلكم يشتكي النكبا
ألم تعلموا ما كان في حرب داحس وجيش أبي يكسوم إذ ملئوا الشعبا[٣]
فلولا دفاع الله لاشيء غيره لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا[٤]
فما إن جنينا في قريش عظيمة سوى أن حمينا خير من وطىء التربا
أخا ثقة في النائبات مرزأ كريما نثاه لا بخيلا ولا ذربا[٥]
يطيف به العافون يغشون بابه يؤمون بحرا لا نزورا ولا صربا[٦]
فوالله لا تنفك نفسي حزينة تململ حتى تصدقوا الخزرج الضربا

وقال ضرار بن الخطاب الفهري ، يرثي أبا جهل :

ألا من لعين باتت الليل لم تنم تراقب نجما في سواد من الظلم
كأن قذى فيها وليس بها قذى سوى عبرة من جائل الدمع تنسجم
فبلغ قريشا أن خير نديها وأكرم من يمشي بساق على قدم
ثوى يوم بدر رهن خوصاء رهنها كريم المساعي غير وغد ولا برم[٧]
فآليت لا تنفك عيني بعبرة على هالك بعد الرئيس أبي الحكم
على هالك أشجى لؤي بن غالب أتته المنايا يوم بدر فلم يرم[٨]

---

(١) روح القدس : جبريل . وميكال : هو ميكائيل عليهما السلام . والملاء : أراد الملأ وهم الأشراف . (٢) يقال : هذا الشخص لغية إذا دعى لغير أبيه :
(٣) انظر حرب داحس فيما سبق من السيرة وهامشها .
(٤) السرب : النفس . (٥) الذرب : الفاسد . (٦) الصرب : المنقطع .
(٧) الخوصاء : البئر الضيقة . والبرم : البخيل . (٨) لم يرم : لم يبرح .

ترى كِسر الخطى فى نحر مهره لدى بائن من لحمه بينها خذم(١)
وما كان ليث ساكن بطن بيشة لدى غلل يجرى ببطحاء فى أجم(٢)
بأجرأ منه حين تختلف القنا وتدعى نزال فى القماقة البهم(٣)
فلا تجزعوا آل المغيرة واصبروا عليه ومن يجزع عليه فلم يلم
وجدوا فإن الموت مكرمة لكم وما بعده فى آخر العيش من ندم
وقد قلت إن الريح طيبة لكم وعز المقام غير شك لذى فهَم

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار :

قال ابن إسحاق : وقال الحارث بن هشام ، يبكى أخاه أبا جهل :

ألا يا لهف نفسى بعد عمرو وهل يغنى التلهف من قتيل
يخبرنى المخبر أن عمرا أمام القوم فى جفر محيل(٤)
فقدما كنت أحسب ذاك حقا وأنت لما تقدم غير فيل(٥)
وكنت بنعمة مادمت حيا فقد خلفت فى درج المسيل(٦)
كأنى حين أمسى لا أراه ضعيف العقد ذو هم طويل(٧)
على عمرو إذا أمسيت يوما وطرف من تذكره كليل

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها للحارث بن هشام ؛ وقوله : « فى جفر » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال أبو بكر بن الأسود بن شعوب الليثى ، وهو شداد بن الأسود :

تحيى بالسلامة أم بكر وهل لى بعد قومى من سلام
فماذا بالقليب قليب بدر من القينات والشَّرب الكرام

---

(١) الخطى : الرماح . الخذم وقد تنطق بالجيم : قطع اللحم .
(٢) بطن بيشة : مكان تنسب إليه الأسود . الغلل : الماء الجارى فى أصول الشجر ، والأجم بضم الميم وفتحها وقد تسكن ، مفردها أجمة : الشجر الكثير الملتف .
(٣) القماقة : السادة الكرام ، والبهم : الشجعان . (٤) الجفر المحيل : البئر القديمة .
(٥) غير فيل : أى غير فاسد الرأى . (٦) درج المسيل : موطن الذل والغلبة .
(٧) العقد : العزم .

وماذا بالقليب قليب بدر ... من الشيزى تكلل بالسنام[1]
وكم لك بالطوى طوىّ بدر ... من الحومات والنعم المسام[2]
وكم لك بالطوى طوى بدر ... من الغايات والدُّسع العظام[3]
وأصحاب الكريم أبى على ... أخى الكاس الكريمة والندام
وإنك لو رأيت أبا عقيل ... وأصحاب الثنية من نعام[4]
إذاً لظللتِ من وجد عليهم ... كأم السقب جائلة المرام[5]
يخبرنا الرسول لسوف نحيا ... وكيف لقاء أصداء وهام[6]

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة النحوى :

يخبرنا الرسول بأن سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهام

قال : وكان قد أسلم ثم ارتد .

وقال ابن إسحاق : وقال أمية بن أبى الصلت ، يرثى من أصيب من قريش يوم بدر :

ألا بكيتِ على الكرا ... م بنى الكرام أولى الممادح
كبكا الحمام على فرو ... ع الأيك فى الغصن الجوانح
يبكين حرى مستكيـ ... ـنات يرحن مع الروائح
أمثالهن الباكيا ... ت المعولات من النوائح
من يبكهم يبك على ... حزن ويصدق كل مادح
ماذا ببدر فالعقنـ ... ـقل من مرازبة جحاجح[7]

---

(١) الشيزى : جفان تصنع من خشب الأبنوس .

(٢) الطوى : البئر المطوية بالحجارة ، والحومات : القطع من الإبل. والمسام : المرسل فى المرعى . (٣) الدسع : العطايا .

(٤) النعام : موضع . (٥) السقب : ولد الناقة وقت وضعه .

(٦) الأصداء : جمع صدى : وهو ما يتبقى من الميت فى قبره . والهام : جمع هامة : وهى طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل يصيح أسقونى حتى يؤخذ بثأره فيسكت .

(٧) العقنقل : المنعقد من كثبان الرمل والمرازبة : الرؤساء . كلمة أعجمية . والجحاجح : السادة .

فدافع البرقين فالحنان من طرف الأواشح[1]
شمط وشبان بها ليل مغاوير وحاوح[2]
ألا ترون لما أرى ولقد أبان لكل لامح
أن قد تغير بطن مكة فهى موحشة الأباطح
من كل بطريق لبطريق نقى اللون واضح[3]
دعموص أبواب الملوك وجائب للخرق فاتح[4]
من السراطمة الخلاجمة الملاوثة المناجح[5]
القائلين الفاعلين الآمرين بكل صالح
المطعمين الشحم فوق الخبز شحما كالأنافح[6]
نقل الجفان مع الجفان إلى جفان كالمناضح[7]
ليست بأصفار لمن يعفو ولا رح رحارح[8]
للضيف ثم الضيف بعد الضيف والبسط السلاطح[9]
وهب المئين من المئين إلى المئين من اللواقح[10]
سوق المؤبل للمؤبل صادرات عن بلادح[11]

---

(١) مدافع : حيث يندفع السيل .. البرقين مكان . والحنان : كثيب الرمل ، والأواشح : مكان .

(٢) الوحاوح : جمع وحوح : المنكمش الحديد النفس .

(٣) البطريق : رئيس الأساقفة عند النصارى وهو أيضاً : القائد من قواد الروم وهو العالم عند اليهود .

(٤) الدعموص : فى الأصل دويبة صغيرة تغوص فى الماء ، استعارها لمن يكثر الدخول على الملوك . والجائب : القاطع . والخرق : الفلاة .

(٥) السراطمة : واسع الخلق . والخلاجمة : الطوال . والملاوث : السادة .

(٦) الأنافح : جمع أنفحة وهو شيء يخرج من بطن البهائم المجترة لونه أصفر فشبه به الشحم .

(٧) المناضح : الحياض .

(٨) الأصفار : الآنية ، ويعفو : يطلب المعروف . ورح رحارح أى واسعة من غير عمق .

(٩) السلاطح : الطوال العراض (١٠) اللواقح : الحوامل .

(١١) المؤبل : الإبل الكثيرة . وبلادح : موضع .

لكرامهم فوق الكرا م مزية وزن الرواجح
كتثاقل الأرطـال بالقسطاس فى الأيدى الموائح[1]
خـذلتهم فئـــة وهم يحمون عورات الفضائح
الضاربين التقدميـــة بالمهنـــدة الصفـــائح[2]
ولقد عنانى صوتهم من بين مستسق وصائح
لله در بنى عـــلى أيم منهم وناكـــح
إن لم يغيروا غارة شعواء تجحر كل نابح[3]
بالمقربات ، المبعـــدا ت ، الطامحات مع الطوامح[4]
مرداً على جرد إلى أسد مكالبة كوالح
ويلاق قرن قرنـه مشى المصافح للمصافح
بزهاء ألف ثم ألـــ ف بين ذى بدن ورامح

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وأنشدنى غير واحد من أهل العلم بالشعر بيته :

ويلاق قرن قرنه مشى المصافح للمصافح

وأنشدنى أيضاً :

وهبه المئين من المئين إلى المئين من اللواقح
سوق المؤبل للمؤبل صـــادرات عن بـــلادح

قال ابن إسحاق : وقال أمية بن أبى الصلت ، يبكى زمعة بن الأسود، وقتلى بنى أسد :

عين بكى بالمسبلات أبا الـ حارث لا تذخرى على زمعه[5]
وابكى عقيل بن أسود أسد الـ بأس ليوم الهياج والدفعة

---

(١) الموائح : المتمايلة لثقل ما ترفعه .

(٢) التقدمية : المتقدمين فى أول الجيش . والصفائح : العراض .

(٣) تجحر : تلجيء إلى جحر .

(٤) المقربات : الكريمة التى تكون قرب البيوت اهتماما بها ، والمبعدات : التى تبعد فى جريها ، والطامحات : التى ترفع رءوسها .

(٥) تذخرى : تدخرى .

تلك بنو أسد إخوة الجو   زاء لا خانة ولا خدعه
هم الأسرة الوسيطة من كه   ب وهم ذروة السنام والقمعة[١]
أنبتوا من معاشر شعر الر   أس وهم ألحقوهم المنعه
أمسى بنو عمهم إذا حضر الـ   بأس أكبادهم عليهم وجعه
وهم المطعمون إذ قحط القط   ر وحالت فلا ترى قزعه[٢]

قال ابن هشام: هذه الرواية لهذا الشعر مختلطة، ليست بصحيحة البناء، لكن أنشدنى أبو محرز خلف الأحمر وغيره، وروى بعض ما لم يرو بعض:

عين بكى بالمسبلات أبا الحا   رث لا تذخرى على زمعه
وعقيل بن أسود أسد البأ   س ليوم الهياج والدفعة
فعلى مثل هلكهم خوت الجو   زاء، لا خانة ولا خدعه
وهم الأسرة الوسيطة من كه   ب، وفيهم كذروة القمعه
أنبتوا من معاشر شعر الرأ   س، وهم ألحقوهم المنعه
فبنو عمهم إذا حضر البأ   س عليهم أكبادهم وجعه
وهم المطعمون إذ قحط القط   ر وحالت فلا ترى قزعه

قال ابن إسحاق: وقال أبو أسامة، معاوية بن زهير بن قيس بن الحارث بن سعد بن ضبيعة ابن مازن بن عدى بن جشم بن معاوية حليف بنى مخزوم — قال ابن هشام: وكان مشركا وكان مر بهبيرة بن أبى وهب وهم منهزمون يوم بدر، وقد أعيا هبيرة، فقام فألقى عنه درعه وحمله فمضى به، قال ابن هشام: وهذه أصح أشعار أهل بدر:

ولما أن رأيت القوم خفوا   وقد زالت نعامتهم لنفر[٣]
وأن تركت سراة القوم صرعى   كأن خيارهم أذباح عتر[٤]
وكانت جمة وافت حماما   ولقينا المنايا يوم بدر[٥]
نصد عن الطريق وأدركونا   كأن زهاءهم غطيان بحر[٦]

---

(١) الوسيطة: الشريفة. والقمعة: السنام.

(٢) القزعة: القطعة من السحاب المتفرق.

(٣) زالت، ورويت شالت نعامتهم كناية عن الهلاك فالنعامة باطن القدم ومن مات شالت رجله فظهرت باطنها.

(٤) العتر: الصنم الذى يذبح له. (٥) الجمة: الجماعة. (٦) الغطيان: الفيضان.

وقال القائلون : من ابن قيس ؟ ... فقلت : أبو أسامة ، غير فخر

أنا الجشمى كيما تعرفونى ... أبيّن نسبتى نقراً بنقر [(١)]

فإن تك فى الغلاصم من قريش ... فإنى من معاوية بن بكر [(٢)]

فأبلغ مالكا لما غُشينا ... وعندك مال - إن نبأت - خبرى [(٣)]

وأبلغ إن بلغت المرء عنا ... هبيرة ، وهو ذو علم وقدر

بأنى إذ دعيت إلى أفيْد ... كررت ولم يضق بالكر صدرى [(٤)]

عشية لايكر على مضاف ... ولا ذى نعمة منهم وصهر [(٥)]

فدونكم بنى لأى أخاكم ... ودونك مالكا يا أم عمرو [(٦)]

فلولا مشهدى قامت عليه ... موقفة القوائم أمُّ أجرى [(٧)]

دَفوع للقبور بمنكبيها ... كأن بوجهها تحميم قدر [(٨)]

فأقسم بالذى قد كان ربى ... وأنصاب لدى الجمرات مغر [(٩)]

لسوف ترون ماحسبى إذا ما ... تبدلت الجلود جلود نمر

فما إن خادر من أسد ترج ... مدل عنبس فى الغيل مجرى [(١٠)]

فقد أحمى الأباءة من كلاف ... فما يدنو له أحد بنقر [(١١)]

---

(١) النقر : الطعن فى النسب ، أى إن عبتم نسبى جاوبتكم بمثله .

(٢) الغلاصم : الأعالى .

(٣) مال : أصله مالك فرخمه بحذف آخره .

(٤) أفيد : تصغير وفد اسم للجمع ، مثل ركب ، ولذلك جاز تصغيره .

(٥) المضاف : الخائف .

(٦) بنى لأى : جاء به مكبرا على أصله ويريد به بنى لؤى .

(٧) الموقفة : الضبع . والأجر ، جمع جرو وهو ولدها .

(٨) التحميم : التلطخ بالسواد .

(٩) الأنصاب : مايذبحون عنده من الأحجار . ومغر : حمراء .

(١٠) الخادر : الأسد فى خدره ، والخدر أجمة الأسد . وترج ، جبل بالحجاز : والعنبس : العابس الوجه . والغيل : الشجر الملتف . والمجرى : ذو جراء ، أى ذو أشبال .

(١١) الاباءة : أجمة الأسد . والكلاف : إما أن تكون اسم لمكان أو لعله أراد أنه من شدة كلفه بذلك .

بخَل تعجز الحلفاء عنه يواثب كل هجهجة وزجر (١)
بأوشك سورة منى إذا ما حبوت له بقرقرة وهدر (٢)
ببيض كالأسنة مرهفات كأن ظباتهن جحيم جمر (٣)
وأكلف مجنإ من جلد ثور وصفراء البراية ذات أزر (٤)
وأبيض كالغدير ثوى عليه عُمير بالمداوس نصف شهر (٥)
أرفل فى حمائله وأمشى كمشية خادر ليث سبطر (٦)
يقول لى الفتى سعد هدياً فقلت : لعله تقريب غدر (٧)
وقلت أبا عدى لاتطرهم وذلك إن أطعت اليوم أمرى (٨)
كدأبهم بفروة إذ أتاهم فظل يقاد مكتوفا بضفر (٩)

قال ابن هشام : وأنشدنى أبو محرز خلف الأحمر :

نصد عن الطريق وأدركونا كأن سراعهم تيار بحر

وقوله : — مدل عنبس فى الغيل مجرى — عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال أبو أسامة أيضا :

---

(١) الخل : الطريق وسط الرمل . والحلفاء : الأصدقاء المتحالفون . والهجهجة: زجر الأسد بأن تقول له : هج هج .

(٢) السورة : الحدة . والقرقرة والهدر : من أصوات فحول الإبل .

(٣) الظباة : جمع ظبة ، حد السهم .

(٤) الأكلف : الترس أسود الظاهر . والمجنأ : المنحنى . وصفراء : القوس . والبرايا مايتطاير منها حين تصنع .

(٥) الأبيض : السيف . وعمير : اسم رجل يصقل السيوف . والمداوس الآلات التى تصقل بها السيوف .

(٦) أرفل : أطول . والسبطر : الطويل .

(٧) الهدى: مايهدى إلى البيت ، ونصبه على إضمار فعل من لفظه .

(٨) لاتطرهم : لاتقربهم .

(٩) الدأب : العادة . والضفر : الحبل المفتول .

ألا من مبلغ عنى رسولا مغلغلة يثبتها لطيف (١)

ألم تعلم مردى يوم بدر وقد برقت بجنبيك الكفوف (٢)

وقد تركت سراة القوم صرعى كأن رءوسهم حدج نقيف (٣)

وقد مالت عليك ببطن بدر خلاف القوم داهية خصيف (٤)

فنجاه من الغمرات عزمى وعون الله والأمر الحصيف

ومنقلبى من الأبواء وحدى ودونك جمع أعداء وقوف (٥)

وأنت لمن أرادك مستكين بجنب كراش مكلوم نزيف (٦)

وكنت إذا دعانى يومَ كرب من الأصحاب داع مستضيف (٧)

فأسمعنى ولو أحببت نفسى أخ فى مثل ذلك أو حليف

أرد فأكشف الغمى وأرمى إذا كلح المشافر والأنوف (٨)

وقرن قد تركت على يديه ينوء كأنه غصن قصيف

دلفت له إذا اختلطوا بحرّى مسحسحة لعاندها حفيف (٩)

فذلك كان صنعى يوم بدر وقبل أخو مداراة عزوف (١٠)

أخوكم فى السنين كما علمتم وحرب لا يزال لها صريف (١١)

ومقدام لكم لا يزدهينى جَنانُ الليلِ والأنَس اللفيف (١٢)

---

(١) المغلغلة : الرسالة . واللطيف : الحازم فى أموره .

(٢) برقت : لمعت . (٣) الحدج النقيف : الحنظل المكسور لأخذ الحب منه .

(٤) الخصيف المتراكم .

(٥) الأبواء : مكان بين مكة والمدينة وبه قبر آمنة أم الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٦) كراش : اسم جبل ، والمكلوم : الجريح .

(٧) المستضيف : الواقع فى الضيق .

(٨) المشافر : شفاه الإبل واستعارها هنا للآدمى .

(٩) حرى : موجعة : صفة لموصوف محذوف أى طعنة موجعة . المسحسحة : كثيرة سيلان الدم . والمعاند : العرق الذى لا ينقطع دمه . والحفيف : الصوت .

(١٠) المداراة : مصانعة الناس . والعزوف : المترفع عن الدنايا .

(١١) السنين : سنين القحط المجدبة . والصريف : الصوت .

(١٢) جنان الليل : ظلمته . الأنس اللفيف الجماعة الكثيرة .

أخوض الصرة الجماء خوضاً ... إذا ما الكلب ألجأه الشفيف (١)

قال ابن هشام: تركت قصيدة لأبى أسامة على اللام، ليس فيها ذكر بدر إلا فى أول بيت منها والثانى، كراهة الإكثار.

قال ابن إسحاق: وقالت هند بنت عتبة بن ربيعة تبكى أباها يوم بدر:

أعينىّ جودا بدمع سرب ... على خير خندف لم ينقلب
تداعى له رهطه غُدوة ... بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حد أسيافهم ... يعلونه بعد ما قد عطب
يجرونه وعفير التراب ... على وجهه عاريا قد سُلب
وكان لنا جبلا راسيا ... جميل المراة كثير العشب (٢)
وأما بُرىّ فلم أعنه ... فأوتى من خير ما يحتسب (٣)

وقالت هند أيضاً:

يريب علينا دهرنا فيسوءنا ... ويأبى فما نأتى بشىء يغالبه
أبعد قتيل من لؤى بن غالب ... يراع امرؤ إن مات أو مات صاحبه
ألا رب يوم قد رزئت مرزءا ... تروح وتغدو بالجزيل مواهبه
فأبلغ أبا سفيان عنى مألكا ... فإن ألقه يوما فسوف أعاتبه (٤)
فقد كان حرب يسعر الحرب إنه ... لكل امرىء فى الناس مولى يطالبه (٥)

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند.

قال ابن إسحاق: وقالت هند أيضاً:

لله عينا من رأى ... هُلكا كهلك رجاليه
يا رُب باك لى غدا ... فى النائبات وباكيه

---

(١) الصرة: شدة البرد. الجماء: الشديدة. والشفيف: الريح الشديدة.
(٢) المراة: أرادت مرآة العين فنقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها فحذفت الهمزة.
(٣) برى: مصغر البراء وهو اسم رجل.
(٤) المألك: الرسالة الشفوية. (٥) حرب: والد أبى سفيان.

كم غادروا يوم القليب غداة تلك الواعيه (١)
من كل غيث فى السنيـ ن إذا الكواكب خاويه
قد كنت أحذر ما أرى فاليوم حق حذاريه
قد كنت أحذر ما أرى فأنا الغداة مواميه (٢)
يا رب قائلة غداً يا ويح أم معاويه

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند .

قال ابن إسحاق: وقالت هند أيضا:

يا عين بكى عُتْبه شيخا شديدَ الرقبة
يطعم يوم المسغبه يدفع يوم المغلبه
إنى عليه حربه ملهوفة مستلبه (٣)
لنهبطن يثربه بغارة منثعبه (٤)
فيها الخيول مقربه كل جواد سلهبه (٥)

وقالت صفية بنت مسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، تبكى أهل القليب الذين أصيبوا يوم بدر من قريش وتذكر مصابهم :

يامن لعين قذاها عائر الرمد حد النهار وقرن الشمس لم يقد(٦)
أخبرت أن سراة الأكرمين معا قد أحرزتهم مناياهم إلى أمد
وفر بالقوم أصحاب الركاب ولم تعطف غداتئذ أمٌ على ولد
قومى صفىَّ ولاتنسى قرابتهم وإن بكيت فما تبكين من بعد
كانوا سقوب سماء البيت فانقصفت فأصبح السمك منها غير ذى عمد(٧)

قال ابن هشام : أنشدنى بيتها : «كانوا سقوب» بعض أهل العلم بالشعر .

---

(١) الواعية : الصراخ . (٢) موامية : أصلها مؤامية وهى الذليلة .
(٣) الحربة : الحزينة . (٤) المنثعبة : سريعة السيلان. (٥) السلهبة : الفرس الطويلة .
(٦) القذا : مايقع فى العين من الأذى . والعائر : وجع فى العين وحد النهار : الفاصل الذى بينه وبين الليل : وقرن الشمس : أعلاها . ولم يقد : لم يتم نوره .
(٧) السقوب : عمد الخباء.

قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت مسافر أيضا :

ألا يا من لعين للتبكى دمعها فان
كغربى دالج يسقى خلال الغيث الدان[1]
وما ليث غريف ذو أظافير وأسنان[2]
أبو شبلين وثاب شديد البطش غرثان[3]
كحبى إذ تولى ووجوه القوم ألوان
وبالكف حسام صا رم أبيض ذكران[4]
وأنت الطاعن النجلا ء منها مزبد آن[5]

قال ابن هشام : ويروون قولها : « وماليث غريف » إلى آخرها ، مفصولا من البيتين اللذين قبله .

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب ترثى عبيدة بن الحارث ابن المطلب :

لقد ضمن الصفراء مجدا وسؤددا وحلما أصيلا وافر اللب والعقل[6]
عبيدة فابكيه لأضياف غربة وأرملة تهوى لأشعث كالجذل[7]
وبكيه للأقوام فى كل شتوة إذا احمر آفاق السماء من المحل
وبكيه للأيتام والريح زفزفة وتشبيب قدر طالما أزبدت تغلى[8]
فإن تصبح النيران قد مات ضوؤها فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل
لطارق ليل أو لملتمس القرى ومستنبح أضحى لديه على رسل[9]

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لهند .

---

(١) الغرب : الدلو العظيمة . الدالج الساقى بالدلو بين البئر والشجر .

(٢) الغريف : أجمة الأسد . (٣) الغرثان : الجوعان .

(٤) الذكران أجود الحديد وأيبسه . (٥) المزبد الذى له زبد وهو الرغوة . وآن : حام .

(٦) الصفراء : موضع بين مكة والمدينة . (٧) الأشعث : المتغير . والجذل : أصل الشجرة .

(٨) الريح الزفزفة : الشديدة . والتشبيب : إيقاد النار تحت القدر . وأزبدت : رمت بالزبد وهو الرغوة .

(٩) المستنبح : الضال بالليل فينبح مثل الكلاب فتجاوبه كلاب الحى فيهتدى إليه . والرسل : هنا الرخاء .

قال ابن إسحاق : وقالت قُتيلة بنت الحارث ، أخت النضر بن الحارث (١) ، تبكيه :

يا راكبا إن الأثيل مظنة ⁂ من صُبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تحية ⁂ ما إن تزال بها النجائب تخفق
منى إليك وعبرة مسفوحة ⁂ جادت بواكفها وأخرى تخنق(٢)
هل يسمعنّ النضر إن ناديته ⁂ أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد يا خير ضنء كريمة ⁂ فى قومها والفحل فحل معرق(٣)
ما كان ضرك لو مننت وربما ⁂ منّ الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن ⁂ بأعز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة ⁂ وأحقهم إن كان عتق يعتق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه ⁂ لله أرحام هناك تشقق
صبرا يقاد إلى المنية متعبا ⁂ رسف المقيد وهو عان موثق

قال ابن هشام : فيقال ، والله أعلم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر ، قال : لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه .

قال ابن إسحاق : وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فى عقب شهر رمضان أو فى شوال .

بحمد الله وحسن توفيقه تم الجزء الثانى من سيرة ابن هشام
ويليه الجزء الثالث إن شاء الله — نرجو من الله يعين على تمامه

* * *

(١) الصحيح : أنها بنت النضر لا أخته . (٢) الواكف : السائل .
(٣) الضنء : الأصل . والمعرق : الكريم

فهرست الجزء الثانى

من سيرة ابن هشام

تمت الفهرست

